

حِكْمَةُ الْعِبَادَاتِ

العلامة الشيخ عبد الله الجواد الطبري الأملجي



دار الإحسان للطباعة والنشر



حِكْمَةُ الْعِبَادَاتِ

العلامة الشيخ عبد الله الجواد الطبري الآملي

دار الأستراء للطباعة والنشر



- اسم الكتاب:حكمة العبادات
- تأليف :العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الآملي
- الطبعة :الطبعة الثانية
- سنة الطبع :١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر



دار الإسرء للطباعة والنشر
لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش
بنابة الحسين ط ١. تلفون : ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

١٥.....	مقدمة الناشر
١٩.....	المقدمة
١٩.....	حكمة العبادة وثمرتها
٢٩.....	شكر و تقدير

الفصل الأول:

العبادات و حكمها

٣١.....	الإنسان و حكمه العبادات
٣٢.....	حكمة ألقاب المعصومين <small>عليهم السلام</small> و أوصافهم
٣٣.....	الإمام السجاد و حكمه العبادة
٣٤.....	عنصر العشق و المحبة في حكمه العبادات
٣٥.....	العشق و الشوق
٣٧.....	أولياء الله و دار العبدة
٣٨.....	عنصر اليقين في حكمه العبادات
٤٠.....	حيرة الكافر و المنافق
٤١.....	العبادة سلم الترقى
٤٣.....	نعمة المعرفة و الشهود



- ٤٥..... الأنبياء و باطن العالم
- ٤٦..... أولياء الله و باطن الدنيا
- ٤٨..... الفرق بين المدرستين
- ٤٩..... عالم الملك و الملكوت
- ٥٠..... الحرمان من رؤية الملكوت
- ٥١..... محاسبة النفس
- ٥٣..... الوصية بالتوحيد
- ٥٥..... الدار الباقية و اشتياق اللقاء
- ٥٦..... النبي ﷺ و أسرار القيامة
- ٥٧..... ضغطة الموت و عارضة النسيان
- ٦٠..... طريق الوصول إلى حكمة العبادات و أسرار العالم

الفصل الثاني:

النية و حكمتها

- ٦٣..... أفضلية النية على العمل
- ٦٤..... حقيقة النية
- ٦٥..... تأثير الإنسان بالنية
- ٦٦..... الإخلاص و الرياء
- ٦٩..... الملائكة و استشهاد النية
- ٧١..... يوم تبلى السرائر
- ٧٢..... المنافق و سوء النية

الفصل الثالث:

الطهارة و حكمتها

- ٧٥..... الله يحب الطهارة



٧٦.....	الله يحب الطاهرين
٧٧.....	حكمة الطهارة في الرؤية القرآنية
٧٨.....	حِكم الوضوء في كلام النبي ﷺ
٧٩.....	حِكم الوضوء في بيان الإمام الثامن عليه السلام
٨٠.....	الطهارة من الرجاسة والنجاسة

الفصل الرابع:

الصلاة و حكمتها

٨٣.....	اطمئنان القلب
٨٤.....	المواظبة على الصلاة والإنفاق
٨٦.....	زهد النبي ﷺ
٨٧.....	الصلاة والإيمان بيوم القيامة
٨٨.....	المصلي والعهد والشهادة
٨٩.....	المحافظة على أوقات الصلاة
٨٩.....	إكرام الله المصلين
٩٠.....	الحشر مع الملائكة
٩٢.....	تواضع الإنسان في السجود
٩٤.....	حكمة سلام المصلي
٩٥.....	أدب الصلاة
٩٥.....	الباطن المثالي للصلاة
٩٧.....	النيران المتقدة وكوثر الصلاة
٩٨.....	بركات صلاة النبي زكريا
٩٩.....	الصلاة وطهارة الروح
١٠١.....	حكمة صلاة الليل



- ١٠١..... وصية الأنبياء بالصلاة
- ١٠٢..... صلاة الظهر ورحمة الله الواسعة
- ١٠٤..... الإنسان السماوي
- ١٠٥..... الميل إلى الطبيعة
- ١٠٧..... حبّ باطن الصلاة

الفصل الخامس: الصوم و حكمته

- ١١١..... ذمّ البطنة
- ١١٢..... قيمة الحرية في الإسلام
- ١١٥..... الصوم و جزاء الصائم
- ١١٦..... كيفية الجزاء
- ١١٧..... درجات التقوى و لقاء الله
- ١٢٠..... قيمة الإنسان
- ١٢١..... دور الصوم في حلّ الصعاب
- ١٢٢..... الملائكة و الدعاء للصائم
- ١٢٤..... طيب فم الصائم
- ١٢٥..... رمضان شهر الله
- ١٢٧..... شهر رمضان و التخلّق بأخلاق الله
- ١٢٩..... شهر رمضان و طلب كرامة
- ١٣١..... قبول العمل و تقبّل الصالح
- ١٣٢..... الصوم و الإيمان بيوم القيامة
- ١٣٣..... التصدّق و الإطعام
- ١٣٤..... توقير الكبار و العطف على الصغار



١٣٥.....	حفظ اللسان
١٣٦.....	قيمة اكتساب العلم
١٣٨.....	الابتعاد عن النظر المحرّم والتوجّه إلى الدعاء
١٣٩.....	المفتاح والمغلاق
١٤١.....	أسباب تعزيز أسس الدين
١٤٢.....	موقع الشيطان في شهر رمضان
١٤٤.....	الورع
١٤٥.....	وداع شهر الله
١٤٧.....	أفضل ما يُنتفع من شهر الله
١٤٨.....	أنين الفراق
١٤٩.....	رمضان وتعليم الدعاء
١٥٠.....	الوداع من صفاء الباطن والنشاط
١٥٠.....	القلوب الرقيقة والأفكار الصافية
١٥١.....	شهر السيطرة على الشيطان
١٥٢.....	التحرّر من قيد الشهور ونيل السعادة
١٥٣.....	المنافسة مع سائر الشهور
١٥٣.....	التطهير والتفصيل لا التعب والتصب
١٥٤.....	الوداعات الأخيرة

الفصل المائى:

الاعتكاف و حكمته

١٥٧.....	من شؤون العبادة
١٥٨.....	أبرز مصداق للعبادة
١٥٨.....	مسألتان مهمتان في الاعتكاف

- الاعتكاف الباطل..... ١٦٠
- الاعتكاف عبادة مستقلة..... ١٦١
- اعتكاف الصالحين..... ١٦١
- الاعتكاف و قضاء حاجة المؤمن..... ١٦٢
- الدعاء و المناجاة في حال الاعتكاف..... ١٦٣

الفصل العاشر:

تلاوة القرآن و حكمته

- مع القرآن..... ١٦٧
- ضياء البيت..... ١٦٨
- ظلمة غير المؤمن..... ١٦٩
- تجلى الله سبحانه..... ١٧١
- معنى تجلى القرآن..... ١٧٣
- تجلى ملك الموت..... ١٧٤
- فضل حَمَلَة القرآن..... ١٧٤
- تعليم القرآن و تعلّمه..... ١٧٥
- الاعتصام بالعهد الإلهي..... ١٧٧
- فهم و شعور الكائنات..... ١٧٩
- لسان أهل الجنة..... ١٨١

الفصل الحادي عشر:

الدعاء و حكمته

- آداب الدعاء..... ١٨٣
- القرب الإلهي..... ١٨٤
- النداء أم التجوى؟..... ١٨٦



١٨٧.....	هدية العجز و الذل
١٨٨.....	الدعاء و القضاء و القدر
١٩٠.....	التسليم و الإخلاص في الدعاء
١٩١.....	الدعاء في أرض منى
١٩٢.....	نماذج من أدعية أولياء الله
١٩٤.....	العلو و الرفعة في الدعاء
١٩٤.....	عظمة النبي ﷺ
١٩٥.....	علو الهمة في الدعاء
١٩٧.....	التوسع في الدعاء
١٩٨.....	الدعاء المستجاب
٢٠٠.....	صفاء الباطن
٢٠١.....	فضيحة الشرك
٢٠٢.....	المضطر و المجيب
٢٠٣.....	حقيقة الدعاء
٢٠٤.....	الشاهد و المشهود

الفصل التاسع:

التولي و التبيري و حكمتهما

٢٠٧.....	الجاذبة و الدافعة في المخلوقات
٢٠٨.....	حرم الله
٢٠٩.....	تولي رسول الله ﷺ
٢١٠.....	معنى الصلاة على النبي ﷺ
٢١٢.....	الصورة البهية للولاية
٢١٣.....	أفضل دخر في الحياة

٢١٤.....	حكمة المحبة
٢١٥.....	حديث بين الوالد و ولده
٢١٧.....	تقبّل الولاية من أعماق القلب
٢١٨.....	المظهر الأتم للولاية المطلقة
٢١٩.....	صاحب الجنة
٢١٩.....	مدينة الحكمة
٢٢٠.....	فضائل علي عليه السلام في كلام سعد بن أبي وقاص
٢٢٠.....	١- علي من النبي و النبي من علي
٢٢١.....	٢- سدّ الأبواب إلى باب علي عليه السلام
٢٢٢.....	٣- حامل الراية في خير
٢٢٣.....	٤- حبيب قلب النبي ﷺ
٢٢٤.....	شريك القرآن
٢٢٥.....	٥- خليفة النبي ﷺ
٢٢٥.....	بيان المقام الرفيع للإمام عليه السلام
٢٢٧.....	الأئمة و المتخرجون من مدرستهم

الفصل العاشر:

الذكر و حكمته

٢٣١.....	ذكر الله
٢٣٢.....	الذكر اللساني
٢٣٣.....	أقسام الذكر
٢٣٤.....	العناصر المحورية للذكر
٢٣٥.....	جوهر الذكر و الدعاء و السؤال
٢٣٦.....	الفصل الأول: الذكر و العقل النظري و العملي



٢٣٩.....	الفصل الثاني: الذكر حياة
٢٤١.....	ملاحظة: الاقتصار على الذكر المأثور
٢٤١.....	الفصل الثالث: مراتب الذكر و درجات الذكر
٢٤٣.....	ملاحظة: اختلاف الخطاب في اختلاف المخاطب
٢٤٤.....	تنبيه: مراتب المذكور الأربعة للذاكر
٢٤٥.....	ملاحظة: نصوص التكبير
٢٤٥.....	الفصل الرابع: مراتب ذكر الله
٢٤٦.....	ملاحظة: ذكر الذاكر محفوف بذكرين من الله
٢٤٧.....	السكوت الإيجابي و السكوت السلبي
٢٤٨.....	الفصل الخامس: آثار ذكر الله
٢٥٠.....	أثر الإخلاص الخالص
٢٥١.....	ملاحظة: أثر ذكر مظاهر الله و آياته
٢٥٣.....	خطر نسيان الله
٢٥٤.....	الفصل السادس: أفضل ذاكر و مذكور
٢٥٥.....	استدامة الذكر
٢٥٦.....	أكمل صفات الذكر
٢٥٧.....	ملاحظة: كيفية الذكر
٢٥٧.....	تنبيه: سكينه السالك الذاكر في نهاية الأمر
٢٥٨.....	ملاحظة: الخوف البدوي للقاسي و الساهي
٢٥٩.....	ملاحظة: أثر ذكر الله في القلب
٢٦٠.....	ذكر ما في المتون الدينية
٢٦١.....	التأثير المتبادل بين ذكر الحق و نسيان الباطل
٢٦٢.....	الفصل السابع: مصاديق الذكر

٢٦٢.....	١- الإنسان الكامل.....
٢٦٤.....	٢- ذكر الله التدويني.....
٢٦٥.....	٣- الصلاة.....
٢٦٦.....	ملاحظة: الفرق بين الإمساك و التمسك.....
٢٦٧.....	ملاحظة: كثير الذكر كثير الصلاة.....
٢٦٨.....	تنبيه: صعوبة الذكر الكثير.....
٢٦٩.....	الفصل الثامن: طريق الوصول إلى علو الذكر.....
٢٧٠.....	الفصل التاسع: ذكر الله شفاء.....
٢٧١.....	دليل توقيفية الذكر.....
٢٧٢.....	الفصل العاشر: شمولية الذكر.....
٢٧٣.....	تنبيه: دائرة ذكر الله.....
٢٧٤.....	ملاحظة: الانسجام بين ذكر الله و التفكير العلمي.....
٢٧٥.....	الفهارس.....

مقدمة الناشر

بسمه تعالى شأنه

«الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه»^١ والحمد لله الذي ألبس أهل العالم جلباب العبودية ورداء الفقر والمسكنة ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^٢ لكي يتم إثر تلاقي الفقر والغنى والعز والافتقار رد السؤال بالعتاء واستبدال الفقر بالاستغناء ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^٣ ويكون الناتج من هذا التلاقي والحاصل من هذا الترابط زوال الفقر وازدياد الغنى وانضواء العالم تحت ظل عزة الله وظهوره وكبرياء الإله وحضوره.

وإن الذي يبدو مهماً في هذه الصنعة وضرورياً في هذه الدراية هو نقطة الالتقاء و حلقة اللقاء، ألا وهو العبادة التي تمثل نقطة الوصل و حلقة الربط.

فهي مذاق الروح و موطن اشتياق النفس وهي السلم للراقي و التعالي وهي الطريق للوصول إلى الجلال و الجمال، بيد أن لهذه الرقيقة السماوية أسرار و حكم و

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢ . سورة مريم، الآية ٩٣.

٣ . سورة الرحمن، الآية ٢٩.

لطائف و طرائف إن أدركها واستنار بها أحد لما ترك حلاوة طعمها و طراوة عطرها و لما فتأ عن القنوت داعياً «اللهم أذقنا حلاوة عبادتك».

و إن أركان العبودية و أضلاع عبادة الله سبحانه و تعالى كما وردت في الحديث ثلاثة أشياء: «أن لا يرى العبد لنفسه ممّا خوّله الله ملكاً، لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، و لا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً، و جملة اشتغاله فيما أمره الله به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، و إذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره هان عليه مصائب الدنيا، و إذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى و نهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء و المباهاة، و لا يطلب ما عند الناس عزّاً و علوّاً، و لا يدع أيامه باطلاً»^١.

فأينما عبّد عبد الله سبحانه و تعالى بهذه الرؤية يكون و كأنه يشهد جماله و جلاله من خلال هذه العبودية أو أنه يشعر على الأقل بأنه يقوم و يعقد و يركع و يسجد و يسلم و يقنت بمرائى و مشهد من الله عزّ اسمه فيهب له هذا الحضور حياة قلب جديدة. قال النبي ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، و إن كنت لا تراه فإنه يراك»^٢.

و بما لا شكّ فيه أنه لا يذوق حلاوة العبادة و طراوتها إلا من أبعده حلاوة الذنب الكاذبة و لذة الفجور الزائفة عن نفسه. «كيف يجد لذة العبادة من لا يصوم عن الهوى»^٣.

و علاوة على الأسرار و الحكم الكامنة في أصل العبودية و حقيقتها، فإنّ لكلّ من مظاهرها و رموزها طرائف و ظرائف تؤمّن بعداً من أبعاد وجود الإنسان.

١. مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٠٨٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٧٤.

٣. شرح غرر الحكم، ج ٤، ص ٥٦١.



وإنّ هذا الكتاب القيم الذي ترشّح عن يراع مؤلفه الحكيم، سماحة آية الله الأستاذ جوادى الأملى (دام ظله)، الموسوم بحكمة العبادات و المرتب في عشرة أقسام قد تناول كلّ واحد منه نوعاً خاصاً من العبادة و قام ببيان أسرارها و حكمها. فجرى الكلام في القسم الأول عن العبادة و حكمتها، و في القسم الثاني عن النية و أسرارها، و في القسم الثالث عن حكمة الطهارة (الوضوء و التيمم)، و في القسم الرابع عن باطن الصلاة و أسرارها و حكمها، و في القسم الخامس عن أسرار الصوم، و في القسم السادس عن عبادة الاعتكاف، و في القسم السابع عن حكمة تلاوة القرآن و رموزها، و في القسم الثامن عن أسرار الدعاء و آدابه و حكمه، و في القسم التاسع عن روح العبادات و هو التولي و التبري، و في القسم الأخير عن الذكر و حكمته و محوره و أقسامه.

جدير بالذكر أنّ المؤلف قد أفرد لمسألة الحج كتاباً خاصاً تحت عنوان صهبائى حج و تناول بحث الصلاة بالتفصيل في كتاب أسرار الصلاة.

هذا و إنّ معظم أبحاث الكتاب التي ألفت في شهر رمضان المبارك على جمع خاص من المخاطبين كانت قد طبعت من قبل منشورات الزهراء بعد أن تم تنظيم كلّ واحدة من هذه الجلسات على شكل دروس بواسطة حجة الإسلام الشيخ حسين رضوانى و بعد أن أعاد سماحة الأستاذ (دام ظله) النظر فيها تحت عنوان «أسرار العبادات» فشكر الله مساعيهم. و لكن بالنظر إلى الفترة الزمنية البعيدة نسبياً التي مضت على طبعه و إلقاء بعض المباحث الجديدة و التي كان لبعضها دور المتمم لمسائل الكتاب و كذا لما يبدو من ضرورة تنظيمه و تقويمه و ترتيب تبويبه و تركيبته من جديد تمت إعادة صياغته و وضع بين يدي الراغبين و المتعطشين للمعارف و الحكم الإلهية بالصورة الفعلية. آمليّن أن يقع موقع رضا الله سبحانه و قبوله.



و قد قمنا في هذه الطبعة بالفرز بين مباحث الكتاب و ترتيبها في عشرة أقسام منفصلة و تنقيح العبارات و وضع عناوين خاصة و إسناد الروايات إلى مصادرها و عمل فهرس فنية و دقيقة لكل واحد منها لما في ذلك من دور كبير في إغناء الكتاب و إعداده لانتفاع القراء منه بشكل أمثل.

علماً بأن ما أورده المؤلف في نهاية الكتاب من آراء متممة و أفكار رائقة إضافة إلى كلّ تلك المحاسن قد أضفت على ثراء الكتاب و غنائه و هذا ما سيجد آثاره و بركاته الباحثون في هذا الأثر النفيس.

و في الختام، نتقدم بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في نشر هذا الأثر، و نخصّ منهم حجج الإسلام السيد عباس سالاري و محمد تقي سعيدي و كذا حجة الإسلام حسين شفيعي الذي بذل جهده في كلّ هذه المراحل المذكورة بدقة لإنهاء العمل و الذين ساهموا أيضاً في طباعة هذا الكتاب و إعداد صفحاته و أموره الجانبية.

سائلين العليّ القدير أن يرفع درجات الشهداء العالية و المقام الشامخ للإمام الخميني رحمته الله و أن يوفقنا أجمعين لخدمة الإسلام و الجمهورية الإسلامية و المجتمع الإسلامي العزيز تحت ظلّ ولاية قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله السيد الخامني (دام ظله العالي).

المقدمة

حكمة العبادة وثمرتها

١ - إنّ كلّ معلول في نظام التكوين عبد لعلته و تابع لها في حدوده و بقائه و مطيع لها في ذاته و صفاته و أفعاله؛ و لا سبيل لانفصام سلسلة العلية، فلا نكوص في العلة عن الإشراف و الإفاضة و لا تنصل للمعلول عن الانقياد و الخضوع. و إنّ استغناء المعلول المفتقر إلى العلة من الأساس، عن علته التي يعدّ اللازم الضروري لها هو عين الإفاضة على المعلول لا ينسجم مع أساس العلية و المعلولية؛ و من هنا فإن عالم الإمكان بأسره الذي هو معلول لله سبحانه إنما هو عبد محض للحق و لا يتمرد عن امتثال أوامره التكوينية طرفة عين: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١، و إنّ عناوين الإسلام^٢، و التسبيح^٣، و السجدة^٤، و العبودية^٥، و الإطاعة^٦، الواردة في

١ . سورة يس، الآية ٨٢.

٢ . سورة آل عمران، الآية ٨٣.

٣ . سورة الإسراء، الآية ٤٤.

٤ . سورة النحل، الآية ٤٩.

٥ . سورة مريم، الآية ٩٣.

٦ . سورة فصلت، الآية ١١.

القرآن الكريم ناظرة إلى هذه المسألة، فلا يُعقل الكفر التكويني ولا يُتصور النفاق أو العصيان الطبيعي، وهذا هو الجبر العلي الذي أذعن به كل علماء العقل ما عدا الأشاعرة الجبرية حيث رفضوه في نظام التكوين استناداً إلى زعم الأولوية ونفي ضرورة العلية، لأنهم استبدلوا أصل العلية الفلسفية بجبر العادة وأنكروا الربط الضروري. ولو تم إرجاع العلية إلى الشأنية، لانتضحت مسألة اتباع المظهر للظاهر وكذا الإسلام والتسبيح والسجدة والعبودية وإطاعة جميع المظاهر لظواهرها بشكل جلي؛ لأن الصورة المرآتية لا مقام لها سوى الخضوع أمام صاحب الصورة.

٢- لا سبيل لأي نوع من الجبر والتفويض في نظام التشريع الذي هو الأساس لكل ضرب من ضروب الامتحان والتكامل الاختياري وإنّ الموجود المفكر المختار الخاضع للقانون حرّ في اختيار طريقه ومختار في مواصلته و طليق في قبوله ونكوله ومخير في التنسيق بين تطابق الباطن والظاهر أو عدم التنسيق بينهما باسم الإيمان أو النفاق؛ إذ لا معنى للامتحان ولا سبيل للتكامل من دون وجود الحرية. ثم إنّ نطاق نظام التشريع أضيق من دائرة التكوين، إذ لا سبيل للتشريع إلى غير الموجود الواع، بيد أن حدود الانقياد أو التمرد في قارة التشريع أكبر؛ ولذا فقد وقعت بعض القوانين التشريعية في طي النسيان فتورّط البعض في مزالق العصيان وتلوّث بعض بلوث النفاق وآخرون بشائبة الرياء وبالتالي فقد نال البعض مقام الخلوّص وتحققوا بحقيقة الأصالة والطهارة. ولذا فإن الإسلام والكفر، والإيمان والنفاق، والطاعة والعصيان، والصواب والخطأ وما يجمعهم وهو الحقّ والباطل مختصة بنظام التشريع في ثقافة القرآن الكريم ولا يوجد في نظام التكوين سوى الإسلام والطاعة والصواب وما يجمعهم وهو الحق؛ لأن زمام كلّ موجود في نظام التكوين بيد الله سبحانه وتعالى وعمله أيضاً على صراط مستقيم^١، وإن دار الحديث عن الضلالة و



البطلان و أمثالها بشأن بعض مخلوقات عالم الطبيعة فهو إما ناظر إلى نظام التشريع و إما أن يكون أمراً نسيئاً لا نفسياً؛ لأن الموجود العيني إنما هو عين الحق و الصواب و بالنسبة لمبدئه الفاعلي مطيع محض.

٣- إن لكل اسم من أسماء الله الحسنی اقتضاء يمكن جعله باللغة البرهانية حداً وسطاً و الخروج منه بنتيجة معينة. و إن الله سبحانه لحكمته لا يصدر منه فعل عبث، لأنه حكيم و الحكيم لا يقوم بفعل إلا و من ورائه هدف يبغيه و لذا فإن فعل الله فعل هادف، و لغنائه الذاتي لا يتأتى لأتى شيء أن يكون هدفاً لله سبحانه، إذ لا ستلزم أن يكون الله ناقصاً من دون هذا الهدف و لا يكمل إلا عبر الوصول إليه مع أن واجب الوجود هو عين الكمال المحض و لا يُحدّ بحدود، و لا يمكن فرض كمال خارج عن ذاته. و الجمع بين هذين الاقتضاءين هو أن باري عالم الإمكان منزّه عن الهدف لأنه عين الهدف لكل موجود كما هو عين المبدأ لكل وجود، بيد أن للعالم هدف وجودي يناله و إن كان البعض منهم قد ينحرف عن الجادة في وسط الطريق. ثم إن هدف الإنس و الجنّ في نظام التشريع هو تكاملهم في العبادة، و لو أن الإنسان الذي له روح عقلية مجردة قام بتربيتها و سبق أصحابه لأصبح هدفاً لكثير من المخلوقات التي دونه في المرتبة و إن كان الهدف الأخير للجميع هو الله سبحانه و تعالى؛ ولكن كما أن المصادر الأول في قوس النزول هو جوهر العقل فإنّ الراجع و العائد الأكمل في قوس الصعود هو جوهر العاقل، و إن مدار الإمكان يتبدأ بالعقل و ينتهي بالعاقل، و هذه المسألة لا تستند إلى تصوّر العقول العشرة و أمثالها التي لم تعدّها الحكمة «المشائية» من مسائلها الفلسفية القطعية و إنما ذكرتها على حدّ الاحتمال بل تعتمد على أساس تشكيلك الظهور أو الوجود التي تدركها الحكمة المتعالية أو يشهدها العرفان.

١. سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

٢. سورة إبراهيم، الآية ٨.



٤- إنَّ للعبادة درجات كثيرة بعضها هدف أوسط و بعضها الآخر هدف أخير. و بها أنَّ العمل محدود و الشهود غير محدود فإنَّ العبادات العملية أهداف محدودة و العبادات الشهودية أهداف غير محدودة. و السرّ في محدودية العبادات العملية هو أنَّ التكليف ينقطع بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة بيد أنَّ الشهود مستمر على الدوام، و إنَّ التكامل العملي الناتج عن الفعل الاختياري للإنسان ليس له ظهور في القيامة؛ ولكنَّ التكامل العلمي التابع من إفاضة الله سبحانه متوافر على الدوام فتكشف الكثير من حجب الغيب بعد الموت و يتأتَّى شهود ما كان مغيباً عن الأبصار. و من هنا يعتبر القرآن الكريم الهدف من خلق العالم هو معرفة الإنسان بقدرة الله و علمه المطلق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^١. ثم إنَّ العلم الحسولي و اليقين الاستدلالي و إنَّ عُدَّ في حدِّ ذاته كمال علمي و جُعل هدف، إلا أنَّه يعتبر وسيلة بالنسبة للعلم الحسوري و اليقين الشهودي: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^٢، أي يمكن الوصول إلى عين اليقين من خلال علم اليقين. و على هذا يمكن اعتبار الهدف النهائي من الخلقة هو اليقين الشهودي بالمعارف المتكسِّة دوماً على العبادة، و إنَّ كان اعتماده عليها في كلِّ نشأة يتناسب مع تلك النشأة (فيستند في الدنيا إلى العبادات التشريعية و يعتمد في الآخرة على باطنها التي يظهر فيها)، و لو فقدت العبادة لحظة واحدة لسُتر المشهود و حُجب الشاهد؛ لأنَّ الوسيلة الوحيدة لشهود السالك و ظهور الغيب هي العبادة: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٣ لا أن تسقط العبادة بعد اليقين، لأنَّ زوال العبادة يستلزم زوال اليقين، حيث أنَّ أسوء

١. سورة الطلاق، الآية ١٢.

٢. سورة التكاثر، الآية ٥ - ٧.

٣. سورة الحجر، الآية ٩٩.



حجاب هو العصيان. وإن الذي يظهر من آية سورة «الطلاق» هو أن الهدف من خلق العالم الذي يمثل ظهور الحق في مرآة الخلق هو معرفة الإنسان السالك بعلم الله و قدرته فيؤدي هذا العلم الشهودي بالعارف الواصل إلى أن يكون مظهرًا لـ «العليم» و «القدير» و يكون قادراً بإذن الله سبحانه و بواسطة «بسم الله الرحمن الرحيم» أن يقوم في الدنيا بنفس ما يقوم به يوم القيامة بمجرد الإرادة و أن يشهد كل ما يريد الإحاطة به. و هذا ما يمكن استنباطه من الحديث القدسي المعروف الذي جعل ثمرة ظهور الذات (و المراد بظهور الذات هو نفس تجلي الحق في مرآة الخلق) التي كانت كنزاً مخفياً هو معرفة الإنسان السالك بالغيب المطلق بمقدار وسعه. و لو كان هناك كلام في سند الحديث المذكور فإن آية سورة «الطلاق» تؤيد دلالاته؛ لأن الآية المذكورة تعتبر العلم و القدرة كليهما هدفاً للخلقة و بما أن قدرة الله هي عين علمه فإن قدرة الإنسان العارف أيضاً تصبّ في مجرى علمه؛ لأنّ العقل العملي و النظري متحدان في السالك الواصل.

٥- إن الذي يظهر من خلال عمل الجوارح أو خواطر الجوانح، إنما هو من أحكام العبادة أو آدابها و لا يعتبر من أسرارها؛ و الذي يظهر عبر شهود عقل النظر و انبعاث عقل العمل قد يدخل في عداد حكمة العبادة؛ لأن مجرد خطور القلب اليسير تحصيله و المستخدم في الفقه الأصغر و إن كان «نية» بالحمل الأولي إلا أنه «غفلة» بالحمل الشائع، و لذا فهو لا يكفي لاستدامة حضور القلب بل و ينسجم منذ البداية مع أية خاطرة أخرى. و إن ذلك التوحيد المتصور الذي ينسجم مع أي ضرب من الشرك إنما هو شرك في لباس التوحيد؛ و العارف الأصيل، هو ذلك السالك الواصل الذي لا يردعه شهود الكثرة عن شهود الوحدة بل و لا يحجبه شهود الوحدة عن شهود الكثرة أيضاً ليكون جامعاً لكلا الأمرين، و لكن بشهود الحق لا بعرفان الخلق كما هو نتيجة قرب الفرائض. و كما أن مراعاة أحكام الفقه الأصغر واجبة و لكنها غير كافية لنيل حكم العبادات، كذلك مراعاة تعاليم الفقه الأوسط و هو الفن الشريف



للأخلاق المستدلة لازمة ولكنها غير وافية؛ بل لابد من اللجوء إلى إرشادات الفقه الأكبر وهو العرفان النظري والعملي ليتأتى الوصول إلى مصدر نزول العبادة بضمير شاهد و سر طاهر والقيام بها عبر مجاري المعبود المدركة والمحرّكة، كما يشير حديث «قرب النوافل»^١، إلى جانب من ذلك. فيصل السالك الواصل بعد ذلك إلى حكمة العبادة بل ويصبح موضع سر المعبود وعية علمه: «هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ مَوْتِلُ حُكْمِهِ وَ كَهْوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ يَهْمُ أَقَامَ أَنْحَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ»^٢. وبما أن سر العبادة تعتبر بمثابة روحها وحكمها وآدابها بمثابة بدنها، لذا تجد القرآن الكريم دوماً ما يقدم ذكر الإنفاق السري على الإنفاق الجهري كما وغالباً ما يقدم في هذا المضمار ذكر الليل على النهار^٣، وإن السبب في تقدم السر على الجهر والليل على النهار هو أن شهود الحق سيكون أشدّ جلاءً و صفاءً في نشأة الخلوة والابتعاد عن الأغيار. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾^٤. علماً بأن السالك الواصل إن أصبح مظهر آل «لا يشغله شأن عن شأن»^٥، فيسكون ليله ونهاره متحدان و سره وجهه متساويان؛ إذ نال مرتبة لا سبيل للصباح والمساء ولا مجال للسر والجهر الوصول إليها، لأنها اجتازت دائرة القياس وتعدت حدود النسبة؛ ولو قضى سالك طوال الليل بذكر آية خاصة فهو إما من باب تعليم الغير أو أنه لم يصل بعد إلى الهدف النهائي كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قضى ثلثي ليلة بتلاوة ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٦، و كرر ﴿بِسْمِ اللَّهِ

١. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٢، ح ٢١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة الثانية.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٧٤. سورة الرعد، الآية ٢٢. سورة إبراهيم، الآية ٣١. سورة النحل، الآية ٧٥.

٤. سورة المزمل، الآية ٦.

٥. من فقرات دعاء الجوشن الكبير وكذلك: بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٥٤.

٦. سورة المائدة، الآية ١١٨.



الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿عشرين مرة﴾، كما وقضى سعيد بن جبير ليلة كاملة في هذه الآية: ﴿وَأَمْتَارُوا النَّيُّومَ أَتَيْتُمُ الْمُجْرِمُونَ﴾^٢.

٦- هناك ثمة علامات للوصول إلى أسرار العبادة منها ما هو شرط طولي لا عرضي لصحة العبادة وقبولها كالطهارة التي تعد شرطاً لصحة الصلاة: «لا صلاة إلا بطهور»^٣؛ كما أن «فاتحة الكتاب» تعتبر جزءاً قطعياً منها: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»^٤؛ بيد أن مثل هذا الاشتراط والتوقف وإن كان متصفاً بالتقدم الرتبى ولكنه يقع من حيث معرفة الأسرار في عرض العبادة المشروطة والموقوفة لا في طولها؛ لأن الشرط الطولي لقبول الطهارة والصلاة أيضاً هو التقوى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^٥.

وقبول التقوى أيضاً رهن ولاية الإنسان الكامل حيث لا تقبل أية عبادة وحتى التقوى من دون تولى المعصومين (عليه السلام)، بل ولا تقبل أيضاً مع عدم الاعتقاد بولايتهم التكوينية حتى مع قبول كونهم ولاية أمر؛ لأن الولاية التكوينية هي سر ولايتهم قيادتهم للمجتمعات البشرية، ومعنى ذلك أن قبول ولايتهم كالصلاة والصوم والزكاة والحج وما إلى ذلك تعتبر من فروع الدين^٦، ولكل فرع أصل يعد سرّاً لذلك الفرع، فالذي يدخل في عداد فروع الدين هو قبول ولايتهم والذي يعتبر من أصول الدين هو الإيمان بضرورة تنصيبهم من قبل الله سبحانه وتعالى وكونهم مظاهر الله عز وجل.

١. أسرار القرآن للغزالي، ص ٢٦.

٢. نفس المصدر.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٣٧، ح ١١.

٤. مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ١٥٨، ح ٤٣٦٥.

٥. سورة المائدة، الآية ٢٧.

٦. وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٣ و ١١٨، الباب ١ و ٢٩ من أبواب مقدمة العبادات.

و يتضح من هذا المنطلق أنّ حقيقة الإنسان الكامل هي الحكمة لكلّ ضرب من ضروب العبادة و كلّ سالك يصل إلى سرّ العبادة بمقدار ما ناله من الكمال الإنساني و إنّ أكملهم و هم المعصومون عليهم السلام قد حازوا على أعلى مراتب أسرار العبادة و لذلك فهم الصراط المستقيم و ميزان الأعمال و....

٧- للوصول إلى هذا المقام الرفيع و الانتصار على المنافس الذي لا تدوم مماشاته و الذي سيؤول أمره إلى الخسران لا مفرّ من التعقّل و اليقظة في الحفاظ على حرم القلب الآمن و لا يحيص للحكمة من التدبّر و التعمّق و لا منال للاجتهاد من دون طهارة الضمير و صيانة السرّ: «الظفر بالحزم و الحزم بإجالة الرأي و الرأي بتحسين الأسرار»^١.

٨- هناك و بعناية الله رسالة أخرى قيد التدوين تعنى ببيان أسرار العبادة و لذا من الأنسب أن يدور الكلام عن الكتاب الحاضر. يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من المحاضرات التي ألقيت في شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٥ هـ على جمع من الأخوة في حرس الثورة الإسلامية بقم و تناولت البحث في حُكم الصوم أكثر من حُكم سائر العبادات و ذلك لمناسبة شهر رمضان و كذا جانباً من حُكم القرآن حيث أنّ هذا الشهر هو ظرف لنزول الكثير من صحف الأنبياء عليهم السلام، كما و تمّ التعرض لنبذة من مباحث ليلة القدر و طائفة من كلمات الإمام المجتبي عليه السلام حيث ولادته في النصف من شهر رمضان، و لوقوع فتح بدر و فتح مكة في هذا الشهر المبارك و من جانب آخر فقد توافقت تلك الأيام مع قصف المناطق السكنية و الهجوم الصاروخي و الكيماوي من قبل حزب البعث العراقي بأمر صدام اللعين، جرى الحديث عن جانب من الجهاد و الإيثار و التضحية للشعب الإيراني المسلم، و لتعظيم هذا الشهر المبارك و تعريفه



استعين بخطبة الرسول الأكرم ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان وكذا دعاء الوداع للإمام السجاد عليه السلام، كما وتم بيان سر تسمية هذا الشهر بشهر الله في خطبة النبي ﷺ ودعاء الإمام السجاد عليه السلام.

ثم إن السر في سرعة انقضاء هذا الشهر المبارك على المؤمنين وكثرة طوله على المجرمين كما جاء في دعاء الوداع: «ما كان أطولك على المجرمين» هو نفسه بالنسبة ليوم القيامة حيث أنه للمؤمنين الصادقين بمقدار صلاة الفريضة وللآخرين بمقدار خمسين ألف سنة^١! و دليل ذلك هو أن المؤمن نور ممثل يسير في مراحل النور، و سير النور سهل و سريع لأنه يخرق كل حجاب؛ وإن ما هو مشهود من النور الحسي إنما هو غيض من فيض ذلك النور العقلي. يروي الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه المعصومين عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله نور و مخرجه نور و علمه نور و كلامه نور و منظره يوم القيامة نور»^٢.

١ . سورة المعارج، الآية ٤ ورواية في تفسير هذه الآية.

٢ . الخصال، ج ١، ص ٢٧٧.

شكرو تقدير

لا يمكن تصوّر أيّ إحسان و لطف من قبل غير الله سبحانه بالاستناد إلى التوحيد الأفعالي: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^١، بيد أنّ المؤمنين الربانيين مظاهر فضل الله، ولذلك فإنّ شكرهم هو حمد لوليّ النعمة الذي ظهر في مقام الفعل في كسوتهم^٢، ومن هنا قال صاحب المقام المحمود: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^٣، كما أنّ المبدأ الفاعلي لأيّ حمد و شكر هو ذات الله القدسية أيضاً، لأنّ الله عزّ اسمه حامد محض و محمود صرف كذلك و لذا فإنّ الحمد المطلق سواء كان بمعنى الحامد أو بمعنى المحمود مختص بالله. وبما أنّ ساحة حجة الإسلام الشيخ حسين رضوافي - هداه الله إلى مقام الرضا - قام بخلوص نية و علوّمة بنقل جميع المحاضرات من الأشرطة و استخراج مصادرها، لذلك نتقدم إلى سماحته بالشكر و التقدير سائلين العليّ القدير مزيد علم و عمل له و لسائر الفضلاء الكرام و كذا صيانة الحوزة المقدسة بقم و سلامة قائد الثورة الإسلامية. قم، جمادى الثاني ١٤٠٩

جوادى الأملى

١. سورة النحل، الآية ٥٣.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٠.

٣. نفس المصدر.

القسم الأول:

العبادات وحكمتها

الإنسان و حكمة العبادات

إن لكل ما في عالم الدنيا باطن لأنها المنزل الأدنى للعوالم الأعلى، وكل ما في عالم الدنيا مثال لما في عالم المعنى. والأحكام والقوانين الإلهية التي ظهرت في الدنيا على صورة دين و تعاليم عبادية تحمل في مكنونها أسرار و باطن.

و إن للعبادة التي تمثل الهدف من خلق الإنسان حكمة و هي غير الآداب و الأحكام المختصة بها. فإن أحكامها هي الواجبات المبينة في الكتب الفقهية. من قبيل كيفية أداء الرضوء و كيفية الصلاة و ما هي واجباتها و أركانها و

و للعبادات آداب أيضاً منها ما هو مذكور في الكتب الفقهية باسم المستحبات و منها ما هو مدون في الكتب الأخلاقية. و القسم الثالث حكمة العبادات، فإن الإنسان يُحشر مع سرّ العبادة. و هي التي لترتد في الكتب الفقهية و لا في الكتب الأخلاقية تمثل روح العبادة و باطنها المرتبطة بباطن الإنسان الذي سيكون حشره معها أيضاً.

فقد كتب الشهيد الأول واجبات الصلاة في كتاب موسوم بـ «الألفية»، و



مستحباتها البالغ عددها نحو ثلاثة آلاف في كتاب مدعوب «النفلية»؛ وأما المرحوم القاضي سعيد القمي وآخرون كسماحة الإمام الخميني رحمتهما فقد ألفوا في أسرار الصلاة، ومن الواضح أنّ حكم الصلاة و أسرارها غير آدابها. وقد أمرونا بتعلم الحكمة والعمل بها. فإن الصلاة والصوم والوضوء وسائر التكليف من الأحكام الإلهية ويتحتّم علينا إضافة إلى العمل بكل واحد من هذه الأحكام السعي لمعرفة حكمها النهائية أيضاً.

حكمة ألقاب المعصومين عليهم السلام و أوصافهم

لا تقتصر هذه الحقيقة على العبادات بل إنّ لألقاب المعصومين عليهم السلام و أوصافهم حكم تختلف عن معانيها الظاهرية. فيجب علينا التفوّه بهذه الكلمات والسعي أيضاً لمعرفة باطنها وحكمها.

سأل شخص الرضا أبا الحسن عليه السلام: لِمَ كُنِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي الْقَاسِمِ؟ فقال: لأنه كان له ابن يقال له «قاسم» فكُنِيَ به. قال له: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: نعم، ... أما علمت أن علياً قاسم الجنة والنار؟ قال: بلى، قال: فقل له أبو القاسم لأنه أبو قاسم الجنة والنار. ومعنى ذلك أن علياً يوم القيامة يدعو أهل النجاة إلى الجنة ويرسل أهل الحجيم إلى النار - بإذن الله - فهو القاسم، وبما أن الله سبحانه نقل علياً في طفولته إلى أحضان النبي و صار عندها تلميذاً عنده، وأن كل طالب بمثابة الإبن لمعلمه، فعلي ابن النبي.

فإنّ هذا المعنى والتفسير لأبي القاسم هو من حكمة هذه الكنية. وهذا ما لا يتأتى لأيّ أحد معرفته وتفسيره.

نقل المرحوم الحاج الشيخ محمد تقي الآملي رحمته - ذلك الإنسان الكامل في العلم والعمل - هذا الحديث يوماً بعد درسه ثم قال: لو كان لهذا الشخص مزيد من شرح الصدر وكرر سؤاله لذكر له الإمام بياناً آخر.

ولذا فإن ما ورد في كلمات المعصومين عليهم السلام من ألفاظ للعبادات إنما هو من باب أنهم يكلموننا على قدر عقولنا لا أن تكون هذه الألفاظ التي نقرأها هي حكمة الصلاة وحققتها؛ بل إن من وراء هذه الألفاظ والمعاني والمفاهيم حقائق. فإن وسعنا فكرنا سنقف على شيء مما وراء هذه الألفاظ من مسائل أخرى. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»، وكل يفهم بمقدار فكره.

الإمام السجاد وحكمة العبادة

إن خطبة الإمام السجاد عليه السلام التي ألقاها على منبر الشام تدل على أن المعصومين عليهم السلام قد وصلوا إلى حكمة العبادات، حيث يقول في مقطع من كلامه: «أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء»^١، ومعنى ذلك أني قد وصلت إلى تلك العبادة التي لا بد من أدائها في مكة ومنى وأنها هي التي ساقنتني إلى هذا المكان، وليس المراد بها أنني ابن أرض مكة ومنى. فسكان منى وأهلها ليسوا أبناء منى وإنما أبناءها هم الذين ضحوا من أجل بقاء الدين على حياته مصوناً من الزوال والاضمحلال. على الرغم من أن الحسين بن علي عليه السلام في هذا السفر رجع من مكة ولريذهب إلى المشعر ومنى و عرفات ولريضح في منى، وقبل العاشر من ذي الحجة توجه من مكة إلى الكوفة وكان الإمام السجاد عليه السلام أيضاً بصحبته ولكنه يقول رغم ذلك: «أنا ابن مكة ومنى».

١. الكافي، ج ١، ص ٢٣، ح ١٥.

٢. خطبة الإمام السجاد عليه السلام في جامع دمشق (بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٨؛ تذكرة الخواص، ص ١٤٩).



فمن كان موطناً نفسه لتقديم أفضل الشهداء والتضحية بهم لصيانة دين الله قد نال حقيقة التضحية؛ وهو ابن منى وإن لم يشهداها.

و قد ذكر الله سبحانه وتعالى مبيناً حكمة التضحية بأن لها ظاهراً و باطناً؛ ظاهرها لا يصعد إلى الله و باطنها يصل إليه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾، أي لن يصعد إلى الله لحم الأضحية و دمه، وإنما الذي يصعد إليه هو التقوى المقرنة بعملية التضحية و ذبح الغنم و الإبل التي تمثل روح العبادة و باطنها و حكمتها.

فقد كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين، علقوا على جدار الكعبة شيئاً من لحومها و لطحوه بشيء من دماها لكي تقبل! فجاء الإسلام و حكم على هذا العمل بالبطلان. إذن فالإنسان المتقي الذي نال في الواقع باطن العبادة و يسعى إلى نيل حكمتها النهائية هو الذي يصل إلى الله.

عنصر العشق و المحبة في حكمة العبادات

إن السبيل للوصول إلى حكمة العبادات هي أن لا يرى العابد إلا المعبود. و الركن الأساسي لذلك هو اختصاص محبة الإنسان بالله و ثمرتها زوال التشويش و الاضطراب؛ لأن الفاني لم يعد محبوباً له و محبوبه باقي لا يعتريه الفناء. و لذا تجد العارف لا يتتابه الحزن و لا يغمره الهم و الغم.

فإن الإنسان قد يغتم على ما مضى و يقلق على ما سيأتي. بيد أن الذي نجا من الماضي و المستقبل لا يعبأ بهما و قد جاء من زمن يفوق هذا الزمان و اجتاز الماضي و المستقبل. فلم يفقد قبل هذا شيئاً حتى يعتريه الغم و لن يفقد بعد ذلك شيئاً حتى يتتابه القلق من الآن. و على حدّ تعبير ابن سينا:



العارف هَشَّ بِشَّ بَسَامٍ، يُبَجِّلُ الصَّغِيرَ مِنْ تَوَاضَعِهِ كَمَا يُبَجِّلُ الْكَبِيرَ وَ يَنْبَسِطُ مِنَ الْخَامِلِ مِثْلَ مَا يَنْبَسِطُ مِنَ النَّبِيَةِ وَ كَيْفَ لَا يَهْشُّ وَ هُوَ فَرِحَانٌ بِالْحَقِّ وَ بِكُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّهُ يَرَى فِيهِ الْحَقَّ^١.

و هذه هي علامة الوقوف على حكمة العبادات.

العشق و الشوق

قال الإمام الصادق عليه السلام: «هل الدين إلا الحب؟»^٢. و قد كان الأئمة المعصومون عليه السلام يعبدون الله لأنهم أحبّوه و وجدوه أهلاً للعبادة، «بمحبتك يا أمل المشتاقين»^٣، و الشوق هو الذي يسوق الإنسان إلى الله، لا أن تكون الجنة هي الهدف، و «الأمل» هو الأمنية التي تجر الإنسان إلى الهلع و تسوقه إلى الوله، فقد يكون الإنسان راجياً و قد يكون آملاً. و الشوق الذي يكون متعلقه باطلاً إنما هو شوق كاذب، و الشوق الصادق هو المتجه نحو الله سبحانه و تعالى، بحيث يكون الإنسان بادئ الأمر مشتاقاً إلى الله و بالتالي عاشقاً له.

و الفرق بين الشوق و العشق هو أنّه يُطلق «الشائق» على من يطلب الشيء و هو فاقد له و «العاشق» على من وصل إلى مقصوده فيحفظه. إذ يقال للظمان الذي يفتش عن العين بأنه: مشتاق للعين، و يقال للذي وصل إلى الماء بأنه: عاشق للعين.

قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَ أَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَ بَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وَ تَفَرَّغَ لَهَا فَهَوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى عُسْرِ أُمٍّ عَلَى يُسْرِ»^٤.

١ . الإشارات و التنبهات، ج ٣، ص ٣٩١.

٢ . بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٣٧.

٣ . مفاتيح الجنان، مقطع من دعاء اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك.

٤ . الكافي، ج ٢، ص ٨٣، ح ٣.



إذن فأفضل الناس هو من يعشق العبادة وقد حرّصنا هذا الحديث على اشتياق العبادة بادئ الأمر وبالتالى عشقها.

و قد قيل: إن كلمة «عشق» مشتقة من نبات خاص اسمه «عشقة» و هو نبات إذا التصق بجذع الشجرة لا ينفك عنها و يقطع عليها طريق نفسها حتى يصفّر لونها شيئاً فشيئاً فتساقط أوراقها و تيبس في آخر المطاف، فيقال عند ذاك: هذه الشجرة قد أخذتها «العشقة». و يُطلق العاشق على مثل هذا الإنسان.

فإن العبادة ليست بالأمر المهم؛ وإنما المهم هو عشق العبادة و حبّ الصلاة و باطنها. كما أنّ الحرب ليست مهمة و المهم أن يكون الإنسان محباً للجهاد في سبيل الله. حيث نجد أنّ جميع المحاربين في عالم الطبيعة قد ضمّر ذكّهم و أما أسماء المجاهدين المسلمين فقد بقي ذكرها في العالم و سيقى إلى الأبد. فهل كان القتل الغاشم قليلاً في هجوم المغول؟ فكم من الذين قلعوا جلود رؤوسهم و ملّؤوها بالتبن و وضعوها على القصب! فلمْ دُفنْ ذكّهم في كتب التاريخ؟ و لمْ لربق لهذا الكلام أثر؟ كما و قام المغول أيضاً بتقطيع البعض إرباً إرباً و تقسيم أعضائهم من الرؤوس و الأيادي و الأرجل ما بين بغداد و تبريز و شيراز ليشبوا الرعب و الوحشة في قلوب سكّان تلك المناطق فيلجؤون إلى الجمود و الركود!

إلا أنّ هذه الوقائع دُفنت و لم يبق لها أثر سوى في كتب التاريخ و ذلك لتجردها من الروح و الباطن.

و أما المجاهدون المسلمون فهم يستجلبون أنظار التاريخ؛ لأن في حربهم روح و لرتكن طلباً للدنيا و الجاه و من أجل النفس. فمن يقاتل من أجل التراب ستكون قيمة دمه بمقدار التراب أيضاً و من يقاتل في سبيل الله فإن دمه «ثار الله» و مدعاة لذكر الله. فإنّ المحب للجهاد في سبيل الله يحى إلى الأبد و المصلي و الصائم يبقّى خالداً أيضاً. و كم هناك فرق بين القاتل: إني أصلي و قول سيد الشهداء عليه السلام: إني أحب الصلاة.



روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يجمع الله لمؤمن الورع والزهد في الدنيا إلا رجوت له الجنة وإني لأحب للرجل المؤمن منكم إذا قام في صلاته أن يقبل بقلبه إلى الله تعالى ولا يشغله بأمر الدنيا فليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا أقبل الله إليه بوجهه وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبة له بعد حب الله إياه»^١.

أولياء الله ودار العبدة

يصف الله البعض في القرآن الكريم بأن له نوراً قائلاً: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^٢، فيتشعشع منه النور حين يمشي بين الناس؛ ومشيه وكلامه وعمله وسلوكه نور. إذا جالسه المرء يتذكر الله سبحانه؛ إذ لا يتكلم عن المتاع والمأكول بل يتحدث عن الآيات والروايات.

فإن أولياء الله يتكلمون لأنهم يسكتون ولكنهم في الخلوة يلزمون الصمت ويتفكرون. وتراهم بين الناس يتحدثون ما بين جواب سؤال أو طرح مسألة. كما أن مجلس رسول الله ﷺ لريكن مجلساً بارداً حيث كان يجيب على الأسئلة إذا سألوا أو يبتدأ بالكلام إذا سكتوا.

فإن أولياء الله إذا نظروا إلى العالم اقترن نظرهم هذا بالنظرية التوحيدية؛ فيعتبرون واعتبارهم هو العبور من الصفات الرذيلة إلى الصفات الحميدة^٣. فمن لم يعبر من الرذائل إلى الفضائل حين مواجهة الأحداث ليس بمعتبر وإنما هو ناظر. ومن عبر من السيئة إلى الحسنة فهو معتبر، وتكون نظرفته نظرة اعتبار، فهؤلاء هم أهل الذكر ولسانهم يلهج بذكر الله وكما أن الله سبحانه قد وصف القرآن الحكيم من أوله إلى آخره

١. الأمالي للمفيد، ص ١٦٥، المجلس ١٨، ح ٧.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢٣٧، ح ٢٥.



بـ «الذكر»، فإن إرشاد هؤلاء و تعليمهم مقترن بالحكمة و حركتهم بين الناس توجب البركة و تعلمهم طريقة الحياة و هي مجرى لفيض الحق أيضاً. فبهم تحل بركات الله على الأمة الإسلامية و حياتهم و طريقتهم مباركة. و يقابلهم الذين يمشون على بطونهم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾^١، و يصبّون همهم كالزواحف للعمل من أجل البطن.

كانت مدينة قم موطناً لبعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام و منهم «زكريا بن آدم» الذي كتب رسالة للإمام يقول فيها: إني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء. فقال الإمام: لا تفعل فإن أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام^٢. و هذا هو مقام العلماء و أولياء الله حيث أن مشيهم و حياتهم و قرارهم بركة.

عنصر اليقين في حكمة العبادات

إنّ للمحقق الطوسي رحمته الله رسالة موسومة بـ «آغاز و انجام» تعنى بمباحث المبدأ و المعاد من أنّ الإنسان من أين و إلى أين و في أين. يقول فيها بعد بيان المعاد و معنى الصراط: المراد بهذه المقولة و هي أنّ الصراط أدق من الشعرة و أحد من السيف هو أنّ تشخيص التكليف و العمل به أمر عسير. فإن معرفة التكليف بمنزلة العبور من طريق أحد من السيف و أدق من الشعرة. و العمل بهذا التكليف بشكل صحيح بعد تشخيصه كذلك بمثابة العبور من طريق أدق من الشعرة و أحد من السيف^٣.

١. سورة النور، الآية ٤٥.

٢. زكريا بن آدم من كبار أصحاب الإمامين الكاظم و الرضا عليه السلام، و اعتبره البعض كالشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق أيضاً.

له كتاب في الحديث. (راجع: الاختصاص، ص ٨٧؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥١).

٣. آغاز و انجام، ص ٣٣.



فإن الوصول إلى حكمة العبادات ليس بالأمر الهين، وهناك صعاب كثيرة تواجه الإنسان في تشخيص الطريق وفي سلوكه كذلك. وعلى حدّ تعبير المرحوم العلامة الطباطبائي رحمته، فقد يعيش المرء طيلة حياته تحت ولاية الشيطان وهو لا يعلم. ولذا لابد من محاسبة النفس في كلّ يوم.

وإن الصراط المستقيم الذي نطلبه من الله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، علماً بأنّ الإنسان إذا شخّص الطريق و سلوكه سيجتاز مرتبة الملائكة وستخضع بأسرها لخدمته فتفتح أبواب الجنة وتأتي لاستقبال المؤمن قائلة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^١. فإنّ جيء الملائكة لاستقبال المؤمن و خدمتهم له لا يتم بلا ثمن.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء أعزّ من اليقين»^٢، فهو الأثر المهم للعبادة. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٣، وهذا هو السرّ لكلّ العبادات، فإنّ الوصول إلى اليقين هو ذروة العبادة ونيل الكمال. ولا يُراد به الكفّ عن العبادة بعد الوصول إلى اليقين لكي تكون بمعنى الغاية وإنما المقصود منه هو الفائدة والمنفعة. ومعنى ذلك أنّه لا سبيل لليقين بوجود مبدأ ومعاد ومسير للعالم و لمعرفة مصير الإنسان إلا من خلال العبادة، فمن دونها لا يتيسر لأحد الوصول إلى اليقين بالمبدأ والمعاد بل يبقى في شكّ دائم.

١. سورة الزمر، الآية ٧٣.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٥١، ح ١؛ وقال الإمام الرضا عليه السلام أيضاً: «لر يعط بنو آدم أفضل من اليقين» (بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٣٨).

٣. سورة الحجر، الآية ٩٩.

حيرة الكافر والمنافق

إن الكافر والمنافق في تردد مستمر ولا يوجد عذاب أشد من أن يكون الإنسان في تيه وحيرة. يقول الله سبحانه في بيان عذاب المنافقين والكفار: ﴿فَهُمْ فِي رُءُسِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^١، ويسIRON دوماً في دائرة مغلقة.

فمن يعرف الطريق لا يتردد ويعود من حيث أتى، والجاهل بالطريق ينحرف عن الجادة ويعود ثم يسير ثانية وهذا الرد المكرر يطلق عليه بالتردد. وهو يحصل إثر العمى فالكافر والمنافق لا يشهدون الطريق ولذا تجدهم يسIRON دوماً في دائرة الشك ويقضون أعمارهم في عذاب التردد، يتحركون في نفس هذه الدائرة المغلقة للشك المكرر من جهة إلى أخرى ولا يجدون مخرجاً.

وقد عبر عنهم القرآن الكريم ببيان آخر قائلاً: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾^٢، فإن هذه القلوب مقفلة جاهلة تائهة إلا أن تُقَطَّع قطعة قطعة. وإن قلب الكافر والمنافق في عذاب أليم على الدوام، لا يدري على من يعتمد؛ ومن هنا قال الله سبحانه وتعالى عن لسان رسوله الكريم: ﴿فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ﴾^٣، لقد أضعت الطريق. فتدل هذه الآية على أن للإنسان العابد هدف وهو يعرف الطريق ويصل إلى المقصد. والإنسان التارك للعبادة لا يعرف الطريق وليس له هدف ولا يدري بأي اتجاه يسير؛ ولذا يقول لهم رسول الله: ﴿فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ﴾.

وقد مدح الله سبحانه رسوله قائلاً بأبي قد بعثت إليكم رسولاً يسير نحو هدف و يعرف الطريق: ﴿وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^٤، لأن الضلالة

١. سورة التوبة، الآية ٤٥.

٢. سورة التوبة، الآية ١١٠.

٣. سورة التكوين، الآية ٢٦.

٤. سورة النجم، الآية ١ و ٢.



هي إضاعة الطريق. فمن لا يعرف ماذا يفعل أضاع الهدف ومن يعرف ماذا يصنع ولكنه أضاع الطريق فهو ضالّ. ومثله مثل المسافر الذي يعلم أنّ مقصده هو مكة وهدفه زيارة الكعبة ولكنه لا يعرف الطريق. وعلى دليله أن يكون واقفاً على هدفه وعارفاً بالطريق الذي يؤدي إلى هذا الهدف. فالإنسان كالمسافر الذي طوى بعض العوالم وأمامه عوالم أخرى؛ وهدفه وطريقه معيّنان. والإنسان الكامل هو الذي يعرف الهدف والطريق كذلك وهو ليس إلا الإمام والنبى الذي يتولى قيادة الناس.

وبما أنّ للإنسان المؤمن هدف وطريق محدّدان فهو مطمئن ومستقر من دون أن تتابه الحيرة. وقد مدح القرآن المؤمنين حين يذكرهم إبان الحروب قائلاً: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾^١، أو ﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢، وبهذا يمدح النبى والمؤمنين بالسكينة والطمأنينة والقرار. إذن فالمؤمن فى سكينة وقرار والكافر فى شك وتردد. والإنسان المردّد لا يقرّ له قرار ولا يصل إلى المقصد.

العبادة سلّم الترقى

ليس المراد بهذه المقولة: أعبد حتى يأتىك اليقين هو ترك العبادة بعد الوصول إلى اليقين. وذلك كأن يقال للإنسان إن أردت الوصول إلى السقف لرؤية السطح استخدم المرقاة واصعد درجاته لرؤية السطح، فلا يعنى ذلك إذا رأيت السطح أن تقول لا حاجة بعدئذ إلى المرقاة. لأنك تنظر إلى السطح عبر الاتكاء على هذا المرقاة. وكذلك حال العارف فهو يصل إلى اليقين باتكائه على العبادة وتركه للعبادة بعد نيل مرتبة اليقين يستلزم السقوط، إذ لا يمكن الاستغناء عن العبادة فى مرحلة من المراحل.

١. سورة الفتح، الآية ١٨.

٢. سورة الفتح، الآية ٤.

وإنَّ العبادة أمر ذاتي للعبد في الدنيا أو الآخرة. بيد أنَّ للعبادة في الآخرة ظهور بنوع آخر. فتظهر في الدنيا على شكل صلاة وصوم وفي يوم القيامة يُقال له: «اقرأ وارقه»^١، فالدار الآخرة ليست بدار عمل وإنما هي دار ظهور نتائج الأعمال. وما يقرأ الإنسان من آيات في الدنيا تظهر في يوم القيامة واحدة تلو الأخرى ويرقى كل واحدة منها.

وليس المقصود من «اقرأ وارقه» هو أن تقرأ وترقى في الآخرة لأن خطاب اقرأ أولاً يُخاطب به المرء في دار الدنيا، وإنَّ آيات القرآن خزائن إلهية، فيقرأ العبد ويرقى و يحصل بكلِّ درجة على مرقاة تسوقه إلى الرقي أعلى وتُحرّكه لا أن يبقى واقفاً. و ثانياً يقال للإنسان في الدار الآخرة: هذه الدرجات التي تشاهدها هي وليدة أعمالك في دار الدنيا. و ظهور أعمال الدنيا في يوم القيامة بأن تظهر لك ما قرأته هنا على نحو الرقي والتكامل في يوم القيامة. ولذا فإنَّ العبادة مرقاة. بيد أنَّ الإنسان قد يستخدم هذا المرقاة للنزول إلى قعر البئر كالذي يعبد عن نفاق ورياء. فلو أعطيت هذا المرقاة حافر الآبار لنزل به إلى البئر ولو أعطيته مهندس الكهرباء لصعد به إلى الأعلى. وهذا يتعلق بالذي تسلّمه هذا المرقاة. فالمنافقون يعبدون لينزلوا والمؤمنون يعبدون ليرتقوا و دور العبادة للمؤمنين هو ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٢ و دورها للمنافقين هو ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^٣.

و كلما ازدادت درجات هذا المرقاة كلما زادت المنافق نزولاً في قعر البئر وكثرة عبادته لا تزيده إلا شقاءً. و من جانب آخر كلما ازدادت درجات إيمان الإنسان كلما أدرك باطن العبادة وأدى إلى وصوله مرتبة لا يرى فيها سوى الله.

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠١، ح ١٢؛ كنز العمال، ج ١، ص ٥٢٠، ح ٢٣٣٠.

٢. سورة الحجر، الآية ٩٩.

٣. سورة التوبة، الآية ٤٥.



و إن شعر الإنسان بالطمأنينة فقد وصل إلى حكمة العبادة و لا يُخيفه بعد ذلك أمر و لا يُقلقه حادث. و هذا هو اليقين الذي لا يتأتى للإنسان من دون العبادة. فقد يصبح الإنسان عالماً و يعبد الله عبادة صورية و لكن ما لم يصل إلى سرّ العبادة لم يكن من أهل اليقين.

ثم إنَّ «الربّ» هو المالك و المدبّر. و ربّ الإنسان هو مبدأ الوجود الذي بيده تقدير الإنسان و تدبيره و هو الذي لا يستطيع الإنسان من دونة سدّ احتياجاته. فإنَّ الله هو المدبّر لا محالة، و العبادة هي أن يستفيد الإنسان من نفع المعبود و كماله؛ و لذا فإن تعليق الحكم على هذا الوصف حيث قال ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ ناظر إلى هذا الاستدلال، أي أنك اعبدّه لأنّه ربك.

و لكن ما هو الهدف من العبادة؟ هل لأنها تُؤمّن رزق الإنسان؟ فإنَّ الله رازق و لكن لا تنبغي عبادته لتأمين الرزق، و هو رحيم و لكن لا تتجذّب عبادته لعدم دخول النار. بل على المرء أن يكون عالي الهمة فلا يعبد ربه لعدم دخول النار بل و لا لدخول الجنة أيضاً لأنه سيُدخل عبده الجنة و الأفضل أن يرى الإنسان نفسه أسمى من ذلك و يبعد الله لأنه يحبه كما هو حال الإمام الصادق عليه السلام.

فلا تعبد ربك كالمستجدي للأجر لأنَّ الله يعرف كيف يغمر عبده باللطف و الرحمة^١.

نعمة المعرفة و الشهود

لا توجد ثمة نعمة أعلى من نعمة المعرفة و الشهود و اليقين. فلو شاهد الإنسان حكمة العالم لما اعتبر لذات العالم لذّة. و من وصل إلى مرتبة اليقين سيشهد باطن العالم

١. بيت بالفارسية و هذا نصه:

تو بندگی چو گدایان به شرط مزد مکن که خواجه خود روش بنده پروری داند



و باطن نفسه و باطن نفوس الآخرين و لذا تراه لا يستند إلى نفسه و لا يعتمد على الغير و لا يستمدّ منهم المعونة؛ لأنه يعلم بعدم وجود شيء في باطن الإنسان و غيره، و من وصل إلى هذا المقام لا يترك محبوه الحقيقي بتاتاً و يعبد له ذاته.

و إنّ القرآن الكريم يذكر المتمتعين بنعمة اليقين بإجلال و إكبار و منهم إبراهيم الخليل الذي يقول القرآن في شأنه: ﴿وَكَذَلِكَ نُبْرِئُ إِِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^١، فوصل إبراهيم إلى مقام اليقين و حين قالوا ردّاً على تحطيمه للأصنام: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾^٢، لم يستند و لم يلجأ إلى أحد لأنه كان من أهل اليقين.

فإنّ لرؤية الملكوت هذه منافع منها الوصول إلى اليقين. و كما يتأتى لإبراهيم رؤية ملكوت العالم يتسنى لغيره أيضاً الوصول إلى هذا المقام. علماً بأنّ هذا المقام لا يناله كلّ أحد. و حاله حال المكتبة العامة الحاوية لكتب متوفرة لدى الجميع إلا أن فيها كتباً خطية و نسخاً فريدة لم توضع بين يدي الجميع و لا تُسلم مفاتيح هذه الخزانة لأي أحد. قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٣، فقد شاهد إبراهيم خزائن كتاب التكوين هذا و باطنه و بإمكان غيره مشاهدته أيضاً.

و بحث على ذلك في موضع آخر قائلاً: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٤، لماذا حبسوا أنفسهم على عالم الملك و اكتفوا بالتعاليم الظاهرية الجافة؟ لم يرينظروا في باطن العالم و ملكوته؟ و لم يفتحوا هذه الخزانة ليطالعوا النسخ الخطية الأم و الأصيلة؟ فإنّ لسان هذه الآية الكريمة هو الحثّ على الخير.

١. سورة الأنعام، الآية ٧٥.

٢. سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

٣. سورة المنافقون، الآية ٧.

٤. سورة الأعراف، الآية ١٨٥.



و إنّ النظر غير الرؤية وإنّما يكون طريقاً لها. فقد ينظر الإنسان ولكنه لا يرى و قد ينظر و يرى. ومثله مثل الذي يصعد إلى السطح لرؤية الهلال و عينه ضعيفة فيقول: «نظرت فلم أر الهلال». بيد أن البعض ينظرون و يرون الهلال في نفس الوقت؛ و يصل نظرهم إلى الرؤية.

فقد قام الله سبحانه في هذه الآية الكريمة بحث بعض و تأنيب آخرين بأنهم لم يذهبوا إلى باطن العالم؟ ولم يروا في ملكوته؟ فلو تعدّرت الرؤية لما دعانا الله إليها.

الأنبياء و باطن العالم

لريكن الأنبياء كسائر الساسة يتركون الساحة عبر التهديد أو التطميع أو أنهم يفقدون الحزم و العزم. و ليرتد أي إشارة على تطميع الأنبياء في التاريخ؛ بأن يُجبروهم على السكوت بتسليمهم مقداراً من الأموال أو عبر بعض الأعمال و الغرائز الجنسية. و إنّ الحظ الأوفر من حياة الأنبياء كان بين الناس و كانوا في الأغلب يصلون إلى المقام الشامخ للنبوّة في سنّ الأربعين و إنهم لم يرتدعوا عن ارتكاب المحرمات فحسب بل كانوا يجتنبون بعض المحللات أيضاً و قد انصبّ سعيهم لتسليم كل ما بأيديهم إلى الناس. و إنّ الذي حدث في الحجاز أيضاً لم يتعدّ الاحتمال حين قالوا لأبي طالب: ماذا يطلب ابن أخيك... فقال النبي: «يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه»^١.

ثم إنّ الرسول ﷺ قد تزوّج في الخامسة و العشرين من عمره بامرأة تبلغ من العمر أربعين سنة^٢، ولذا لم يخطر ببال أحد أن يتمكّن من تطميع النبي عبر إرضاء

١. سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٦٦.

٢. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١٢.



الغريزة الجنسية، و كان سائر الأنبياء أيضاً كذلك.

و هذا هو قائد الثورة الإسلامية الكبير المتخرج من مدرسة الأنبياء الذي لم يجرأ أحد على تطميعة و أما تهديدات الأعداء فقد عاش بطريقة وقف من خلالها كالموج المنبثق من بحر الإمامة و النبوة أمام كل تلك التهديدات.

و يقول القرآن حول النبي صالح عليه السلام عن لسان المفسدين حينما خاطبوا قومه: ﴿قَالُوا تَفَاسُمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّ لَهُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾^١.

و هكذا فقد وردت مثل هذه التهديدات بشأن سائر الأنبياء أيضاً ولكن لم يكن تطميع في البين. لأن الأنبياء عاشوا بحيث كانوا باطن العالم و من يشهد باطن العالم لا يتعلق بالميتة؛ إذ أن باطن الدنيا ميتة. و من وقف عبر مراعاة الأحكام و آداب العبادة على جانب من أسرار العبادة فإنه سيشهد جانباً من أسرار الدنيا أيضاً و هي ليست إلا جيفة. و إن الدنيا ليست هي الأرض و الصحراء و البحر فإن هذه الظواهر آيات إلهية، كما أن الأكل و الشرب و النوم و ما إلى ذلك ليست بدنيا بل هي جزء من قوانين نظام الخلق، و إنما الدنيا هي كل ما يحجب الإنسان عن الله، و هي الأوهام و التخيلات الباطلة، و التعلقات بأن يقول الإنسان أن هذه الأموال مختصة بي و لا بد أن أحصل عليها أكثر من الآخرين، فهذه هي الدنيا و باطنها جيفة.

أولياء الله و باطن الدنيا

قال علي عليه السلام: «الدنيا جيفة و طلابها كلاب»^٢، و قال أيضاً: «... هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها»^٣، و لا يعني بهذا الكلام أنه

١ . سورة النمل، الآية ٤٩ .

٢ . بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ٢٨٩ .

٣ . نهج البلاغة، الحكمة ٧٧ .



قد طلق الأكل والشرب والنوم والزراعة وإدارة أمور المسلمين على أساس العدالة بل الذي طلقه ثلاثاً هو حب الجاه وطلب الحرام والتجاوز والتعدي وأشباه ذلك. وفي واقعة الجمل حينما احتل طلحة والزبير بزعمهم البصرة فتحوا بادئ الأمر باب بيت المال فلما رأوا ما حواه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا أنه يعجلها لنا! ولما هجم جيش أمير المؤمنين عليه السلام واستعادوا البصرة، دخل علي عليه السلام بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال: «يا صفراء يا بيضاء غري غري»^١، لأنه قد طلق الدنيا ثلاثاً فما بال الذهب والفضة.

ولربكن مراد الإمام بذلك الحكومة فإنه كان يسعى للحفاظ عليها وإن الخلافة التي تقام لتطبيق الحق والعدالة ليست بدنيا، فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^٢ وذلك لأنهم لا يفكرون إلا بالدنيا.

وروي في أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأل أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة، فقال: كلاهما عندي حبران فأعط الأعرابي أنفعهما له^٣.

وقال علي عليه السلام بعد ذكره قضية أخيه عقيل حين طلب منه المعونة وأحمى له حديدة ثم أدناها من جسمه ليعتبر بها:

«وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَانِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَسِثَتْهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَبِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْثِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ لَا دَا وَ لَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبْلَتِكَ الْهُبُولُ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَتَّخِذَ عَنِّي، أَمْ تُحْتَبِطُ أَنْتَ أَمْ ذُو جَنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ، وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا نَحْتُ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ»^٤.

١. الغارات، ج ١، ص ٥٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٣٣٣.

٢. سورة الملك، الآية ٢٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٣٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.



فأظهر الإمام لنا في هذا الحديث جانباً من باطن الدنيا وشبهه بالمعجون الناتج من قبيء الحية أو بصاقها! وفي قبال ذلك باطن العبادة الذي ليس إلا الروح والريحان والجنة والنعيم ولو استطعنا رفع الستار لشاهدنا ما وراءه. وقد قيل لنا: لا تستلزم مشاهدة ما وراء العالم سلوك طريق الدرس والبحث والمدرسة، فإنّ النفحة الإلهية هي التي ترفع الستار عبر التهذيب وتوقف المهذب على أسرار العالم؛ ومن المؤسف أن يموت الإنسان ولا يشاهد الأسرار فإنّ لمشاهدتها من اللذة والعذوبة ما يعجز البيان عن وصفه! والواقف على ما وراء عالم الطبيعة لا يشغله شاغل ولا يردعه التهديد والتطميع عن مواصلة هدفه ولا يتعلق بشيء ولا يخاف من شيء.

الفرق بين المدرستين

جاء جمع من المستشرقين من روسية (السابقة) إلى إيران عبر وزارة الخارجية و طلبوا أيضاً اللقاء ببعض رجال الدولة، فجاءوا مع عدد من المسؤولين في تلك الوزارة إلى هيئة القضاء العليا. وكان عددهم ثلاثة ومعهم مترجم، فقالوا بأن الشيوعية تنسجم مع الإسلام! فقلنا لهم: لا يوجد أي قاسم مشترك بين ذلك الحزب وبين الإسلام، لأنكم تعتقدون أن الإنسان كالثمرة على الشجرة، يسقط منها بانتهاء عمره و يفسد و يتبدّل إلى تراب و لا يوجد من وراء ذلك شيء، ونحن نرى أن الإنسان كالطير في القفص، يكسر القفص إذا انتهى عمره و يطير إلى عالم الخلود وله حياة خالدة إلى الأبد، إذن لا يوجد وجه اشتراك بين هاتين المدرستين على الإطلاق.

فباتوا ينظر بعضهم إلى الآخر بأن الإسلام ماذا يقول ونحن ماذا نقول!

و قد كان المجاهدون في صدر الإسلام يتناهم الرعب والخوف في الحروب غير العادلة، ولكن بعد أن اتّضحت آيات الشهادة وعظمة الروح و خلود الإنسان و طيرانه من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة، باتوا يُقَطِّعون أغلال الخوف و لا يتقاعسون عن الحرب و يبذلون قصارى جهدهم لإزالة الغبار عن الطريق و مشاهدة الحقيقة.



فإن جمال الحبيب لم يحجب حجاب ولكن على المرء أن يشقّ غبار الطريق لينظر إليه.

و لا يستطيع المرء أن يبذل مهجته فيه إلا إذا استنار قلبه بنور الهداية^١.
و إنّ الطرق الانحرافية تربية تثير الغبار و هو يحجب عن رؤية المناظر الطبيعية، و
أما الصراط المستقيم فهو صاف لا غبار فيه و أمامه إطلالة واسعة جذابة.
يقول البعض: افتح عينيك لترى، و لكن يقول أهل المعنى، أطبق عينيك لترى،
فعلى المرء أن يغضّ طرفه عن كثير من الأشياء لتُفتح عين قلبه، و عليه أن يسدّ أذنيه
عن الكلام المحرّم ليسمع بأذن قلبه صوت الملكوت المنعش، و من أراد الاستماع إلى
صوت قارئ الجنة عليه أن يراقب أذناه في دار الدنيا؛ يقول علي عليه السلام: «داود عليه السلام
قارئ أهل الجنة»^٢.

عالم الملك و الملكوت

«الملكوت» هو الباطن و «الملك» هو الظاهر. فحيثما دار الكلام عن الملكوت
جاءت سبحانه ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٣، و حيثما جرى الحديث عن
الملك ظهرت تبارك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾^٤. و الفرق بين الملك و الملكوت
كالفرق بين الظاهر و الباطن. و قد دعانا الله بأجمعنا إلى أن نطلع على باطن العالم و أن
لا نبيع أنفسنا بثمن بخس و لا نعتمد عليها و لا على الآخرين. و قد بيّن طريق

١. بيتان بالفارسية و هذا نصهما:

جمال یار نـدارد نقاب و پردہ ولی غبار ره بفشان تا نـظر تو انی کرد
دلا ز نور هدایت گر آگهی یابی چو شمع خنده کتان ترک سر تو انی کرد

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٣. سورة يس، الآية ٨٣.

٤. سورة الملك، الآية ١.

الوصول إلى باطن العالم من سلكه ووصل إلى المقصد.

روى الشيخ المفيد رحمته عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام أنه قال: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال: من قال لا إله إلا الله فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح، ولا دين لمن دان الله بتقوية باطل ولا دين لمن دان الله بطاعة الظالم»، ألا يدعونا هذا إلى حكمة العبادة؟ وألا يهدينا إلى حكمة «لا إله إلا الله»؟ وهل يتأتى لكل امرء الوصول إلى ملكوت العالم؟ بيد أن من يطلع على ملكوت العالم والملكوت يستجلب اليقين، سيبعد عن التردد ولا يشك في أي أمر.

الحرمان من رؤية الملكوت

قال عمار بن ياسر: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل. وقال أيضاً وهو مع علي عليه السلام: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت.

وروي في نهج البلاغة عن علي عليه السلام أنه قال: «ما شككت في الحق منذ أريته»^١. فمن كان ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^٢ لا يدخل الشك في قلبه. والشاك هو الذي لم يجد سبيلاً إلى الملكوت ولم تتعدّ عبادته الصورة والظاهر ولم يصل إلى حكمة العبادة. وإن حكمة العبادة هي الوصول إلى الملكوت ومشاهدة الملكوت مقرونة باليقين ولا يوجد في العالم شيء أسمى وأعلى من اليقين الذي وهبه الله لخاصة أوليائه.

١. الأمالي للشيخ المفيد، ص ٢٠٣، المجلس ٢٣، ح ٧.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٨٤.

٣. سورة هود، الآية ١٧.



ولو كان إبراهيم الخليل عليه السلام حاضراً في هذا الزمان ألم يقل لنا نفس ما قاله لعباد الأوثان في زمانه؟ ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^١ وذلك لما نعبد ما صنعناه من أصنام في أنفسنا؛ حيث اتبعنا أهواءنا وبتنا نفرح إذا ما مدحونا ونستاء إذا ما نقدونا نقداً بئاءً سالماً ونحب أنفسنا حباً جماً كاذباً، فهل نحن عباد أنفسنا أم لا؟ ولو كان إبراهيم الخليل عليه السلام فيما بيننا لما قال لنا: أف لكم ولما تعبدون من أهوائكم؟

و أما إذا وصلنا إلى الملكوت فنشاهد باطن أنفسنا ولو شهدنا باطن أنفسنا و باطن الآخرين لما اعتمدنا على غير الله لحظة واحدة و سنكون عند ذاك من شيعة إبراهيم الخليل: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ﴾^٢ محمد ﷺ . و حينئذ سيستجيب الإنسان دعوة ربه حيث يقول: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٣ و يصل إلى ملكوت العالم.

محاسبة النفس

على المرء أن لا يغفل عن محاسبة نفسه في كل حين. ولو قام بحركة ولو كانت بسيطة تؤدي إلى تعزيز الباطل سيبعد بنفس ذلك المقدار عن دين الله. فقد قال الله سبحانه: ﴿وَنِلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُزَّةٌ﴾^٤، حيث استند إلى حركة شفافها بأن لا تتحرك بحيث تؤذي أحداً أو تستحقره. كما ويتحدث عن حركة العين و كيفية النظر قائلاً: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾^٥، فلا ينبغي أن يغفل الإنسان عن محاسبة نفسه. و إذا ما قام بما يعين

١ . سورة الأنبياء، الآية ٦٧ .

٢ . سورة آل عمران، الآية ٦٨ .

٣ . سورة الأعراف، الآية ١٨٥ .

٤ . سورة الهمة، الآية ١ .

٥ . سورة غافر، الآية ١٩ .

الباطل فهو في تلك اللحظة غافل عن دين الله، لأنّ دين الله لا ينسجم مع أيّ باطل ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَما يُؤَدِّيُ الْبَاطِلُ وَما يُعِيدُ﴾ أي لا يبقى مجال للباطل بمجيء الحق. ثم إنّ الشيطان يخادع الإنسان عبر حباله الخاصة بالتكاثر. و أما الذي يصل إلى الكوثر لا يركن إلى التكاثر وهذا ما لا يناله إلا القليل من الناس.

إن كنت ما تحمله شوكا فأنت الذي زرعته أو حريراً فأنت الذي غزلته.^١
فإنّ الإنسان يعمل ليلاً ونهاراً؛ إما أن يكون مشغولاً بسقي الشجر الشائك أو بغزل أقمشة الحرير والاستبرق. وإذا ما لاقى العذاب بعد الموت فلأنه تجشّم العناء طيلة حياته وقام بسقي شجرة شائكة، إذ أنّ سوء اللسان و سوء البيان و سوء البنان و أذى الإخوان كلها شوك. وإنّ الذنب الذي يقترفه و الظلم الذي يرتكبه كالماء الذي يصبّه على أشجاره الشائكة. و لا يعرف الحقّ إلا بعد أن تهاجمه أشواك هذه الشجرة. و عندما يضعونه في القبر فكأنها يضعوه على فراش مليء بالشوك والحسك. و لا يقرّ له قرار حتى وإن تقلّب يميناً وشمالاً؛ لأنه ليرزع طيلة حياته سوى الشوك.

لا يهدأ من يتقلّب متمللاً على فراش حاكه من نسيج الأشواك.^٢
بيد أنّ الإنسان إن دأب في حسن الخلق و الإحسان إلى المسلمين و أصبح مصداقاً لقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ بعد أن كان ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، فمثله مثل الذي يغزل حريراً.

١. سورة سبأ، الآية ٤٩.

٢. بيت بالفارسية في مثنوي معنوي، الكتاب الثالث، وهذا نصه:

اگر بار خار است خرد کشته ای وگر پریشان است خود رسته ای

٣. بيت بالفارسية وهذا نصه:

چه آساید به هر پهلوی بغلطد هر او کز خار سازد او نهالین

٤. سورة الفتح، الآية ٢٩.



يقول الإمام الرضا عليه السلام في سجوده: «لك الحمد إن أطعتك، ولا حجة لي إن عصيتك، ولا صنع لي ولا لغيري في إحسانك، ولا عذر لي إن أسأت، ما أصابني من حسنة فمنك يا كريم...»^١، فعلينا أن نرى بأننا مبتلون بالتكاثُر أم متذوقون من الكوثر الذي هو باطن هذا العالم؟

وقد جاء في كلام رسول الله ﷺ واصفاً «الورع» بأنه أفضل الأعمال^٢، وهو أن يبتعد المرء عما حرم الله فيكون بذلك ورعاً متقياً.

وروي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال في «الورع»: «من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس، ومن اجتنب عما حرم الله عليه فهو من أعبد الناس ومن أروع الناس، ومن قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس»^٣. وذلك لأن اقتراف الذنب قيام على المحبوب، وعلى الإنسان أن يتجنبه ل لعدم دخول النار فإنها عبادة العبيد الذين يجتنبون الذنب خوفاً من النار. بل إن باطن الذنب ليس إلا النار و حقيقته ليست إلا الدنس.

الوصية بالتوحيد

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن ضرب على رأسه الشريف الحسن والحسين عليهما السلام بل وكل المسلمين لما جاء في هذه الوصية: أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي؛ قائلاً: «وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً»^٤، أي أن لا تجعلوا شيئاً شريكاً لله ولا تنسبوا عملاً هو لله إلى غيره.

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١١٧.

٢. الخطبة الشعبانية، أربعين الشيخ البهائي، ص ٧٣، ح ٩.

٣. الأمالي للشيخ المفيد، ص ٢٠٤، المجلس ٢٣، ح ٩.

٤. نهج البلاغة، الكتاب ٢٣.



حيث إنَّ المشركين ينسبون فعل الله إلى غيره، لا أنهم يشاركون الله في أعمالهم فيجعلون جزءاً منه له و جزءاً لغيره فإن ذلك ليس بالشرك المعهود وإنما هو الرياء. بل إنَّ العمل الذي لا بدّ و أن يُنسب إلى الله ينسبه المشركون في الأغلب إلى غير الله. و يعبدون الأصنام بدلاً من عبادة الله و يعتقدون على سبيل المثال في باب الشرك في العبادة بأن هناك مبدءان؛ أحدهما خالق للعالم و هو الله و الآخر مدير و مدبّر له.

و الوصية بالتوحيد هي أن لا ينسب الإنسان العمل لنفسه و لا لغيره بل ينسبه لله وحده و يعلم أن لا مدبّر في العالم إلا الله. فلا توجد نعمة أعلى من نعمة التوحيد و لا ذنب أسوأ من الشرك ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١. فهل من السائغ أن يجلس الإنسان في جميع حالات الوجود على مائدة الله الواحد و يعتبر غير الله مبدأً للأثر بوصفه ربّ؟ و هذا ما سيتبعه العار و الشنار في هذا العالم.

ثم يقول الإمام في تمة وصيته: «و محمداً ﷺ فلا تضيّعوا سنته»، أي احفظوا بعد التوحيد رسالة النبي و احتراموا الوحي و النبوة و قدّروا أخلاق النبي و آدابه و أكرموا ما نقل عن النبي و لا تضيّعوا سنته و دينه.

ثم قال بعد وصيته بأصل التوحيد و النبوة و دين الله: «أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين».

و قال بعد ذلك: «أنا بالأمس صاحبكم و اليوم عبرة لكم و غداً مفارقكم». فانظروا إليّ لتعرفوا بأن القدرة و الصحة و الثروة لا تدوم و لا يبقى أحد في العالم إلى الأبد. و قد كنت أترقب الموت لسنوات مديدة «تالله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه»^٢.

١. سورة لقمان، الآية ١٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥.



الدار الباقية و اشتياق اللقاء

قال علي عليه السلام لأُم كلثوم في مرضه الذي قبض فيه: ما يبكيك يا بنية... لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت. قالت: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أرى ملائكة السماوات والنبين بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني.

و كلام الإمام الحسين عليه السلام في سفره التاريخي إلى كربلاء يؤيد هذا المضمون: «ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»^١. فأراد الإمام بهذا البيان أن يقول بأننا لانهاب الموت لأننا نترك الطالحين ونرد على الصالحين وهم الأنبياء.

وهناك في الحالات التي طرأت على رسول الله ﷺ في أواخر حياته حُكِمَ قد ظهر جانب منها في الحديث الذي قاله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي إذا أنا مت فغسلني وكفني ثم أقعدني وسائلني و اكتب»^٢.

فهل تنقطع علومهم بالموت؟ أم هل تعلموا من مدرسة البشر حتى يتعذر تعليمهم بعد الموت؟ وإن الذي تنهمر علومه على كثيرين بإشارة واحدة، يكون بعد الموت أيضاً كذلك. ثم قال النبي: «ثم سلني أخبرك بما هو كائن إلى يوم القيامة»، أي سلني عما حدث حين نزوع الروح و حين الورود إلى ذلك العالم و حين ترك الدنيا، فهذه ليست من العلوم المتواجدة في المدرسة البشرية.

ولكنه قال لطائفة من الناس الذين كانوا سيكون حوله: «أنتم المقهورون والمستضعفون من بعدي»^٣.

١ . بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦.

٢ . بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٢.

٣ . الأمالي للشيخ المفيد، ص ٢٣٤، ح ٢.

النبي ﷺ وأسرار القيامة

قال رسول الله ﷺ: «أنا والساعة كهاتين» ثم ضم السباحتين^١. وكان إذا ذكر الساعة احمر وجهه حتى وكأنه يخبر عن خطر مخرب قريب الوقوع، فإن من يُبلغ خبراً مريباً ثقیلاً يتغير وجهه في الأغلب، ثم أقبل على الناس بوجهه فقال: أنا والساعة كهاتين. أي لا يوجد بيني وبين القيامة فاصل ولا تأتي بعدي شريعة ولا دين ولا كتاب. (وهذا هو المعنى المتوسط الذي ذكره بعض شراح أصول الكافي) وقال بأني أعرف حقيقة يوم القيامة. وإنما يحمر وجه النبي لأنه كان بمعية يوم القيامة وليس ببعيد عنها.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^٢، فلا فرق عندي بين خلف الغطاء وأمامه وكأني أنظر إلى يوم القيامة. بيد أن النبي فاق هذا الكلام بقوله: أنا والساعة كهاتين. فإن الإصبعين المتقاربين يعرف كل منهما خبر الآخر، ويشعر كل منهما بحرارة الآخر وبرودته: أنا أعرف ماذا يحدث في يوم القيامة وأنتم ما زلتم في غفلة.

فإن بعض الناس يُحشر في يوم القيامة أعمى، لأن عينيه اعتادت على رؤية ما لا يوجد في يوم القيامة، وما هو موجود فيها يتطلب عيناً مناسبة لمبيئتها ولذا لا يرى شيئاً ويكون أعمى وأبكم وأصم. فإن نظامها نظام آخر وتجارها تجارة أخرى والناس في راحة ودعة!

وإن الذي يأتي من منطقة تعرضت لقصف صاروخي من قبل الصهاينة الكفار، يستطيع القول: أنا والحرب كهاذين الإصبعين؛ وأنا أعرف أخبارها ولكنهم لا تعرفون شيئاً عنها.

١. الأمالى للشيخ المفيد، ص ٢٠٧، المجلس ٢٣، ح ١٤.

٢. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ١٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٣.

ثم قال النبي: «يا معشر الناس! إن أفضل الهدى هدى محمد ﷺ»، وهو الطريق الذي بلغه الله سبحانه بواسطتي لأنني لا أخبركم عن مكان بعيد وإنما أخبر عن قرب وكتب. فإن الإخبار عن النار والجنة وبيان خصائص يوم القيامة لا يتيسر إلا من يخبر عن قرب.

علمًا بأننا نستطيع الوصول إلى مرتبة يمكننا القول فيها: «أنا والساعة كهاتين»، إلا أن رسول الله هو الرائد في معيته ليوم القيامة كالإصبعين ونحن بإمكاننا مشاهدة جانب من أحوال يوم القيامة تبعًا للنبي ﷺ.

يقول المرحوم المولى عبد الرزاق الكاشاني رحمه الله: «وقد شاهدناهم يأكلونها (غسلين) عياناً»^١ والغسلين هو القيح، وهذا كلام عظيم للغاية! فقد قال الله سبحانه: ﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾ لا يأكله إلا الخاطئون^٢، فإن باطن الأكل الحرام هو الظلمة وباطن العبادة هو النور.

و يقول المرحوم صدر المتألهين بأن هناك أشخاص يشاهدون من يخرج من فمه نار حين التكلم وكأنه جالس في التنور عند السكوت. لأن المعصية والسباب والغيبة والتهمة والإهانة وسوء الكلام والمهاترة والكلام الجارح والأذى كلها نار يخرج من الفم وهذا هو باطن الذنب. فلو تعذر علينا الوصول إلى مرتبة يمكننا القول فيها نحن والقيامة متقاربين، يمكننا القول على الأقل بأننا وبعض أسرار القيامة متقاربين.

ضغط الموت و عارضة النسيان

إن لحادثة الموت من الشدة بمكان تبعث الإنسان على نسيان علومه ومقروءاته.

١ . تفسير محي الدين بن عربي، ج ٢، ص ٦٩٥. جدير بالذكر أن المشهور باسم تفسير محي الدين بن عربي هو نفسه تأويلات المولى عبد الرزاق الكاشاني.

٢ . سورة الحاقة، الآية ٣٦ - ٣٧.



فتارة نحفظ الكثير من المباحث ونعلم بها ولكن نُسأل عن أبسط المسائل الإسلامية فننسى الإجابة عليها.

و السؤال في يوم القيامة لا يرد في المسائل الإسلامية المعقدة كأن يقال لنا ما هو المعراج؟ وما هو التفويض والقضاء والقدر؟ وما هو لوح المحو والإثبات؟ وما هو اللوح والقلم؟ وما هو شق القمر؟ بل يتم السؤال منا من ربك؟ وما دينك؟ و كتابك؟ ومن أي جهة قبلتك؟ فيسألوننا عن أبسط الأسئلة التي نُعلّم بها أطفالنا. بيد أنّ الكثير من الناس يصابون بالنسيان. لأن ضغطة الموت لا تذر ذاكرة لأحد. وذلك كالمبتلى بمرض الحصبة أو العوارض الدماغية الذي ينسى كل ما قرأه لمدة طويلة. وإنّ الكثير من العلماء والمفكرين عندما يصاب بالدماغ ويرأ من مرضه ينسى ما تلقاه من معلومات. فإنّ الإنسان يرى إثر ضغطة الموت فجأة أنه انتقل من الظاهر إلى الباطن و من الملك إلى الملكوت و هاجر من عالم إلى آخر. فيُسأل و هو في هذا التحول العميق من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ وقد نسي الجواب. وإذا قيل لنا اذكروا الله على الدوام: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^١، فلأنّ ذكر الله لا يتحدّد بزمان و عدد. وإذا حدّدوا لنا العبادات قائلين: تكفي الصلاة في اليوم و الليلة خمس مرات يبلغ عددها سبع عشرة ركعة و الصوم خلال السنة شهر واحد و الحج في العمر مرة واحدة و... و لكن لم يحدّدوا لنا ذكر الله بحدّ معين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^٢، فعلى الإنسان أن يذكر الله و يزرعه في قلبه على الدوام و أن يُجري ذكره في قلبه و اسمه على لسانه و لا يكون كالذي لا يذكر الله إلا إذا أخطق به خطر. و سيرد الكلام عن الذكر و حكمته في القسم العاشر.

١. سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٤١.



لقد كان للإمام الخميني رحمته الله نصيحة آخر السنة الدراسية وفي نهاية الدرس يذكر هذا الحديث الشريف الذي شوهد فيها بعد في أبحاث يوم القيامة وهو أنه تُسأل طائفة من الناس في يوم القيامة من نبيكم؟ فيتذكرون بعد أحقاب من العذاب؛ أي ما يقارب ثمانين سنة أو قرناً، ويقولون: نبينا الذي نزل عليه القرآن؛ ولكنهم لم يتذكروا اسم النبي ﷺ.

ولقد كان رسول الله ﷺ إذا دار الكلام عن يوم القيامة ومسألة الموت والحشر والصراط والحساب ومحكمة العدل الإلهية يتعامل و «كأنه منذر جيش». وكان إذا يذكر الساعة والنار «تحمّز وجتاه».

ثم إن «من مات قامت قيامته (الصغرى)»^١، ولكن لا يُدرى متى تقام القيامة و يرى الإنسان فجأة بأنه في عالم آخر وقد تغيّرت الأوضاع وهو لا يعرف أحد وما كان يعرفه قد خلفه وراء ظهره. فلو نقلوا الإنسان فجأة من شرق الأرض إلى غربها أو العكس لا يقع في ضير ومشكلة لأن الناس هم أنفسهم والنظام الحاكم على الشرق لا يختلف عن النظام الحاكم على الغرب، فهناك الشمس والقمر والناس والحياة مع اختلاف يسير، بيد أن الإنسان عبر الموت سيدخل فجأة في عالم لا يوجد له أدنى ارتباط بعالم الدنيا ويوجد فيه أمور أخرى.

ثم يقول ﷺ: «صَبَحْتُمْ السَّاعَةَ، مَسَّكُمْ السَّاعَةُ»، أي ستردون يوم القيامة صباحاً أو مساءً إلا أن الكثير من الناس يُجَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ. ويقول أيضاً بأنهم لا يعلمون ما هو الزاد ومن الذي ينفعهم وماذا يريدون من الإنسان هناك. وقال بعد ذلك أيضاً: «من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً فعليّ وإليّ»^٢، أي من ترك مالاً بعد موته فهو لورثته، ومن كان عليه دين وأهله فقراء فعليّ إعالتهم.

١. بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٧.

٢. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٥٦، ٣٦.

لقد خاض النبي و المسلمون في صدر الإسلام ما يقرب من سبعين إلى ثمانين معركة و كان المسلمون آنذاك في ضعف و الحروب كلها غير عادلة، و رغم كل ذلك فهل كان النبي يحمرّ وجهه عند إعلان الحرب؟ و قد كان المسلمون يقتنعون بنصف ثمرة و المشركون ينحرون الإبل و يأكلونها. فهؤلاء يأكلون قشر التمرة و أولئك الكباب، و هؤلاء رجاله و أولئك خياله، و هؤلاء مجردين عن السلاح و أولئك مسلّحون. ففي معركة بدر على سبيل المثال حيث كانت أول معركة مسلحة لا يمكن المقارنة بين الطرفين؛ بيد أن النبي ﷺ الذي كان قد تولّى قيادة هذه الحرب غير العادلة لم يحمرّ وجهه بتاتاً.

و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لقد كنا ليلة بدر و ما فينا إلا من نام سوى رسول الله ﷺ، إنه كان في أصل شجرة يدعو و يصلي إلى الصباح»^١، و كان الجميع في قلق ممّا سيواجهونه في الغد إلا الرسول لم يعبأ بذلك. و لكن إذا جرى الحديث عن الموت و عقباته كانت تحمرّ وجنتاه و كأنه كان يرى نار جهنم: ﴿كَأَلَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^٢. فمن وصل إلى اليقين سيرى نار جهنم.

طريق الوصول إلى حكمة العبادات و أسرار العالم

لقد وضع الله سبحانه هذا الطريق أمام عباده و السالكن إلى به و علّمنا سبل الوصول إلى هذه المراتب واحداً تلو الآخر. فإنّ الإنسان على سبيل المثال يشعر في شهر رمضان المبارك بالعظمة و يجد مجده و علوه، و يقول: أنا أكبر من أن أقع في دنس الرذائل و اقترف الذنوب. و الشعور بالعظمة يحصل على أثر الصوم الذي من أولى مقدماته الإمساك و قلة الأكل. فقد سئل أرسطو: لماذا تأكل قليلاً؟ قال: أنا أكل لأبقى

١. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٥٦.

٢. سورة التكاثر، الآية ٥ - ٦.



و غيري يبقى ليأكل.

و إن كثير الأكل لا يطول عمره و لا يصل إلى المعارف الإلهية. فحقاً إن كثرة الأكل لبلاء عظيم.

قال النبي ﷺ: «قال لي جبرئيل عليه السلام في كلام بلغني عن ربي: يقول لك ربك يا محمد؛ ما أبغضت وعاء قط إلا بطناً ملأ»^١، أي المليئة دائماً. لأن كثير الأكل يأكل كالحوانات و يقع كالجملادات. و ستحدث في القسم الخامس بشأن هذا الموضوع.

و لا سبيل للوصول إلى حكمة العالم إلا عبر أن يكون الإنسان مُحَقّاً في سريره فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تخففوا تلحقوا»^٢، و هو على سبيل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٣، والآية بشارة للذين لم يلحقوا بأنكم لاحقون، لذلك أنهم فرحون. و إن عبارة ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾ هي عدم ملكة. و المراد بهؤلاء الذين هم في وسط الطريق و يستطيعون الوصول إلى المقصد، و لا تُطلق هذه العبارة على من ليس في الطريق من الأساس، كالسيارة الراققة في الموقف التي لا حركة فيها. و أما إن كانت إحدى السيارتين في الطريق أبطأ من الأخرى و تصل إلى المقصد في وقت متأخر يقال فيها: «لم تلحق بها».

و إن تخفيف الحمل هو عامل على الوصول. فقد يبلغ الإنسان في هذا الجانب درجة يكون سبباً في وصوله و إيصال الآخرين أيضاً.

وقع حريق أو سيل بالمدائن و كان الوالي عليها آنذاك سلمان الفارسي عليه السلام فأخذ سيفه و مصحفه و خرج من البلد و تضرّر الآخرون لكثرة ما أرادوا جمعه، فقال

١. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٣٣٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢١.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٧٠.



سلمان: «هكذا ينجو المخفون»^١.

و قال علي عليه السلام في جماعة باتوا يخضمون مال المسلمين: «بين نثيله ومعتلفه»^٢، أي تتلخص حياتهم بين المطبخ وبيت الخلاء. ليرقدوا خدمة وليرفهموا شيئاً وليرعلموا ليرمجئهم وما هو تكليفهم.

* * *

١. قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي نجا المخفون وهلك المثقلون». (بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٥٢،

ح ٣).

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

القسم الثاني:

النية وحكمتها

أفضلية النية على العمل

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^١، ولا يراد بقوله ﴿عَمَلًا﴾ هي أن تكون عبادتكم أكثر من غيركم، إذ ليس الكلام في الكمية.

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية فقال: «ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة - ثم قال - : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز وجل والنية أفضل من العمل»^٢.

فلا يصل الإنسان إلى الصواب والحقيقة إلا إذا ازدادت خشيته من الله وكان له

١ . سورة الملك، الآية ٢.

٢ . قال الباقر عليه السلام: «نية المؤمن خير من عمله لأنه يتوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله و ذلك لأن الكافر يتوي الشر و يأمل الشر ما لا يدركه». (الكافي، ج ٢، ص ١٨٢).



قلب خالص. والعمل لا يكون خالصاً إلا إذا لم يرد به الإنسان المدح والإطراء و الشكر عليه. فمن المؤسف أن يقوم الإنسان بعمل عبادي خالص و ينتظر الشكر من الآخرين، و من المؤسف أن يصغّر الإنسان من قدر ذلك المقام العظيم الرفيع بهذا الانتظار الوضع. علماً بأن مدح الله و ثناءه مما يطلبه عباد الله المخلصون. ولذا فقد خلّق الموت و الحياة ليُعَلِّم أيّ الناس أقرب عمله للحقيقة و الصواب.

و إنّ النية الصالحة خير من عملها؛ لأن النية إذا خلصت و قويت تسوق الإنسان إلى العمل. كما أنّ النية أصعب من العمل. و ما ورد في الخبر: «نية المؤمن خير من عمله»^١، و كذلك: «أفضل الأعمال أحزمها»^٢، لا يراود منه أنّ ثواب النية رغم سهولتها أكثر من ثواب العمل. إذ لو درسنا هذين الأصلين الدينيين مع بعض لتوصّلنا إلى أنّ النية في غاية الصعوبة، و لو كانت أفضل الأعمال أصعبها و أحزمها تكون النية أفضل من العمل.

فمن الممكن أن يشارك الإنسان في جبهات القتال و يُقتل أيضاً، إلا أنّ القتل ليس بأمر عسير، بل الصعب هو إخلاص العمل لله و تطويع النفس و شيطان الباطن. و لذا قال الإمام: «نية المؤمن خير من عمله».

حقيقة النية

تحصّل مما أسلفناه أنّ النية هي روح العمل. و لا يعني وجوب النية حين العبادة أن يرسم الإنسان في ذهنه عند أداء الصلاة مثلاً بأيّ أصلي أربع ركعات لصلاة الظهر قربة إلى الله تعالى، فإنها على حدّ تعبير أهل المعنى نية بالحمل الأولي و غفلة بالحمل الشائع.

١. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ١٩١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٦، ح ٤.



و إنما النية هي انبعاث الروح و طيراتها. فلو اجتاز الإنسان عالم الطبيعة و ترقى فقد نوى و إلا فهي ليست إلا إخطار حصولي و مفهوم ذهني و هذه هي أدنى مراتب العبادة بأن تبرأ ذمتنا عن أداء الواجب و لا تبقى حاجة للإعادة و القضاء. و أما النية التي يرتبط باطن العمل بها و التي هي أسمى منه إنما هي انبعاث الروح و طيراتها. و لذا ورد في الخبر: «فاسألوا الله ربيكم بنيات صادقة».

ثم إن صحة العبادة مشروطة بالنية حيث يبطل العمل من دونها و بما أن للنية درجات تكون للصحة مراتب أيضاً.

و إن المواقف المهمة في يوم القيامة هي عبارة عن: النار و الجنة و الرضوان و من جانب آخر فإن للنفس الإنسانية أيضاً ثلاث حالات و هي الشهوة و الغضب و العقل الطالب للكمال، و لذا فإن للعبادة كذلك أقسام ثلاثة و ينقسم العباد أيضاً إلى ثلاثة أقسام: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار و إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد و إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار و هي أفضل العبادة»^١، فإن هذه العبادات صحيحة بأسرها بيد أنها لا تتحد في مراتب الثواب و الأجر.

إذن فالنية التي هي قصد القربة تمثل روح العمل و هي أعلى و أهم منه؛ لأن حياة العمل متعلقة بالنية و إن لجزء الأعمال على أساس نية الإنسان و قصده مراتب مختلفة.

تأثير الإنسان بالنية

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما ضعف بدن عما قويته عليه النية»^٢، لأن العمل

١. نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٨، ح ١٤.

الظاهري الصوري تابع للمقصد القلبي وجوداً وعمداً وقوة وضعفاً. فإن قويت النية والقصد سيكون البدن الضعيف عاجز قادراً على القيام بالأعمال المهمة وإن ضعفت النية سيتجه البدن القوي إلى الضعف والعجز. فقيمة وجود الإنسان بنيته لا ببدنه. و هناك حديث من أوضح الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليه السلام في بيان حد الإنسان حيث يقول بأن الإنسان «حيوان ناو» أي القاصد.

و الشاهد الآخر على أن لنية الإنسان وقصده أصالة هي أنه لو تحققت هذه النية و قويت لانطلت على الصلاة صبغة المناجاة وأصبحت في الواقع معراجاً للمصلي. وإن ضعفت وغفل عنها المصلي لفقدت صبغتها المناجائية و عندها سيكون المصلي مستحقاً لـ «الويل»؛ كما قال الله سبحانه: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^١.

الإخلاص والرياء

إن للعقل العملي شؤون وآثار كالإرادة والإخلاص. وهو النور الذي يُعرف و يُعبد به الله و يكتسب به الجنة^٢. فإن أضاء هذا النور من دون مانع و خسوف ظهرت حالة الإيمان و الإخلاص و إن انكسف العقل و حجب لاتباع الهوى ظهرت حالة الكفر و الرياء.

روى الشيخ الكليني رحمته الله عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس بين الإيمان و الكفر إلا قلة العقل»، قيل وكيف ذلك يا بن رسول الله ﷺ؟ قال: «إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق، فلو أخلص نيته لله أتاه الله الذي يريد في أسرع من ذلك»^٣. ومثله ما

١. سورة الماعون، الآية ٤ - ٧.

٢. مثل الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟ قال: «ما عبد به الرحمن و اكتسبت به الجنان» (الكافي، ج ١،

ص ١١، ح ٣).

٣. نفس المصدر، ص ٢٨، ح ٣٣.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام معتبراً فيه الفرق بين الحق والباطن هو قلة العقل. فالمخلص عاقل وغير العاقل ليس بمخلص ولذا يقع في الرياء. كما أن العاقل ليس بمراء والمرائي ليس بعاقل.

يقول حذيفة بن اليمان: سألت رسول الله ﷺ عن الإخلاص؟ قال: سألته عن جبرئيل؟ فقال: سألته عن الله تعالى؟ فقال: «الإخلاص سر من سري أودعه في قلب من أحبته»^١.

وإن أحب العبد السالك ربه سيكون تابعاً لما أنزله الله على لسان حبيبه النبي الأعظم ﷺ. فلما أتباعه يسبب محبوبة الله سبحانه وتعالى لأن أتباع المحبوب يستجلب المحبوبة كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٢، وفي هذه الحالة سيتحقق وعد القرب الولائي حيث قال الله سبحانه: «وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها»^٣.

إذن فللإخلاص الذي هو أساس في النية حكمة ملكوتية لا يصلها إلا من كان محبوباً لله، ولا يحب الله عبداً إلا إذا كان ممن يؤدي النوافل والفرائض.

والرياء هو أن يُري الناس بأنه يعمل لله مع أنه لا يعمل له والسمعة هي أن يُسمع الناس بأنه يعمل لله ولكنه ليس كذلك. فإن دخل الرياء والسمعة في متن العمل العبادي بطل العمل. ولذا يشترطون النية في العبادات ويعتبرون الرياء مبطلاً للعمل.

١. جامع أحاديث الشيعة، ج ١، ص ٣٧٥، ح ٧٧٢.

٢. سورة آل عمران، الآية ٣١.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢.



فقد ورد في بعض الأخبار: «يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء»، مثله مثل المزارع الذي يزرع وردة ثم يلامس أوراقها الظرفية كراراً حتى تؤول هذه الوردة شيئاً فشيئاً إلى الذبول. فإنّ العمل الصالح الذي يقوم به المرء إن ذكره مرة للأخرين فكأنه لامس ورقة الوردة مرة واحدة وإن ذكره عشرّاً فكأنها لامس ورقة الوردة عشر مرات وعندها ستؤول إلى التلف والذبول.

إنّ النية ضرورية في العبادات ولكن ليرد أمر في وجوب العمل لله في المسائل غير العبادية والتوصلية. بيد أنّ الإنسان إذا اتّخذ في هذه المسائل التوصلية طابعاً عبادياً وراءى فيها فقد أوقع نفسه في الهاوية. فعلى سبيل المثال لا يتحتم غسل اليد الملوثة بقصد القربة، بل يكفي للتطهير مجرد الغسل. ولكن إذا قام المرء بهذا العمل إظهاراً للناس بأنه ابتغاء لوجه الله فهو شرك ومعصية؛ إذ كان بإمكانه القيام بهذا العمل كسائر الأعمال التوصلية. ولكنه إن أراد الحصول على الثواب فعليه بقصد القربة. إذن فالشرك أمر محرّم، إذ لو اتّخذ العبد في جانب من أعماله شريكاً غير الله فهو في ذلك الجانب ليس عبداً لله، وبالتالي لا يُقبل عمله من قبل الله سبحانه لنقصانه ولا يكون عبداً لله.

يقول رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «فاسألوا الله بركم بنيات صادقة وقلوب طاهرة». وورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام بأن القلب الطاهر هو القلب الذي لا يوجد فيه سوى ذكر الله.

فإنّ الإنسان معرض دوماً لهجوم وساوس الشيطان والأخير ملازم له من خلال النفس. وقد قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١، فإن داهمتكم فكرة الذنب فاعلموا أنّ الشيطان يريد الهجوم عليكم حين



هجوم العدو باللجوء إلى الملجأ.

و لا يكفي حين هجوم الوسوس قول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فإن الاستعاذة اللفظية وإن كانت عبادة ولكن لا يجتاز أثرها دائرة اللفظ، و حين سماع صفارة الإنذار لابد من اللجوء إلى الملجأ. فمن يسمع الصفارة ويقف في ساحة مفتوحة ويقول: أنا ألاجأ إلى الملجأ! لا يعتبر ذلك لجوءاً؛ بل على المرء حين سماع الصفارة أن يوصل نفسه إلى الملجأ.

قال الله سبحانه بأنكم إن أحسستم في أنفسكم ضعفاً فاجئوا إلى الله القوي جلّ جلاله الذي لا ملجأ إلا هو: ﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾^١.

الملائكة واستشمام النية

من المعلوم أن الملائكة عندما تسجل أعمالنا فإنها ترى ذلك، فمن أين لها معرفة ما نبطنه من نوايا حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^٢، أي حتى مع عدم إفشاء الأسرار فلا بد من المحاسبة عليها في يوم القيامة، فمن أين علمت الملائكة ذلك؟

من هنا سئل الإمام الكاظم عليه السلام عن الملكين هل يعلمان الذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنه؟ فقال: ريح الكنيف و ريح الطيب سواء؟ قال: لا، قال: إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال قم فإنه قد همّ بالحسنة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده فأثبتها له و إذا همّ بالسيئة خرج نفسه متن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه قد همّ بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده فأثبتها عليه في الدنيا و الآخرة^٣.

١. سورة الكهف، الآية ٢٧.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٤٢٩، ح ٣.



فكيف لمن يعيش وسط البئر أن لا يشعر بريحها ولا يستاء منها؟ وأما الذي وصل إلى الملكوت يشم ريح الآخرين الطيبة والمنتنة ويميز المؤمن من المنافق.

قال شخص: كنت أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتكم من وادي القرى وقد مات خالد بن عرفطة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لم يموت، فأعاد عليه الرجل، فقال عليه السلام: له لم يموت وأعرض عنه بوجهه، فأعاد عليه الثالثة فقال: سبحان الله أخبرك أنه قد مات وتقول لم يموت، فقال علي عليه السلام: والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة حمل رايته حبيب بن حماز، فسمع ذلك حبيب بن حماز فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أنشدك الله في فإني لك شيعة وقد ذكرتني بأمر لا والله لا أعرفه من نفسي، فقال له علي عليه السلام: ومن أنت؟ قال: أنا حبيب بن حماز، فقال له علي عليه السلام: إن كنت حبيب بن حماز فلا يحملها غيرك، فولى عنه حبيب وأقبل أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن كنت حبيب لتحملنها، قال الراوي: فوالله ما مات خالد بن عرفطة حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب بن حماز صاحب رايته^١.

وها قد تحقق بعد ذلك علم غيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته بالأسرار الباطنية للذي كان جالساً تحت منبره

فالإمام كالمالك الذي يرى الناس على حقائقهم ما بين من باطنه روضة ومن باطنه جيفة، رأى حقيقة هذا الرجل. وعلى أي حال فنحن ما بين من يحفر الآبار أو من يسقي الأزهار. ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾^١. فالمقرب يكون روحاً وريحاناً إضافة إلى ما سيتنعم به من ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٢. و

١. سفينة البحار، ج ٢، ص ٦٦٢.

٢. سورة الواقعة، الآية ٨٨ - ٨٩.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٥.



إلا فسوف يُفتضح أمام الجميع يوم تبلى السرائر.

وقد ورد في الخبر أن الناس يتأذون من ريح العالم التارك لعلمه لأنه أضلّ منهم بل وأهل النار أيضاً: «وإنّ أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه»^١.

يوم تبلى السرائر

من يفتضح في دار الدنيا يستطيع الاختباء وراء جدار أو شجرة أو في وادٍ أو سفح جبل لكي لا يراه أحد. وأما في غد حيث تظهر الحقائق وتكشف السرائر أمام الله فلا مفرّ ولا وادٍ ولا جبل.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم رداً على من يسأل النبي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا^٢﴾، فالأرض في الآخرة أرض مستوية لا توجد فيها جبال ولا وديان ولا رواابي ولا تلال ولا أشجار ولا جدران حتى يختبأ الإنسان الخجل فيها، بل إنّ بصر أهل المحشر حديد ينظرون حيثما يشاؤون: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ^٣﴾. وهناك الإنسان وأمامه مشهد واسع من المخلوقات. فأين يختبأ الإنسان الخجل؟ وكيف يسمح لنفسه من قضى عمره في الطعن والهجاء أن يكون بين الناس يوم تبلى السرائر؟ ولذا فإن أشدّ خطر هو الخزي والافتضاح.

يقول الله سبحانه في مدح النبي والمؤمنين: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَغَفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٤﴾. ومن هنا يظهر أنّ الخطر شديد حيث يبين الله عظمة النبي قائلاً بأنّ

١. الكافي، ج ١، ص ٤٤.

٢. سورة طه، الآية ١٠٥ - ١٠٧.

٣. سورة ق، الآية ٢٢.

٤. سورة النحر، الآية ٨.



كرامة النبي و أتباعه محفوظة في ذلك اليوم و لا يخزيهم الله و الآخرون في هاوية العار و الشنار.

لذا ينبغي علينا الآن أن نرى هل أن ظاهرنا يحكي عما هو موجود في سرائرنا؟ أم إذا اختلنا و أنفسنا سلكنا طريقاً آخر؟ و أينما يحمل هذه الشجاعة بأن يوحد بين باطنه و ظاهره. فإن ذلك اليوم يوم الحزي و الافتضاح، و لا شيء أسوء من ذلك. فلو افترضنا أن الإنسان قادر على تحمّل النار و الاحتراق فيها و الصبر على ذلك العذاب و لكنه لا يستطيع و لو للحظة تحمّل الحزي و الفضيحة. و لذا يقول أولوا الأبواب حيث يدور الحديث عن العذاب في يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾^١، فالكلام عن الحزي و هو المهم و إن كان الاحتراق بالنار أمر عسير.

المنافق و سوء النية

إن الإنسان لا يخشى من ظهور بعض الأمراض و لكنه يستاء من إفشاء بعضها الآخر. فالنفاق مرض قلبي كامن في النفس و قد هدّد الله سبحانه المنافقين: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾^٢، و هؤلاء هم ضعاف الإيمان الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين في وقت الهدنة و الاستقرار و لكنهم لا يرفعون قدماً للحفاظ على الإسلام و تعزيز أسسه عند الشدة و الابتلاء. و لذا يقول الله عز و جل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^٣. ففي بداية حركة الرسول الأكرم ﷺ حيث لم يكن هناك جهاد و لا دفاع و كان المسلمون يعيشون في هدوء و قرار ظانين أن الاقتداء بالنبي ﷺ في المسجد كاف

١. سورة آل عمران، الآية ١٩٢.

٢. سورة محمد، الآية ٢٩.

٣. سورة البقرة، الآية ٢١٤.



لدخولهم الجنة، حتى نزلت آية مبيّنة أن هذه الأعمال لا تكفي لدخول الجنة والناس بعد لم يشهدوا حرباً ولم يخوضوا معركة.

و كانوا قبل نزول آية الجهاد يردون على النبي قائلين له هل نزلت آية أو سورة جديدة أو تكليف أو أمر حديث لنعمل به ونثاب عليه؟ ولكن إذا نزلت سورة أو آية في القتال والجهاد أثاقلوا وأظهروا ضعفهم فعاتبهم الله عتاباً شديداً على ذلك^١.

و إنّ عمل المنافق كعمل الفأرة في جحرها حيث يتكوّن بيتها من منفذين؛ أحدها للدخول إليه ويسمى «نافق» والآخر للخروج منه ويسمى «قاصع». فتضع الفأرة على منفذها للخروج طبقة خفيفة من التراب، فإذا سمعت صوتاً وشعرت بالخطر أزال التراب وفرت من الجحر.

يقول الله سبحانه بأنّ غطاء النفاق لا يبقى إلى الأبد، بل قد نسدّ على المنافق طريق الفرار والمزمنة من الطرفين ونأخذ منه فرصة الخروج ثم نخزيه ونخرج أضغاثه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَعرَفْتَهُمْ بِسِيَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^٢.

فالنفاق يعتمد على عدم وجود أصالة وحقيقة لله. ويتمحور فكر المنافق حول الجهاد في إطار الحسّ لا في إطار العقل، ويحدّد الناس أيضاً في هذا الإطار ولا يرى لهم حقيقة إلا في دائرة الحسّ والظاهر. وفي الواقع فإن مثل هذا الإنسان لم يعرف الله ولم يطلع على أسرار العالم وإنما يخادع نفسه لا غير.

و المنافق يسعى إلى القيام بالأعمال الصالحة أمام الناس ليشهدوا له على ذلك و القيام بالأعمال السيئة في الخفاء ليتعد عن أنظارهم وإنّ رؤيته تركز على أساس الناس كما يقول الله سبحانه: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

١. سورة التوبة، الآية ٣٨.

٢. سورة محمد، الآية ٣٠.



مُحِيطًا^١. فيظهر من مراعاة المنافقين في إخفائهم سيئاتهم وإظهارهم حسناتهم أن معيارهم وملاكهم هو الناس.

ثم يقول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾^٢، ويقول في موضع آخر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^٣، ويقول أيضاً: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^٤.

فتدل هذه التعابير المختلفة على هذه الحقيقة وهي أنه لا يخفى على الله شيء. و سيعلم الإنسان في ذلك اليوم أن الله كان يرى في دار الدنيا لا أنه يرى في يوم القيامة. وإن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾^٥، لا يعني أن الله خبير في يوم القيامة؛ بل سيتضح للناس في يوم القيامة أن الله كان خبيراً ومطلعاً على الدوام.

* * *

١. سورة النساء، الآية ١٠٨.

٢. سورة غافر، الآية ١٦.

٣. سورة الحاقة، الآية ١٨.

٤. سورة النساء، الآية ٤٢.

٥. سورة العاديات، الآية ١١.

القسم الثالث:

الطهارة وحكمتها

الله يحب الطهارة

إن الأمر الوحيد الذي يُقَرِّب الإنسان من الله هو الابتعاد عن الطبيعة و الدنيا لأن المتعلق بالدنيا لا يصل إلى الله. وكل ما يُبْعَد الإنسان عن الله فهو دنياه سواء كان مالا أو جاهاً أو حباً للذات.

ولقد قال الله سبحانه بعد بيان عبادة الغسل و الوضوء و التيمم: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾^١، فما لم يتطهر الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الله الطيب. إذن فإن السر في الأوامر الصادرة من عند الله سبحانه و تعالى سواء كانت عبادية أم مالية و هي عبادية أيضاً طهارة الضمير التي يحبها الله جلّت عظمته.

و يقول أيضاً: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^٢، فهم لا ينظرون إلى الطهارة كتكليف بل

١. سورة المائدة، الآية ٦.

٢. سورة التوبة، الآية ١٠٨.



ينظرون إليها بوصفها أمراً محبوباً لديهم و يحبون طهارة الضمير.
 فإن اجتهدوا و تطهروا تغمرهم محبة الله و عندها سينقاد لهم كل شيء. إذ لا
 يمكن أن يكون امرؤ محبوباً عند الله و لا يطيعه عالم الخلق لأن المحبوب لا تبقى له
 إرادة سوى ما يريد حبيبه و بما أن العالم بأسره منقاد لإرادة الله فسيكون العالم منقاداً
 لإرادة حبيب الله كذلك. و هو منتصر على الدوام و لا يضربه أي عامل لأن عالم
 الوجود بأسره جند لله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١، و الله يحفظ حبيبه فلا
 يستطيع أن يتغلب عليه شيء.

الله يحب الطاهرين

الإنسان الطاهر حبيب الله و من أحبه الله ظهرت عليه آثار الربوبية لأن الله
 سبحانه لا يترك حبيبه. فهو يحب الطاهرين و المسجد محل الطهارة. و إن سنّ الأحكام
 الظاهرية فقد وضع إلى جانبها نيل محبة الله حيث قال بأن المسجد و المعبد و مراكز
 العبادة إنما هي لتربية الإنسان الطاهر؛ أي لتربية الإنسان الذي يكون حبيباً لله.
 و قد نزل القرآن الكريم من عند الله بوصفه فيضاً عظيماً و لا يكون له نصيب من
 هذا القرآن إلا من كان طاهراً كما قل الله سبحانه في كتابه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي
 كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٢، فالمطهرون هم الذين ينهلون من المعارف
 القرآنية.

و المطهرون الحقيقيون هم أهل البيت عليهم السلام حيث وصفهم الله بذلك في قوله:
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^٣. و قد ذكرنا في

١. سورة الفتح، الآية ٤.

٢. سورة الواقعة، الآية ٧٧ - ٧٩.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.



الآيات السابقة بأن القرآن لا يصل إلى عمقه إلا المطهرين وأهل البيت هم المطهرون، وهم المطلاعون على حقيقة القرآن وتلامذتهم أيضاً يستضيئون بالقرآن كل بحسب طهارته.

حكمة الطهارة في الرؤية القرآنية

اتضح مما مر أن الطهارة هي سرّ العبادة وحكمتها ولكن ليس المراد بها الطهارة الظاهرية. فلا يزعم البعض حين أمرنا الله بالوضوء من أجل الطهارة بأن الماء يطهر ظاهر البدن ويضفي على الإنسان طهارة ظاهرية لأنه يذكر هذا المعنى في التيمم أيضاً حيث أمرنا بالتيمم وتعفير الوجه بالتراب من أجل الطهارة. فمن الممكن أن يطهر الماء البدن طهارة ظاهرية وأما وضع اليد على التراب ومسح الوجه بها تسوق الإنسان إلى الطهارة المعنوية.

إذ يقول الله في بيان التيمم: ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١.

وقد اعتبر بعض الفقهاء عدم كفاية وضع الإنسان يده على حجر أملس ومسحه على وجهه مستدلين بقوله ﴿منه﴾ فلا بد من تعفير الوجه بالتراب والتصاق غبار الأرض على الوجه.

ثم قال: ﴿ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾، فيظهر أن الإنسان حين التيمم يتطهر بتعفير وجهه بالتراب، ولكن من أي شيء يتطهر؟ مما لا شك فيه أن هذا العمل يسلب من الإنسان الغرور والكبر ويُطهره بذلك وعندها

سير تدع عن الاعتراض على إرادة الله و عن الإدلاء برأيه، إذن فالطهارة المطلوبة لدى الله هي التطهر من الغرور والكبر.

و كما أن الله يقول بعد أن يحصي النعم الظاهرية: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، يذكر التيمم أيضاً بوصفه نعمة ليكون الإنسان شاكراً أمامه.

حَكَمُ الْوُضُوءِ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ

لقد قيل لنا: تعلموا أسرار العبادة و اعملوا بها. فإن الصلاة و الصيام و الوضوء و سائر التكاليف من الأحكام الإلهية. و قد سُنت هذه الأحكام لوقوف الإنسان على أسرارها و التحرر من الأسر.

روى الصدوق رحمته الله عن النبي ﷺ صلى يوماً بأصحابه الفجر ثم جلس معهم يحدثهم حتى طلعت الشمس، فجعل يقوم الرجل بعد الرجل حتى لم يبق معه إلا رجلان أنصاري و ثقفى، فقال لهما رسول الله ﷺ: قد علمت أن لكما حاجة تريدان أن تسألاني عنها فإن شئتما أخبرتكما بحاجتكما قبل أن تسألاني و إن شئتما فاسألاني، قالوا: بل نخبرنا يا رسول الله فإن ذلك أجلى للعمى و أبعد من الارتياب و أثبت للإيمان، فقال النبي: أما أنت يا أخا الأنصار فإنك من قوم يؤثرون على أنفسهم و أنت قروي و هذا الثقفى بدويّ أفتؤثره بالمسألة؟ قال: نعم، قال: أما أنت يا أخا ثقيف، فإنك حثت تسألني عن وضوئك و صلاتك و مالك فيهما، فاعلم أنك إذا ضربت يدك في الماء و قلت بسم الله الرحمن الرحيم تناثرت الذنوب التي اكتسبتها يدك، فإذا غسلت وجهك تناثرت الذنوب التي اكتسبتها عيناك بنظرهما و فوك بلفظه، فإذا غسلت ذراعيك تناثرت الذنوب عن يمينك و شمالك، فإذا مسحت رأسك و قدميك تناثرت الذنوب التي مشيت إليها على قدميك^١.

و معنى ذلك أنّ في مسح الرأس التطهّر من الخواطر الباطلة، ومن أراد أن يذكر اسم الله بلسانه عليه أن يطهّر فمه، إذ لا يمكن ذكر الله بفم غير طاهر، فلا بد من المضمضة و غسل الفم بالماء. هذا جانب من حكم الوضوء.

و يقول النبي الأكرم ﷺ: «يحشر الله عزّ وجلّ أمّتي يوم القيامة بين الأمم غُراً مُجَلِّين من آثار الوضوء»^١، أي ممتازين بالنور على غيرهم.

فإنّ السبب من عدم الالتذاذ بصلاتنا و سائر عبادتنا هو عدم الوقوف على هذه الحُكَم. و إنّ الذين يلتذّون بالعبادة لا يرومون عنها بدلاً.

حُكَم الوضوء في بيان الإمام الثامن عليه السلام

روى المرحوم ابن بابويه عن الإمام الثامن عليه السلام أنه قال لأحد تلامذته و هو محمد بن سنان: «إنّ علة الوضوء التي من أجلها صار على العبد غسل الوجه و الذراعين و مسح الرأس و القدمين، فلقيامه بين يدي الله تعالى و استقباله إياه بجوارحه الظاهرة و ملاقاته بها الكرام الكاتبين، فيغسل الوجه للسجود و الخضوع و يغسل اليدين ليقبّلها و يرغب بهما و يرهّب و يتبتّل و يمسح الرأس و القدمين لأنهما ظاهرا مكشوفان يستقبل بهما كل حالاته و ليس فيهما من الخضوع و التبتّل ما في الوجه و الذراعين»^٢.

إنّ لأسرار الله حقائق ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^٣، فإن لم يمكن الوصول إلى حقيقة القرآن إلا للمطهّرين، لا يمكن الوقوف على حقيقة هذه العبادات إلا للمطهّرين أيضاً. حيث إنّهم يلتذّون بالعبادة و لا يشغلهم عنها شاغل.

ففي الوضوء لا يكفي غسل الوجه بالصابون، بل لابد من إقران الغسل بالنية.

١ . بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ٢٣٧.

٢ . وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٩٥.

٣ . سورة الواقعة، الآية ٧٩.



فعلى المرء أن ينوي بأن يغسل وجهه ويطهره من الذنوب من أجل الوضوء والصلاة امتثالاً لأمر الله والوقوف أمامه والسجود له بوجه طاهر، حتى يطلع على أسرار العبادة، ويصاحب الملائكة. وأن يغسل يديه ليدعو الله بيد طاهرة وبتنهل إليه ويمسح رأسه ورجليه لأن رأسه مكشوف في الصلاة ورجليه باتجاه القبلة؛ فلا بد أن يكون طاهر الفكر وطاهر الرجل وطاهراً من الرأس إلى القدم لكي يقف أمام الله ويشعر باللذة. ولذا قال الإمام: إن علة الوضوء التي من أجلها صار غسل الوجه والذراعين ومسح الرأس والقدمين، فلقيامه بين يدي الله تعالى واستقباله إياه بجوارحه الظاهرة وملاقاته بها الكرام الكاتبين.

الطهارة من الرجاسة والنجاسة

تكمّن حكمة الوضوء في الطهارة من كلّ رجاسة ونجاسة تلوّث الإنسان. وإن المتوضى بوضوئه يطهر نفسه من النجاسة والرجاسة المختصة بالروح. يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^٢، ويقول كذلك: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^٣، فالمراد بالنجاسة في هذه الآيات هي النجاسة والقذارة الباطنية، وإن كانوا متصفين بالطهارة من حيث الظاهر؛ لأن رؤية ما سوى الله والالتكال على غيره ونسبة الأقوال والأفعال والأحوال إلى غيره شرك باطني مخالف للتوحيد الخالص. ومن يريد الوضوء يبغي الطهارة من هذا الرجس والنجس الباطني ليكون موحداً خالصاً للمناجاة مع الله وعندها سيكون هذا المتطهر بحيث لا يُنجسه شيء: «المؤمن لا يُنجسه شيء»^٤.

١. سورة لقمان، الآية ١٣.

٢. سورة التوبة، الآية ٢٨.

٣. سورة يوسف، الآية ١٠٦.

٤. المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٢٢٥، ح ٤٠٤.



ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الكذبة تنقض الوضوء»، وكذا يستفاد من روايات أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام وغيره أن الظلم وإنشاد الأشعار الباطلة واللهوية أيضاً تنقض الوضوء. وهذه المسألة الظرفية هي واحدة من الحكيم الباطنية للوضوء.

فلو ثبت لأحد أن الإنسان موجود أبديّ وثبت أيضاً أنه يستطيع الوصول إلى مقام أسمى، سيبدل كلّ ما بوسعه في هذا الطريق للوصول إلى ذلك المقام. وإن لكلّ من التعاليم الدينية من الطهارة إلى التولي والتبري روح وجسم. والجهد أيضاً كذلك وهو بحاجة إلى بحث مستقل ليتضح ما هو سرّ الحرب وفلسفة مقاتلة العدو؟ وما هي تلك الروح التي تسوق المجاهد إلى مقام الشهادة الرفيع؟ وقد بدأ القرآن الكريم هذا الطريق بالطهارة ليقفنا على أسرار سائر العبادات؛ فالهدف من الجهاد على سبيل المثال لا يقتصر على حفظ المساحات، بل المهم هو الوصول إلى حكم العبادات وباطنها.

فيظهر من قول الله في سورة المائدة: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ... يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾، أن الله سبحانه وتعالى سنّ كلّ عبادة على هذا الأساس وهو أن يصل الإنسان إلى عبودية الله ويتحرّر من عبودية الآخرين. فلا عدوّ الدّ من عدوّ الباطن^١ ولا نجس أشدّ من رجس النفس. ولذا فقد شرّعت كلّ العبادات ليتخلّص الإنسان من الغرور والكبر عبر طرق شتى. وجاءت كلّ التعاليم للتطهير، فالإنسان يُصلي ليطهر ويصوم ليطهر ويحارب ليعبّد الطريق للتطهر.

* * *

١. الكافي، ج ٤، ص ٨٩.

٢. قال رسول الله ﷺ: «أعدىّ عدوك نفسك التي بين جنبيك» (بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٦٤).

القسم الرابع:

الصلاة وحكمتها

اطمئنان القلب

حينما يتحدث القرآن الكريم عن الصلاة يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^١، أي أقم الصلاة لأجل إحياء ذكري، وأنا بهذا الذكر سوف أكون ظاهراً بواسطة الصلاة، فإن ظهر ذكر الله عبر الصلاة يصل القلب إلى الاطمئنان. من جهة أخرى فإن ذكر الله يبعث على اطمئنان القلوب: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٢. وعلى هذا فإن قلب المصلي مطمئن ولا يخاف غير الله أبداً ولا يتأتى لأيّ عدوّ باطني أم خارجي أن يوقع الخوف في قلوب المصلين لأنهم يذكرون الله و ذكر الله يؤدي إلى اطمئنان القلب.

ثم إن القرآن الكريم يشير إلى حكم الصلاة في سورة المعارج قائلاً بأن طبيعة الإنسان لا تستقر عند الشدائد فإن أصابها خير سعت لأن تتفرّد بالانتفاع منه. فإن فطرة الإنسان جُبلت على التوحيد وطبيعته على الرجس والخبث والفطرة لا يحبيها

١. سورة طه، الآية ١٤.

٢. سورة الرعد، الآية ٢٨.

إلا الأنبياء والطبيعة ليس لها إلا الرجس. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^١، لأنهم قمعوا الطبيعة وأحيوا الفطرة، إذ أن ميزة الصلاة إحياء الفطرة. فإن المصلي هو الذي ذل طغيان الطبيعة، وهو الذي لا يهن ولا يضعف أمام المصائب والنوائب ولا يجزع عند الصعاب والشدائد عبر الطمأنينة التي حصل عليها من خلال الصلاة، ولا يمنع الآخرين ما أصابه من خير.

المواظبة على الصلاة والإنفاق

يذكر الله المصلين وبيّن أسرار الصلاة وخواصها قائلاً: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، ويهتدون ببركة الصلاة إلى أفعال الخير. ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلنَّاسِ وَالْمَحْرُومِ﴾^٢، فالمصلي هو الذي لا يخصص لنفسه كل ما هو باختياره، بل يجعل نصيباً من ذلك للفقراء. والكلام عن المال الحلال لا الحرام، فمن يهب المال الحرام لا يتفجع بذلك. وأما الذي يكتسب أمواله من الحلال فهو مالك للمال ويقوم بالإنفاق من ماله، فالمصلي هو الذي يكون له في ماله حق معلوم للآخرين.

و الآخرون على صنفين: صنف من الفقراء يجزأ على السؤال، وصنف متصف بالعفة ولا يجزأ على السؤال. والمصلي هو الذي يشارك الآخرين في أمواله.

كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أي بصحفة، فتوضع بقرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به، فيأخذ من كل شيء شيئاً، فيوضع في تلك الصحفة، ثم يأمر بها للمساكين^٣، ثم يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾^٤، أي

١. سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢٢.

٢. سورة المعارج، الآية ٢٣ - ٢٥.

٣. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٦٤؛ الكافي، ج ٤، ص ٥٢.

٤. سورة البلد، الآية ١١ - ١٢.



أنَّ الناس لا يقتحمون عقبات التفكير في العواقب وهم لا يعرفون ما هي هذه العقبات ويمشون في أرض مسطحة مستوية. فإن السير لا يصعب في سفح الجبال حيث الأرض مستوية وإنما السير في أعلى الجبل يُوسِّع أفق نظر الإنسان.

فإنَّ إعطاء الثياب البالية و المندسة للفقير ليس من الصراط المستقيم ولا اقتحام للعقبة. وإنَّ هذه الآية تحثنا على صعود جبل المشاكل وعدم المكوث دوماً في سفح الجبل وتحرضنا على علوِّ الهمة والسعي لاقتحام العقبات. فإنَّ إعطاء الطعام الميِّت و الثياب البالية للغير عمل يسير و مكروه عند الله سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^١.

وإنَّ من مهامِّ الحكومة الإسلامية الاهتمام بجميع الفقراء حتى ولو لم يكن مسلماً. فقد ورد في الخبر أنه: «مرَّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال: استعملتموه حتى إذا كبر و عجز منعمتموه! أنفقوا عليه من بيت المال»^٢.

فهل أن الله سبحانه يتقبَّل كلَّ صدقة؟ يقول القرآن بشأن صدقة المنافقين بأنهم كلما أنفقوا لا يتقبل الله إنفاقهم و صدقاتهم لأنهم اتخذوه مغرماً و لم يفعلوه بإخلاص. ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾^٣، و الله لا يتقبَّل مثل هذا الإنفاق.

فلو أنَّ مزارعاً غرس شجرة و قطع أغصانها الزائدة هل يعدّ عمله هذا غرامة و كلفة؟ و إنما يتم قطع الأغصان الزائدة لشجر الشجرة فهل يعتبر هذا للشجرة مغرماً أم مغنياً؟^٤.

١. سورة آل عمران، الآية ٩٢.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٦٦، التهذيب، ج ٦، ص ٢٩٧.

٣. سورة التوبة، الآية ٩٨.



تربو الأموال بركة الزائد منها كما تزداد الثمار بقطع الزائد من أغصانها^١.
فمن أنفق شيئاً في سبيل الله و اعتبره مغنياً لا مغرمأ جعل الله له بوزن كل شيء
تصدق به مثل جبل أحد^٢، وإن كان بنصف ثمرة، وهذا ما يرتبط بحكمة الصدقة و
أن أي الصدقات مقرونة بالحكمة و أيها مفارقة لها.

زهد النبي ﷺ

لقد ورد في التعابير الدينية أنكم إذا أردتم أن تعرفوا قيمة الدنيا و ثروتها فانظروا
إلى من يملكها فإن كانت بيد الصالحين فاعلموا أنها قيمة و إن كانت بيد الطالحين
فاعلموا أنها سيئة و إلا لأعطاها الله سبحانه للصالحين.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «و لقد كان في رسول الله ﷺ ما
يدلك على مساوئ الدنيا و عيوبها إذ جاع فيها مع خاصته و زويت عنه زخارفها مع
عظيم زلفته»، ثم طرح فكرة منطقية استدلل فيها خلال مقدمتين.

المقدمة الأولى: «فلينظر ناظر بعقله أكرم الله بذلك محمداً أم أهانه»، و مما لا شك
فيه أن أكرم العباد عند الله هو النبي و ما من كرامة و لا عزة و لا حرمة إلا و أعطها
الله نبيه و قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^٣.

المقدمة الثانية: «قضم الدنيا قضمأ و لم يعرها طرفأ أهضم أهل الدنيا كشحأ و
أنخصهم من الدنيا بطنأ... أعرض عن الدنيا بقلبه و أمات ذكرها من نفسه و أحب أن
تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها ريشأ و لا يعتقدها قرارأ و لا يرجو فيها مقامأ
فأخرجها من النفس و أشخصها عن القلب و غيها عن البصر».

١. بيت بالفارسية و هذا نصه:

زكات مال به در كن كه فضله مورا چو باغبان ببرد بيشتر دهد انگور

٢. أمالي الشيخ المفيد، ص ٤٠٦، المجلس ٤٢، ح ٧؛ و كذلك نفس المصدر، ص ٢٦٦.

٣. سورة الانشراح، الآية ٤.

فلنعلم أن من شغله الله بالمال فقد أزواه عن المعارف، فلا نبيع أنفسنا بضمن بخس. والتاريخ يشهد لنبينا أنه لطالما بات جائعاً سواء في سنوات شعب أبي طالب الثلاث أم في غيره، وكان إذا حصل على المال من خديجة عليها السلام فإنه يبذله للإسلام لا لشخصه ثم قال في مقام الاستنتاج: «أكرم الله بذلك محمداً أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب و الله العظيم و أتى بالإفك العظيم وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه»^١.

الصلاة والإيمان بيوم القيامة

إحدى صفات المصلين ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيُّومَ الدِّينِ﴾^٢، لأن ذكر المعاد يطهر الإنسان و المشاكل بأسرها إثر نسيان يوم القيامة. فإن القرآن حين يذكر سبب فسق الفاسقين يقول: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^٣. و أما المصلون فإنهم لا ينسون يوم القيامة و يصدقون به: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^٤. فإن الصلاة تجعل الإنسان خائفاً من يوم الدين و متذكراً للمعاد. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^٥. فمن المأمون من عذاب الله؟ وهل أن الإنسان قد تسلم صك الأمان؟

يقول النبي الأكرم ﷺ: «واعلموا أن الله تعالى أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٢. سورة المعارج، الآية ٢٦.

٣. سورة ص، الآية ٢٦.

٤. سورة المعارج، الآية ٢٧.

٥. سورة المعارج، الآية ٢٨.



و الساجدين و أن لا يرّوهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين^١، لأنهم: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِبَهَا﴾^٢.

و قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا صليت صلاة فريضة فصلتها لوقتها صلاة مودّع يخاف أن لا يعود إليها أبداً...»^٣ بسبب طول الأجل.

المصليّ و العهد و الشهادة

و في تمة استعراضه لخصائص الصلاة و صفات المصلين يقول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^٤، فهو لاء هم الراعون لأماناتهم المالية و غيرها و المتمسكون بمواثيقهم مع الله و مع الناس. حتى يقول: عاهدوني و اتخذوني طرفاً لمعاملاتكم.

و قد كتب بعض الأعلام رسائل موسومة بـ «رسالة العهد» و منهم ابن سينا الذي يذكر فيها عهوده و موثيقه. فهم يعاهدون أن لا يفتحوا ألتستهم إلا بذكر الله و أن لا يحضروا مجالس المعصية و محافل اللهو. و يبينون في رسائل العهد هذه العهود فيها بينهم و بين الله. فللمؤمن مع الله عهدٌ و هذا يدلّ على أن الله قريب بحدّ يستطيع المؤمن أن يتخذ معه عهداً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾^٥ و صامدون، يثبتون على ما يشهدون به من وحدانية الله و الرسالة و على ما يشهدون به من حقّ في سائر المسائل الحقوقية.

١. الأربعون حديثاً للشيخ البهائي، ح ٩.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٢.

٣. الأمالي و المجالس، ص ٢١٢، المجلس ٤٤، ح ١٠.

٤. سورة المعارج، الآية ٣٢.

٥. سورة المعارج، الآية ٣٣.

المحافظة على أوقات الصلاة

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحْفَظُونَ﴾^١ ويواظبون على أوقاتها.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى الصَّلَاةَ فِي وَقْتِهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا ارْتَفَعَتْ بَيَاضُ نَفْسِهِ تَقُولُ حَفَظْتَنِي حَفَظَكَ اللَّهُ وَإِذَا لَمْ يَصَلِّهَا لَوْ قَتَلَهَا وَلَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا ارْتَفَعَتْ سُودَاءُ مَظْلَمَةٍ تَقُولُ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ»^٢.

فإن الصلاة في أول وقتها تظهر بَيَاضَ نَفْسِهِ؛ ومن هنا يُعلم أَنَّ للصلاة حقيقة حياة وروح خالدة، تدعو ودعاؤها مستجاب على الدوام وصلاة التارك لها أو الذي لم يحافظ عليها في وقتها تظهر سُودَاءُ مَظْلَمَةٍ تَقُولُ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ!

إكرام الله المصلين

يقول في تنمة هذه الآيات: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾^٣. فلم يقتصر الكلام في التمتع بنعم الجنة كالجنات والأنهار والحرير والإستبرق والمأكولات والمشروبات بل الكلام عن الكرامة وإكرام المصلين في الجنة.

و «الكرامة» تعبير لطيف يراد به الشرف والعظمة المتصف بها الإنسان الكريم. وقد اعتبر الله الكرامة صفة الملائكة قائلاً: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَّمُونَ﴾^٤. وهي صفة المصلين أيضاً. وقد نعت الله الملائكة بنعوت محمّداً على اكتسابها حيث قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^٥. ثم يقول في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

١. سورة المعارج، الآية ٣٤.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٢٧.

٣. سورة المعارج، الآية ٣٥.

٤. سورة الأنبياء، الآية ٢٦.

٥. سورة الأنبياء، الآية ٢٧.

آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^١، أي اتبعوا أوامر الحقّ كالملائكة لتتصفوا بصفاتهم و تكونوا أمثالهم. فإنّ لذة صحبتهم كرامة. وإنّ المصلّين في الجنة مكرّمون لأنّ المصلي قد تحلّى بصفات الملائكة و بات يتمتع بها يتمتعون به. بالاجتهاد يصل الإنسان إلى مرتبة الملائكة كما تبدّل ورقة التوت تدريجياً إلى حرير^٢.

الحشر مع الملائكة

جاء في تفسير هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٣ بأنّ جعفر الطيار عليه السلام حينما قطعت يداه في سبيل الله، أعطاه الله جناحين «يطير بهما في الجنة»^٤ مع الملائكة. وقد ذكرت فضيلة الحشر مع الملائكة التي لا تضاهيها لذة في الروايات بشأن العبد الصالح أبي الفضل العباس أيضاً^٥ ومثل هذه العطايا الغيبية إنما هي ظهور لأسرار العبادة والإطاعة و بروز لروح العبودية. يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة إلا اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلّون خلفه و يدعون الله عزّ و جلّ له حتّى يفرغ من صلاته»^٦.

١. سورة الحجرات، الآية ١.

٢. بيت بالفارسية في ديوان سنائي و هذا نصه:

تو فرشته شوي ار جهد كني از يبي آنك برگ توت است به تدریج كنتدش اطلس

٣. سورة فاطر، الآية ١.

٤. الكافي، ج ١، ص ٤٥٠؛ تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٣٤٥.

٥. بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٧٤.

٦. الكافي، ج ٨، ص ٣٦٥؛ من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩.



كما ويستطيع الإنسان أن يكون إماماً للملائكة. وقد حرصنا القرآن الكريم على أن باستطاعتنا الوصول إلى مرتبة يمكننا القول فيها: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^١ فهم التابعون ونحن المتبوعون.

قال الإمام الباقر سلام الله عليه: «للمصلي ثلاث خصال»: الخصلة الأولى: «إذا هو قام في صلاته حَفَّتْ به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء».

فما هي هذه العبادة التي تكون الملائكة مأمورة بأسرها لحفظ الإنسان من الوسوس و الشيطان والوهم والخيال أن تسوق المصلي إليها؟ حتى إذا قام المصلي لصلاته مع حضور قلب دخل في حصن أمن الملائكة.

فقد تكون الصلاة سوداء مظلمة تقول: «ضَيَعْتَنِي ضَيَعَكَ اللَّهُ» وقد تكون بيضاء نقية تقول: «حَفَظْتَنِي حَفَظَكَ اللَّهُ»^٢.

فإن الشيطان بالمرصاد للصلاة والصيام والأعمال الصالحة يقعد إلى جانب الحسنات ويبدأ بالوسوسة. حيث قال بنفسه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٣ و أمنهم من اجتياز هذا الصراط. فإن مراكز الفساد والفسوق مكمّن للشيطان. وإن الشيطان يبدأ بالوسوسة عند الصلاة ولا يتوجه الإنسان إلا حين الفراغ منها وهو يقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»!

الخلصة الثانية: «ويتناثر البرّ عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه». فما هو البرّ؟ وأي شيء نعتبره برّاً؟ نحن نجد بعض الأعمار مباركة. وإن الصديق الجيّد، والأستاذ الجيّد، والتلميذ الجيّد، والولد الصالح، والإخلاص كلها مبرّات و

١. سورة الفرقان، الآية ٧٤.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٢٧.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٦.

وسائل للوصول إلى البرّ النهائي. وكلها تُكتسب في ظلّ الصلاة، والمصلي بمدد هذه العبادة يستحق نزول الخيرات والمبرات.

الخصلة الثالثة: «وَمَلِكٌ مَوْكَلٌ بِهِ ينادي: لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل»^١. ولذا روي عن الإمام المعصوم عليه السلام أنه قال: «وأذقني حلاوة ذكرك»^٢. وبما أننا لندق هذه الحلاوة نجد الصلاة أمراً طبيعياً، وعدم شعورنا بالنورانية عند الصلاة لكوننا لا نؤذيها بأدائها وأسرارها.

تواضع الإنسان في السجود

أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: «أعني بكثرة السجود»^٣ حتى أدعو فيستجاب.

فالسجود يجعل الإنسان خاضعاً متواضعاً والمتواضع خارج عن الأنانية. وإن رضي وفرح المرء بصالح عمل قوم لم يُوفق للقيام به أشرك في ثوابه وستنحسر عنه الحسرة عند ذلك، قال علي عليه السلام: «الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم ولكل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به وإثم الرضا به»^٤. وأما ما ابتلي به الكثير من الناس من التأسف على تفويت العمل فلأنهم لم يطلبوا العمل الصالح بل طلبوا أنفسهم. فقد يصدر العمل الصالح من الآخرين والإنسان المتقي يُشرك في عملهم لأنه رضي به حقيقة. وحيثما استطعنا تطويع أنفسنا التي لا تنفك عنا وترويضها سندخل في راحة وقرار وذلك لا يتيسر إلا بالعبادة^٥.

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢١٠، ح ٦٣٦.

٢. مفاتيح الجنان، المناجيات الخمسة عشر؛ بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ١٨٢.

٣. التهذيب، ج ٢، ص ٢٣٦.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ١٥٤.

٥. قال علي عليه السلام: «إنما يجمع الناس الرضا والسخط فمن رضي أمراً فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه».

(وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٤٠).



ومن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله ﷺ: «ولا تباغضوا فإنها الحالقة»^١، أي تخلق الدين. والخلق هو إزالة شعر الرأس بالموس. والشعر الذي يُزال بالموس لا ينبت بسهولة. قال: لا تباغضوا فإنها تخلق الدين وتقلعه من الأساس. وذلك كأن يلجأ الإنسان إثر العداء إلى الكافر. وإنما قالوا لنا: ادعوا الله واطلبوا منه أن لا يكلنا إلى أنفسنا لحظة واحدة، لأن الحسد والضغينة والمباغضة تخلق الدين وتقتلع جذوره من أساسها ولا يبقى للدين بقية. فلا تملؤوا قلوبكم حقداً وعداوة على الآخرين فإن منشأها الأنانية والصلاة تزيل الأنانية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بطول السجود فإن ذلك من سنن الأوّابين»^٢. فعلى المرء أن لا يرفع رأسه من السجود بسرعة. فليصلّ الصلوات العامة بصورة طبيعية وليطيل السجود في حالاته الخاصة. لأنّ عدوّ الباطن لا يدع الإنسان مطمئناً ويسعى أن يخادع الإنسان حتى آخر لحظة.

ولذا فإنّ أفضل حال في الصلاة هو حال السجدة كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أقرب ما يكون العبد من الربّ عزّ وجلّ وهو ساجد بآك»^٣. فإنّ الإنسان كلّما قرب من التراب كلما ازداد قربه من الله.

قال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «ظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم»^٤.

فهل تلاحظون مدّى أثر السجود؟ قد لا يستطيع الإنسان أن يطيل السجود في الصلوات الواجبة؛ بيد أنّ أصل السجود في الصلاة وغيرها أمر مطلوب ومؤثر. فإنّ تخلص الإنسان من شرّ نفسه سبببت بعيداً عما يؤذيه ويُضنيه.

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ١٦٢.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٤٨٣.

٤. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣٥٧.



حكمة سلام المصلي

يقول أحد كبار عرفاء الإسلام وقد ورد مضمون كلامه في كتاب «سر الصلاة» للإمام الحميني رحمته الله أيضاً: من كان في الصلاة متوجهاً إلى غير الله وملتفتاً إلى ما يخص حياته كيف يسمح لنفسه القول في نهاية الصلاة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»؟ لأن النبي الأكرم ﷺ يقول: «المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ»، ولذا فهو ليس حاضراً بين الناس، فإذا فرغ من صلاته وانتهى من مناجاته مع الله سبحانه وعاد من الحضرة الإلهية ودخل في جمع الناس يقول: «السلام عليكم...». فإن الأشخاص الجالسين جنباً إلى جنب في مجلس ومحل واحد لا يُسَلِّم أحدهم على الآخر لأنهم حاضرون في المجلس. وإنما يُسَلِّم من لم يكن حاضراً معهم في المجلس ويدخل عليهم من مكان آخر.

فإن السلام في آخر الصلاة لا دعاء ولا ذكر وإنما هو تحية. ولذا فمن يقول في وسط الصلاة عامداً: «السلام عليكم» بطلت صلاته، ومن يقولها سهواً عليه الإتيان بسجدي السهو. إذن فالسلام في آخر الصلاة تحية؛ لأن المصلي يناجي ربه ويتعد عن الناس، فإن فرغ من صلاته وعاد من مناجاته مع ربه إلى الأرض والتحق بجمع الناس يُسَلِّم عليهم. وقد ذكر الفقهاء بأن على الإمام في صلاة الجماعة وحين قوله «السلام عليكم» أن ينظر إلى الجهة الفلانية والمؤمنين إلى الجهة الفلانية.

فيقول ذلك العارف الكبير: إني لأعجب ممن كان متوجهاً إلى مسائل حياته ولم يناجي ربه ولم يفصل عن الناس، كيف يسمح لنفسه أن يقول: «السلام عليكم...»؟!^٢

١. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢١٥.

٢. للمزيد من الفائدة راجع سر الصلاة للإمام الحميني رحمته الله، ص ١٠٨ - ١١٥.

أدب الصلاة

إن من أمثلة الأدب في الصلاة الواردة في حديث شريف لرسول الله ﷺ هي: «من أتقى على ثوبه في صلاته فليس لله اكتسى»^١، أي أن من كان له ثوبان أحدهما جيد والآخر مندرس و كان يلبس الثياب القديمة المدرسة في الصلاة فليس لبسه لله وإنما هو لخلق الله. أو أنه لبس الثياب الجيدة ولكنه أخر صلاته أو تركها (و العياذ بالله) لثلاث تلوث ثيابه ويقع عليها الغبار، فيظهر أنه لبس لغير الله. فقد قال الله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^٢.

الباطن المثالي للصلاة

إن لكل عبادة باطن مثالي و باطن عقلي؛ و الباطن المثالي يشاهده الإنسان في البرزخ، و البرزخ هو عالم القبر نفسه. فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن البرزخ فقال: «القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»^٣، حيث أن الإنسان إذا دخل القبر دخل عالم البرزخ. فما يرتبط بعالم المثال يشاهده المرء في البرزخ و أما الباطن العقلي للعبادة فيشاهده في ما فوق البرزخ.

يروى أبو بصير أحد أبرز تلامذة الإمامين الباقر و الصادق عليه السلام عن أحدهما أنه قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً و أباهن هيئة و أطيبهن ريحاً و أنظفهن صورة فيقف صورة عن يمينه و أخرى عن يساره و أخرى بين يديه و أخرى خلفه و أخرى عند رجليه و يقف التي هي

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٦، ح ٦١٩.

٢. سورة الأعراف، الآية ٣١.

٣. تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٥٣.

أحسنهن فوق رأسه فإن أتى عن يمينه منعه التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، فتقول أحسنهن صورة من أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة».

فإن باطن الصلاة هو نفس هذه الصورة النورانية التي تقف على يمين المصلي في القبر، فيتأتى له في البرزخ مشاهدتها والتكلم معها وطلب الشفاعة منها والصلاة إنما هي مثال والعبادات بأسرها على هذا المنوال.

«و تقول التي عن يساره: أنا الزكاة». و الزكاة لا تختص بالمال، بل على الإنسان أن يدفع زكاة كل نعمة إلهية و هو مسؤول عنها بجمعها، فقد ورد في الأخبار: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»^١، وكذا: «زكاة الجمال العفاف»^٢، وأيضاً: «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»^٣، إلى غير ذلك من الروايات.

هذه كلها من مصاديق الزكاة، فإن دفع المرء زكاة النعمة، ستظهر هذه الزكاة في القبر إلى جانبه بصورة مشرقة تعينه و تصونه من الأخطار و الأضرار.

«و تقول التي بين يديه: أنا الصيام»، حيث يتجلى السر المثالي للصوم الذي أتى به لوجه الله في القبر على نحو إنسان بهي الوجه.

«و تقول التي خلفه: أنا الحج و العمرة».

قال علي بن الحسين عليه السلام و هو واقف بعرفات للزهري: كم تقدّر هاهنا من الناس. قال: أفدّر أربعة آلاف ألف و خمسمائة ألف كلهم حجاج قصدوا الله بآمالهم و يدعونه بضجيج أصواتهم. فقال له: يا زهري ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج! فقال الزهري: كلهم حجاج، أفهم قليل؟. فقال له: يا زهري ادن لي وجهك. فأدناه إليه،

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥.

٢. شرح غرر الحكم، ج ٤، ص ١٠٥.

٣. نفس المصدر، ص ١٠٦.



فمسح بيده وجهه، ثم قال: انظر. فنظر إلى الناس، قال الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلهم قردة، لا أرى فيهم إنساناً إلا في كل عشرة آلاف واحداً من الناس. ثم قال لي: ادن مني يا زهري. فدنوت منه، فمسح بيده وجهي ثم قال: انظر. فنظرت إلى الناس، قال الزهري: فرأيت أولئك الخلق كلهم خنازير، ثم قال لي: ادن لي وجهك. فأدنيته منه، فمسح بيده وجهي، فإذا هم كلهم ذئبة إلا تلك الخصائص من الناس نفرأ يسيراً^١.

فإن لكل إنسان باطن وهو متحد مع باطن أعماله؛ والعامل متحد مع عمله وكل يُحشر على نيته. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يُحشر الناس على نياتهم»^٢. والمعصومون عليه السلام يشهدون باطن الناس وقد يميطنون اللثام عن الآخرين أيضاً.

«وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة فتقول: أنا الولاية لآل محمد عليه السلام»^٣. فإن محبة علي وأولاده تظهر بهذه الصورة واتباعهم يتجسم بهذه الهيئة بأن تكون أبهى وجهاً من بقية الأعمال وترفرف فوق رأس المؤمن مشرفة عليه. وإن محبة أهل البيت عليه السلام الصادقة لا الصورية تؤدي إلى الحشر معهم كما سيأتي في القسم التاسع.

النيران المتّقدة و كوتر الصلاة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة: «ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم»^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٠٩.

٣. بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٣٤.

٤. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٢٤.



فما من ذنب نقترفه أو كلام سيء نتفوهه أو طريق منحرف نسلكه إلا وهو مقترن بنا وهي كلها نيران قد أوقدناها بأيدينا ونحتطبها على ظهورنا من غير أن نشعر بذلك.

حتى أن الإنسان بنفسه قد يكون حطباءً لجنهم ويتجسم بصورة نار و حطب مشتعل: ﴿وَأَمَّا الْقَائِسُ طُونَ فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَطْبًا﴾^١. فإن كان الله ولياً لأهل القسط والعدل، فهو عدو لأهل القسط والظلم. وإن الكثير من أعمالنا تتجلى على هيئة نار موقدة على ظهورنا ولكن لا نشعر بها. ومن هنا يظهر أن المصلي لا يتورط بعد الصلاة بذنب بل ويعمد من خلالها إلى النيران التي أوقدها من قبل فيطفئها.

فإن الصلاة بمنزلة النهر الجاري والعين الكثرية التي تطفئ النيران الموقدة سابقاً وتردع الإنسان عن الوقوع في النار لاحقاً. وإنها تحول دون اقتراف السيئات وتمحو ما ارتكب من الخطيئات. فهذه هي خاصية الصلاة التي أشير إليها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^٢.

بركات صلاة النبي زكريا

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه إذا أراد الله أن يغمر عبده برحمة، يهبها له وهو في أحسن حال. وأحسن حالة أن يكون الإنسان في محراب عبادته وفي جهاده مع نفسه. فإن الله سبحانه وتعالى على سبيل المثال حينها وهب لزكريا يحيى إنما بشره به وهو في حال العبادة. قال عليه السلام: «إن طاعة الله عز وجل خدمته في الأرض، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثم نادى الملائكة زكريا عليه السلام وهو قائم يصلي في المحراب»^٣. وقد استشهد يحيى عليه السلام في سبيل الدين وعُرف يحيى الزاهد الشهيد،

١. سورة الجن، الآية ١٥.

٢. سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٢٣.



فمن فاز بكلتا الحسنيين وقام بالتضحية عبر السلاح في سبيل الدين، فعليه إلى جانب استخدام السلاح، التسلح بالمعرفة التي هي سلاح العقل.

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^١ قوة الأبدان أم القلوب؟ فقال: جميعاً. ويحيى عليه السلام الذي قال الله له: ﴿يَا يُحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^٢، قد أخذ كتاب الله بقوة العقل والمعرفة وبقوة البدن كذلك، و زاد عن هذا الكتاب حتى نال الشهادة. وقد ظهرت كل هذه ببركة صلاة زكريا عليه السلام.

الصلاة وطهارة الروح

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أول ما يُحاسب به العبد عن الصلاة، فإذا قُبِلت قُبِلَ منه سائر عمله وإذا رُدَّتْ عليه رُدَّ عليه سائر عمله، فإذا صَلَّيت فأقبل بقلبك إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنه ليس من عبد مؤمن يُقبل بقلبه على الله عزَّ وجلَّ في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين إليه وأيده مع مودتهم إياه بالجنة»^٤.

وقد عرَّف القرآن الكريم الصلاة والمُصلِّي بشكل جيد؛ فإنَّ المصلِّي هو البعيد عن الأموال، الخالي من الحرص والطمع. حيث أنَّ الله سبحانه حين يُبيِّن طبيعة الإنسان المادية قائلاً: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^٥، يقول بعد ذلك: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^٦. فيذكر في بادئ الأمر مفاصد الإنسان

١. سورة البقرة، الآية ٦٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٠٩.

٣. سورة مريم، الآية ١٢.

٤. الكافي، ج ٣، ص ٢٦٨.

٥. سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢١.

٦. سورة المعارج، الآية ٢٢.



الطبيعية ثم يقول بعدها بأن المصلّين محفوظون من هذه الرذائل. ومن هنا يتضح أن الصلاة تحفظ الإنسان وتُطهره من هذه الرذائل. ولذا فإن الإنسان يستقي فضله وكماله من الصلاة؛ لأنها تستجلب للإنسان الكثير من الفضائل وتردعه عنه الكثير من الرذائل.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها... وشبهها رسول الله ﷺ بالحمّة (الجمّة) تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدّرَن؟»^١. فإن الصلاة كالعين الصافية التي يغتسل فيها المصلي في الأوقات الخمسة.

و الصلاة كثر تُطهر الإنسان. فإن لم نشعر بهذه الطهارة إثر الصلاة في أنفسنا لابد أن نقبل بأننا لم نؤد الصلاة الحقيقية. إذ قد تكون الصلاة صحيحة ولكنها غير مقبولة؛ لأنه لا تُقبل إلا الصلاة التي تُطهر روح الإنسان. وعندها سيتوجّه الله إليه ويُؤيده بالجنة ويُقبل عليه بقلوب المؤمنين ويجعله محبوباً لديهم.

و هل هناك ذخّر أعلى من أن تتجه قلوب المؤمنين إلى الإنسان؟ فإنهم أعوانه عند الشدائد، ودعاؤهم له يؤثر فيه. فإن أراد الإنسان أن يتصدى المؤمنون لحلّ مشكلته و يدعون و يستغفرون له، لابد أن يتوجه بقلبه إلى الله سبحانه ولا سيما في حال الصلاة. و لا يتأتى للإنسان أن يأخذ بزمام قلبه في الصلاة إلا إذا سيطر على جوارحه خارج الصلاة. فمن حافظ عليها في خارجها لا يهجم عليه عدوّ الباطن في أثنائها. فالمهم أن يحفظ الإنسان نفسه في خارج الصلاة.



حكمة صلاة الليل

خطب رسول الله ﷺ يوماً بالناس وقال بعد التأكيد على الصلاة وأثر الاستدامة عليها على التطهير من الذنوب: «أيها الناس ما من عبد إلا وهو يضرب عليه بحزائم معقودة فإذا ذهب ثلثا الليل وبقي ثلثه أناه ملك فقال له قم فاذكر الله فقد دنا الصبح، قال: فإن هو تحرك وذكر الله انحلت عنه عقدة وإن هو قام فتوضأ ودخل في الصلاة انحلت عنه العقد كلهن فيصبح حين يصبح قرير العين»^١.

فيظهر أن عقد اليوم تُحلّ بصلاة الليل. يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إن الوصول إلى الله سفر لا يُدرك إلا بامتطاء الليل، من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي»^٢.

وورد بنفس المضمون حديث عن الإمام الصادق عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نبّه بالتفكير قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك»^٣. فإن التفكير يوقظ القلب، إذ قد يستولي النوم على القلب ويفقد الإنسان إدراكه. يقول علي عليه السلام: «نعوذ بالله من سبات العقل»^٤.

وصية الأنبياء بالصلاة

يقول الإمام الصادق عليه السلام حول عظمة الصلاة: «ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ».

١. أمالي الشيخ المفيد، ص ٢٠٩، المجلس ٢٣، ح ١٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٩.

٣. أمالي الشيخ المفيد، ص ٢٢٩، المجلس ٢٣، ح ٤٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.



قالها حين سأله معاوية بن وهب عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ويزيدهم حباً له فقال: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة! ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ»^١، لأن المعرفة من أصول الاعتقادات ويمكن على أساسها التقرب إلى الله عبر الصلاة.

صلاة الظهر ورحمة الله الواسعة

إن لكل واحدة من الصلوات ميزة ولصلاة الظهر بين سائر الصلوات ميزة خاصة. فقد قال الله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^٢، وقد فُسِّرَت الصلاة الوسطى في الروايات بصلاة الظهر التي هي أولى الصلوات التي أذاها رسول الله ﷺ^٣.

وقد قيل: إذا زالت الشمس عن دائرة نصف النهار وحل وقت الظهر، فلا تُأخروا صلاة الظهر، لأن أبواب الرحمة تتفتح عند زوال الشمس. فاسألوا الله سبحانه الرحمة، ولا تتفكروا حينها بأنفسكم أو آبائكم وأمهاتكم أو أصدقائكم فحسب، بل ادعوا للجميع. فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«لك الحمد إن أعطتك ولا حجة لي إن عصيتك ولا صنع لي ولا لغيري في إحسانك ولا عذري إن أسأت، ما أصابني من حسنة فمنك يا كريم اغفر لمن في مشارق الأرض ومغاربها من المؤمنين والمؤمنات»^٤.

و روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء و

١. الكافي، ج ١، ص ٧٥.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

٣. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١١ و ٢٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١١٧.



أبواب الجنان واستجيب الدعاء فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح^١.
وإن من أحكام الحرب في الإسلام استحباب البدء بالحرب بعد الزوال وكره ذلك قبله^٢، إلا إذا هجم العدو، فعندها لا بد أن يرذ الإنسان هجمه في كل وقت و يجب الدفاع حتى إذا هجم في الأشهر الحرم (ذي القعدة، ذي الحجة، محرم، رجب).
يقول الله في كتابه: إنَّ لحقَّوق الله وأحكامه قصاص كما في المسائل الفردية، فلو قتل شخص آخر ظلماً يكون لأولياء الدم حقَّ القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٣، وإن هجم عليكم العدو في واحد من الأشهر الحرم فادفعوهم و اقتصوا منهم في نفس الأشهر أيضاً: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾^٤، لأنَّ الرضوخ للظلم ذلٌّ والله لا يُحبُّ الذلَّ. كما قال أمير البيان علي عليه السلام: «لا يمنع الضيم الذليل»^٥، وقال في موطن آخر: «ردُّوا الحجر من حيث جاء، فإنَّ الشرَّ لا يدفعه إلا الشرَّ»^٦.
إذن فالبدء بالحرب يُكره قبل الزوال ويُستحبُّ بعده وقد ورد سرٌّ ذلك في كتبنا الفقيهة مقتبساً من الروايات حيث قيل: «ويستحب أن يكون القتال بعد الزوال... لأنَّ عنده تفتح أبواب السماء وتنزل الرحمة والنصر... وأجدر أن يقلَّ القتل ويرجع الطلب و يفلت المنهزم»^٧، ولعلَّ الله يهدي الكفار والمنافقين إلى الإسلام. كما أن سيد الشهداء عليه السلام في طف كربلاء كان قتاله ومبارزته بعد الزوال، وقام قبله بإرشاد الأعداء وعظهم لعدة مرات.

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٦٣٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٦٣ سنن البيهقي، ج ٩، ص ٨٠.

٣. سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٤. سورة البقرة، الآية ١٩٤.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٢٩.

٦. نهج البلاغة، الحكمة ٣١٤.

٧. جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٨١.

الإنسان السماوي

إذا ارتفع العمل ارتفع العامل لأن العمل لا ينفصل عن العامل بأن يكتب لوحده في كتاب ويرتفع بمفرده. ولا يمكن انفصال روح العمل وهي النية عن الإنسان. وإن العمل لا يشبه البخار والدخان بل له حقيقة مرتبطة بالروح الإنسانية. والحقيقة التي هي المنشأ لهذا العمل لا تفارق صاحب العمل بتاتاً. فلما ارتفع العمل ارتفع العامل أيضاً وعندها سيكون الإنسان رفيعاً ملائكياً وخُلِقَ سَمَوايَاً.

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى العقلي في بيان لطيف حيث قال: «فاعل الخير خير منه وفاعل الشرّ شرّ منه»^١. فالمؤدّي للعمل الصالح أفضل من أيّ عمل صالح، فلو كان للصلاة فضل وهي تصعد إلى السماء يكون الأفضل منها هو المصلي لأن الصلاة هذه من فعله. وكيف يمكن أن ترتفع الصلاة ولا يرتفع المصلي ويرتفع الصوم ولا يرتفع الصائم. والمرتكب للعمل السيء أسوء من أيّ عمل سيء، لأن الشرّ أثر فاعله فكيف يمكن أن يكون الأثر أقوى من المؤثر.

وإن كانت الأعمال الصالحة ترتفع في بُعد الفضيلة فإن روح الإنسان الفاعلة لهذه الأعمال أيضاً سترتفع على اليقين.

وقد جاء في القرآن الكريم عن لسان النبي الأكرم ﷺ: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي...»^٢، وقول «تعال» يختلف عن قول «إليّ». فلو تساوى شخصان في المستوى يقول أحدهما للآخر: «إليّ» أي، ادن مني، وإن اختلفا وكانا من طبقتين، يقول الأعلى للأدنى: «تعال» أي اصعد إليّ. وهذا هو كلام الأنبياء حيث يدعون إلى الرفعة والعلو.

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣٢.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٥١.



و قد وردت هذه اللطيفة في تفسير البيضاوي حيث يقول هذا الأديب: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفلى، حيث كان ولا يزال مرسوماً بين العرب من أهل البدو أنهم يبنون بيوتاً في المناطق الجبلية وسط الجبال ويهتتون السفح المستوي للزراعة. والأطفال يشتغلون باللعب في المناطق المستوية حتى الغروب فيأتي الأبوان إلى ردهة الدار ويقولون لهم: «تعالوا تعالوا».

و هذا هو كلام الأنبياء أيضاً. إذ عندما ينقل القرآن الكريم كلام النبي يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي...﴾^١.

الميل إلى الطبيعة

يشير صدر المتألهين إلى أن الإنسان الذي لم تكن حصيلة عمره سوى بناء قصر و إعداد سلسلة من الأمور المادية والمالية لا يترقى بتاتاً. فإن الأغصان المرتفعة للشجرة إنما هي فرع الشجرة لا أصلها والأصل الذي يمثل الحلق والعين والجذر والدماغ والرأس إنما هو مدسوس في التراب. وكذلك الإنسان المنغمس في الطبيعة، المهتم بالدنيا، الذي لا يكون همه سوى الاستخراج من الأرض وتزيينها فهو مثله مثل الشجرة المنكوسة الرأس والمرتفعة أغصانها إلى الأعلى. فأتى له الرقي؟ قد جمع تراباً على تراب، وكلما انغمس في التراب أكثر كلما ازدادت أغصانه وفروعه. ولذا تجد أغصان بعض الأشجار أعلى لأن جذورها أكثر عمقاً في التراب^٢.

و قال: إنك إنسان فكن كالملك ولا تكن كالشجرة. وارتفع وخلص نفسك من

١. تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٣٢٦.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٥١.

٣. تفسير صدر المتألهين، ج ١، ص ١١٧.

التراب. ولكن متى نعلم بأننا ارتفعنا؟ فإن الإنسان الذي لا يفهم ولم يضع فهمه على صراط العقل لا يرتفع. وإنما يعلو من جعل عقله وسيلة لعقال شهوته وغضبه وكَبَل شهوته وغضبه وغروره. فإلى متى نتجه باتجاه التراب والطبيعة؟!

كن كالسرو والسنبلة مرتفع الرأس ولا تكن كالصفصاف مطأطأ الرأس^١.
وعلى الإنسان أن لا يقارن نفسه بالفاجر والفاسق والمنافق ويقول: الحمد لله، هنيئاً لنا بأننا سلكنا هذا السبيل ولم نقع في شرك الكفر والنفاق. فقد نهى الإمام المجتبي عليه السلام عن مقارنة الإنسان نفسه بالسيئين وأهل الدنيا لأن ذلك يتسبب الخسران. بل على المرء أن يقارن نفسه بشهداء كربلاء وأصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام الخُلص وأولئك الذين أدوا صلاة الصبح بوضوء صلاة العشاء لمدة أربعين سنة! فإن الطريق مفتوح ولم يكن الوصول إلى المقام الرفيع حكراً على أحد، بل لا بد من علو الهمة. وقد علمونا في دعاء كميل بأن نسأل الله في كل ليلة جمعة بأن يوصلنا إلى حيث لا يصل إليه أحد: «وأقربهم منزلة منك وأخصهم زلفة لديك»، وأن لا يقتصر همتنا على عدم الدخول في النار، فإن الله لا يُحرق الكثير من الناس في يوم القيامة كالأطفال والمجانين والمستضعفين الذين لم تصل أيديهم إلى المعارف والأحكام الإلهية، فعدم الدخول إلى النار ليس بالأمر العسير^٢.

وقد روى أمير المؤمنين عن رسول الله أنه قال: «إن الله عز وجل يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها»^٣ أي الوضع والمنحط منها. والنتيجة من هذا الكلام الرفيع هو تربية فتى كالحسين بن علي عليه السلام الذي علمنا كيف يصل الإنسان إلى المراتب

١. بيت بالفارسية وهذا نصه:

چو سرو و سنبله بالا روش باش بسان بيد سوي پست منگر

٢. «وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد» (نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٧).

٣. بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٢٣.



العالية و كيف يكون الشعب عالي المهمة. وقد قيل له إلى أين ذاهب و الأحوال في اليمن و الحجاز و العراق و في كثير من البقاع مضطربة، فقال: «لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^١.

فقد غلب الخوف في مدرسة الإمامة و لا يحق له أن يظهر أمام أولياء الله!

حبّ باطن الصلاة

قال سيد الشهداء عليه السلام في عصر عاشوراء لأخيه العباس عليه السلام: «إن استطعت أن تصرفهم عنا في هذا اليوم فافعل لعلنا نصلي لربنا في هذه الليلة فإنه يعلم أنني أحب الصلاة له»^٢. فقال إني أحب الصلاة و لم يقل أنا من المصلين. (إذ أن الجميع يقوم بهذه الأعمال الصورية و الظاهرية، و آداب الصلاة أيضاً متيسرة لدى الكثير من الناس) إني أحبّ باطن الصلاة و حقيقتها و أريد أن أودّع هذا الحبيب. فالمصلي و الصائم يبقى حياً إلى الأبد. و كم هناك فرق بين قول القائل: إني أصلي، و بين قول سيد الشهداء عليه السلام: إني أحبّ الصلاة.

و كان أولاد الإمام السجاد و الإمام الباقر و سائر المعصومين عليهم السلام يبدؤون باللعب حين اشتغال والدهم بالصلاة لأنه عند ذلك لا يلتفت إليهم فيكونوا أحراراً في لعبهم و إن علت أصواتهم^٣.

و في ذات يوم وقع حريق في بيت و الإمام فيه ساجد فجعلوا يقولون يا ابن رسول الله النار النار، فما رفع رأسه حتى أطفيت، فقيل له بعد قعوده: ما الذي أهلك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الكبرى^٤.

١ . بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٢ . مقتل الحسين للمقرم، ص ٢٣٢.

٣ . الأنوار البهية، ص ٤٩.

٤ . بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٧٨.

و لكن هل من الممكن أن يرى الإنسان النار في ذلك العالم؟ نعم، يراها. فقد قال الله سبحانه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَنْ يَقِينٍ * ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^١، فيتضح من ذلك أن باطن الذنب هو النار و باطن الثواب و باطن الصلاة و الصوم هو الجنة. قال: لو كنتم من أهل الطريق لرأيتم جهنم الآن. و أما الاستدلال على وجود جهنم فهو لا يعدو الألفاظ:

العالم هو الذي يرى النار بالعيان، لا الذي يقول: دلّ على النار الدخان فإن دليبه هذا لدئ العاقل اللبيب أدنى في الحقيقة من دليل ذلك الطبيب^٢ فإن من يقول بأن هناك قيامة و نار لدلالة الدخان عليها و أراد معرفة النار عبر الدخان فهو بلسان أهل المعنى لم يعدو الألفاظ و لم يكن عمله هذا شيئاً مهماً، وإنما المهم أن يرى الإنسان وفق الآية المذكورة باطن الذنوب و هو نار جهنم. و إن للذنوب أيضاً أحكام و آداب و حُكَم. فإن باطن الذنب النار و باطن الصلاة و الصوم الجنة.

و قد وصلت طائفة من تلامذة المعصومين عليه السلام إلى هذه الحُكَم. حيث روي عن حارثة بن مالك أنه قال: «كأنّي أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون فيها... و كأنّي أنظر إلى أهل النار فيها معذبين يصطرخون و كأنّي أسمع الآن زفير النار»^٣. إذن فلا تختص

١. سورة التكاثر، الآية ٥ - ٨.

٢. بيتان بالفارسية في كتاب مشنوي مولوي و هذا نصها:

خود هنر آن دان كه دید آتش عیان فی گپ دلّ علی النار الدخان
ای دلیلت گندتر نزد لیب در حقیقت از دلیل آن طیب

٣. الکافي، ج ٢، ص ٥٣.

نسب مولوي هذه الحادثة في شعره إلى زيد بن حارثة، فإما أنه أخطأ في النقل أو نقل عن كتب أهل السنة، فإن الغزالي في إحياء العلوم (ج ٤، ص ١٥٧) و أبي الفتوح في تفسيره (ج ١، ص ٤٣) نسبوا هذا القول إلى زيد بن حارثة، كما و نسب هذا القول ابن الأثير في أسد الغابة (ج ١، ص ٦٥١) إلى حارثة بن سراقه، و أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (ج ١، ص ٢٤٢) إلى معاذ بن جبل.



معرفة أسرار العبادات بالأئمة والأنبياء عليهم السلام وإن كانت لديهم مقامات لا تطمع
أفكارنا في إدراكها وإن أهل البيت عليهم السلام لا يقاسون بأي أحد، كما قال أمير البيان: «لا
يُقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الأمة أحد»^١.

* * *

القسم الخامس:

الصوم وحكمته

ذمّ البطنة

يعتبر شهر رمضان المبارك خير فرصة للوقوف على أسرار العالم، و لا بدّ في الطعام من الاكتفاء بالمقدار الذي يؤمّن طاقة الإنسان، فما من أحد يصل عبر كثرة الأكل إلى المقصد و قد ورد في التعابير الأخلاقية الإسلامية: «مألاً آدمي وعاء شراً من بطن»^١، فإنّ البطن إذا امتلأت أغلق طريق الفهم، والإنسان الأكل لا يفهم بتاتاً ولا يقف على أسرار العالم و باطنه على الإطلاق.

و إنّ البطنة تورث الخمول و ضعف الإرادة و مراعاة الاعتدال في الأكل تورث الصحة و طول العمر و نورانية القلب. و إنّ كثرة الأكل تبعث الروح على هضم الغذاء الزائد و البدن كذلك إلى مزيد من الأيض و التفاعل و بالتالي تسوق الإنسان سراعاً إلى الضعف و الانهيار، و إنّ من يكثر أكلهم في الأغلب لا تطول أعمارهم.

ثم إن الإكثار من الأكل يزيد في الكسل والنوم. وقد كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال لأصحابه: «هل من مبشرات»، يعني به الرؤيا التي توجب البشارة. فإن الإنسان يلجأ إلى النوم ليفهم لا أنه يُكثر من الأكل ليطول نومه.

و روي أن رجلاً تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال: «أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا»^٢.

و ورد في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ذات يوم لمزارع له: هل عندك من طعام؟ فقال له: طعام لا أرضاه لأمر المؤمنين عليه السلام قرع من قرع الضيعة صنعتها بإهالة سنخة، فقال: عليّ به. فقام إلى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً... وقال: من أدخله بطنه في النار فأبعده الله^٣.

قيمة الحرية في الإسلام

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء»^٤، يريد بالنداء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^٥.

و قال رسول الله ﷺ في خطبة له في آخر جمعة من شهر شعبان: «يا أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم»^٦، فالناس سجناء وليسوا بأحرار و هم لا يعلمون بذلك، و قد سجتهم ذنوبهم فعليهم بتحرير أنفسهم في شهر رمضان

١. الكافي، ج ٨، ص ٩٠.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٤١٠.

٣. الكنى و الألقاب، ج ٣، ص ١٣٨.

٤. مجمع البيان، ج ٢ - ١، ص ٤٩٠.

٥. سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٦. الأمالي و المجالس للشيخ الصدوق، ص ٨٥، المجلس ٢٠، ح ٤٤؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٩٥.



المبارك عبر الاستغفار. والإنسان المذنب مدين وعلى المدين إعطاء رهن. ولا يُقبل هنا العقار والأرض للرهن بل تُرتهن النفس. وإنّ من يقول: أنا أفعل ما أريد وأذهب إلى حيث أشاء وأقول ما أبغي فهو أسير الهوى وعبد الطمع وليس بحرّ. ولا شيء في الإسلام يضاهي قيمة الحرية. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: «من ترك الشهوات كان حرّاً»^١. وقد أوصانا المعصومون عليه السلام في الكثير من كلماتهم بالتحرّر، وهو من العدو الخارجي لا يتمتع بأهمية بالغة، بل المهم التحرّر من العدو الداخلي.

والطريق لمعرفة الرقبة والحرية هي أنّ الإنسان إذا اتّبع هواه فهو أسير في سجن الحرص والطمع وإن اتّبع الله سبحانه فهو حرّ والإنسان الحرّ لا يُفكّر بغير الله. وإنّ من أهمّ الوظائف في شهر رمضان المبارك هو التحرّر والتخلّص. فعلى الإنسان أن يُحطّم القيود والأغلال القولاذية التي صنعها بنفسه. والطريق للحرية هو الاستغفار وطلب العفو. ولذا قالوا: كرّر في اليوم والليلة قول «استغفر الله ربي وأنوب إليه»^٢.

فاستغفروا الله في الصلاة وغيرها لأنفسكم ولغيركم ولا يكون الهدف من ذلك هو الخلاص من النار أو الدخول إلى الجنة والتنعّم فيها بل لابد وأن يكون الهدف أسمى من ذلك.

وقد اندلعت الثورة الإسلامية أيضاً للحرية والتحرّر، ولكن لا التحرّر من عبودية الله. بل الهدف منها هو عبادة الله ليس إلا، وإنقاذ الدين من حكومة الآخرين ليكون لله لا غير.

١. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٣٩.

٢. قال النبي: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» (بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٤٤).



و قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه للمالك الأشر أنه قال: «إن هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى و يُطلب به الدنيا»^١.

فإن الذين يُهزمون في الحياة الدنيا قد وقعوا في أسر النفس، يرغبون في البقاء في الدنيا و يهابون التحرر منها، و قد رفض الإسلام هذين الأصلين و استبدلها بأصلين أصيلين هما: عدم التعلق بالطبيعة و عدم الخوف مما وراء الطبيعة.

حيث قال الإمام علي عليه السلام: «ألا حر يدع هذه اللماظة لأهلها»^٢. فإن ما هو موجود حالياً باسم الدنيا كالمقام و المسكن و الأرض أو الثروة و ما شاكلها قد استخدمتها الأجيال الغابرة و بقيت بين أسنانها و وصلت اليوم إليكم. و ما هو موجود على الأرض حالياً و كلّ هذه المقامات و الثروات و الأوهام و التخيلات إنما هي متبقية و لماظة لا بد للحر أن يتخلص منها.

و قد قال الله سبحانه: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^٣، و قال أيضاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^٤، سوى طائفة من الأحرار: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾^٥، فإنهم يُصاحبون و يُجالسون بيمين و بركة. و لا يُتوقع منهم إلا البركة و لا يصدر منهم من عمل إلا و هو مقرون باليمين و البركة. و هذه هي أفضل نعمة دعانا الله سبحانه إلى اكتسابها.

إن شهر رمضان هو شهر التحرر؛ و يتحتم في كلّ يوم يمضي منه فك قيد من القيود التي ربطناها بأيدينا للتحرر. و إن أفضل طريق للتحرر هو الوقوف على حُجَم العبادات.

١ . نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢ . نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٦.

٣ . سورة الطور، الآية ٢١.

٤ . سورة المدثر، الآية ٣٨.

٥ . سورة المدثر، الآية ٣٩.



الصوم و جزاء الصائم

ورد في بعض الروايات بأن الصوم يزيل الطراوة والحيوية والبهجة في غير شهر رمضان المبارك؛ لأنها نشاط كاذب و عابر. فإن صام الإنسان و تعلق بالصوم، توصّل شيئاً فشيئاً إلى باطنه الذي يسوقه إلى لقاء الله حيث قال سبحانه و تعالى: «الصوم لي و أنا أجزي به»^١، ولم يرد هذا التعبير إلا في الصوم.

ثم إنّ جميع الأشياء و الموجودات في عالم الإمكان لله سبحانه، و لا يوجد في عالم الخلق شيء خارج عن دائرة ملكه؛ لأنها مخلوقة و مملوكة له. كما أن أبصارنا و أسماعنا أيضاً لله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ﴾^٢.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «... أعضاءكم شهوده و جوارحكم جنوده و ضمائركم عيونوه و خلواتكم عيانه»^٣. انتبهوا و اعلموا أنكم في الخلوة و الجلوة و السرّ و العلن في محضر الله سبحانه، و خلواتكم و جلواتكم في مشهده و مرآه.

و لا يوجد في العالم شيء إلا و يذكر الله سبحانه. و هذا الإنسان قد يكون غافلاً و قد لا يكون غافلاً. و إنّ الملائكة تعدّ أنفاس الخلائق لترى لم يتنفس الإنسان. و إذا كان العالم بأسره على حدّ تعبير القرآن ملك لله و مُلك له^٤، فإنّ أعضاءنا و جوارحنا جنود لله كذلك: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٥.

و في قوله: «الصوم لي» خصوصية جدية بالالتفات و النظر.

١ . روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٥. قرأ البعض كلمة «أجزي» في هذه الرواية بصيغة المجهول: «الصوم لي و أنا أجزي به» أي أنا أكون جزاؤه! (راجع: النهاية لابن الأثير، ج ١، ص ٢٧٠، مادة «جزا»).

٢ . سورة يونس، الآية ٣١.

٣ . نهج البلاغة، الخطبة ١٩٩.

٤ . سورة آل عمران، الآية ١٨٩.

٥ . سورة الفتح، الآية ٤.

فقد يُمسك الإنسان منذ السحر حتى الإفطار؛ وهذه هي مرتبة من مراتب الصوم و جهْدُ بأن لا يحترق بالنار في يوم القيامة أو يدخل الجنة على أكثر تقدير؛ وهي ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^١، ولكنه يُمنع الدخول في تلك الجنة التي يقول فيها: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^٢، فكما أن للصوم حكم وأدب خاص، له حكمة وهي لقاء الله ومحبه.

وإن هذا الحديث يبعث الشوق في الإنسان ليكون عاشقاً. فإن الإنسان من دون اشتياق لا يسعى ومن دون سعي لا يصل. وإن كان الصوم لله، فإن الله بنفسه هو الذي يتكفل بجزاء الصائم.

يذكر المرحوم المولى محمد تقي المجلسي رحمته الله الذي يعدّ من أساطين الفقه إضافة إلى ضلوعه في كثير من المعارف الإسلامية والعلوم العقلية؛ بأن الله سبحانه لم يكتف بقول: «الصوم لي» بل أردفها بقوله: «و أنا أجزي به»، ومعنى ذلك أنه قد طرح نفسه بتقديم ضمير المتكلم قبل الفعل منفصلاً وبقوله: «أنا»^٣.

كيفية الجزاء

للذين يصومون نفلاً كأولياء الله ويهبون إفطارهم لليتيم والأسير والمساكين علاوة على أن لهم ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٤، يُقال لهم: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، لأنهم يصومون لهدف أسمى. وأما الصوم لدخول الجنة والالتذاذ بشاهاها فهو ضرب من التجارة.

١. سورة آل عمران، الآية ١٥.

٢. سورة الفجر، الآية ٢٩ - ٣٠.

٣. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٥.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٥.



وإن من الفروق بين الصوم و سائر العبادات هي أن ملائكة الله فيها يخص باقي الأعمال يستقبلون المؤمنين عند الموت قائلين لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^١، و أما حول الصائم فيقول الله سبحانه: أنا أجزي به. وهذه لا تدخل في عداد أحكام الصوم و آدابه؛ ولذا لم ترد في سلسلة الأبحاث الواجبة والمستحبة الذي يتناولها الفقه و لم ترد كذلك في بحوث آداب الصوم؛ وإنما هي من حِكَم العبادات التي تبين كيفية وصول الإنسان إلى مرتبة يكون الله سبحانه و تعالى هو المتكفل مباشرة بجزائه.

يقول ابن الأثير: «(الصَّوْمُ لي و أنا أَجْزِي به) قد أكثر الناس في تأويل هذا الحديث... و أحسن ما سمعت في تأويل هذا الحديث أن جميع العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله عزّ و جل - من صلاة، و حجّ، و صدقة، و اعتكاف، و تبَتّل، و دعاء، و قربان، و هدي، و غير ذلك من أنواع العبادات - قد عبد المشركون بها آهتّم، و ما كانوا يتخذونه من دون الله أنداداً، و لم يسمع أن طائفة من طوائف المشركين و أرباب النحل في الأزمان المتقدمة عبدت آهتها بالصَّوْم، و لا تقربت إليها به، و لا عرف الصوم في العبادات إلا من جهة الشرائع، فلذلك قال الله عزّ و جل: (الصوم لي و أنا أجزي به): أي لم يشاركني أحد فيه، و لا عبد به غيري، فأنا حينئذ أجزي به و أتولّى الجزاء عليه بنفسي، لا أكُلّه إلى أحد من ملك مقرب أو غيره على قدر اختصاصه بي»^٢.

درجات التقوى و لقاء الله

إن الهدف من الصوم هو الوصول إلى التقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^٣. و للمتقي

١ . سورة الزمر، الآية ٧٣. فيما يخص روايات البرزخ راجع: تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٠٦ و ٥٠٧ بحار

الأنوار، ج ٦، ص ١٣٩ علم اليقين، ج ٢، ص ١٠٦٠.

٢ . النهاية لابن الأثير، ج ١، ص ٢٧٠، «جزأ».

٣ . سورة البقرة، الآية ١٨٣.



درجتان: الأولى هي تلك الجنة التي تضم نعماً كثيرة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^١ و هي للذائد الظاهرية، و الثانية هي مرتبة المقام عند الله ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^٢، و الكلام في هذه المرحلة لا يدور حول التفاح و الكمثرى، لأن الجنات و الأنهار إنما هي مأكولات و مشروبات للجسم و البدن و أما لقاء الله فهو للروح. و هذا هو سر الصوم و باطنه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «للصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره و فرحة عند لقاء ربه»^٣، و يقول في موضع آخر: «للصائم فرحتان، حين يفطر و حين يلقى ربه عزّ و جلّ»^٤.

و في بعض الأدعية يطلب الصائم من الله الجمال التام: «اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله و كلّ جمالك جميل»^٥.

و يقول الشاعر نظامي كنجوي في بيان العشق المجازي و العشق الحقيقي: حين مرضت ليل في نهاية الأمر أوصت أمها فائلة: أماء أوصلي رسالتي إلى قيس و قولي له: إن أردت التعلّق بأحد فلا تعلق بموجود يفنى بحدّ.

فمن المؤسف أن يتعلّق الإنسان بنفسه و بغير الله و بكل ما هو متغيّر؛ لأن كلّ ما سوى الله معرّض للزوال و التغيّر و لا يمكن أن يكون هذا هو جزاء الإنسان، فإنّ جزاء الصائم هو لقاء الله.

و قد قالوا لنا اطلبوا الجمال المطلق في أسحار شهر رمضان المبارك و لا تكتفوا

١. سورة القمر، الآية ٥٤.

٢. سورة القمر، الآية ٥٥.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٠٣.

٤. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٦؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٠٠.

٥. مفاتيح الجنان، دعاء السحر.



بالاستماع، لأن الاستماع غير الطلب. فإيا لهذا المقام الرفيع الميسور للإنسان حتى حَرَّضُونَا عَلَى أَنْ نَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ نورك بَأَنورِهِ وَكُلَّ نورك نَيْرًا»، وقد عَلَّمُونَا هَذِهِ الْأَدْعِيَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ لِأَنَّهُ يَلِيقُ بِالْإِنْسَانِ الصَّائِمِ هَذَا الْكَلَامُ وَبِمَكَانِهِ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَلَالِكَ بِأَجَلِّهِ وَكُلَّ جَلَالِكَ جَلِيلًا»^١.

فَالْكَلامُ لَيْسَ فِي الْحُورِ وَالْغُلَّامِ وَالتَّفَاحِ وَالْكَثْمَثَرِيِّ وَالْجَنَّاتِ وَالنَّهْرِ، بَلِ الْكَلَامُ فِي الْكِمَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَهَذَا الْمَقَامُ مُتَوَافِرٌ لِلْإِنْسَانِ إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَّا أَمَرُونَا بِقِرَاءَةِ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ. إِذَنْ يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ الصَّوْمُ نَفْلًا وَإِعْطَاءً الْإِفْطَارَ لِأَسِيرٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ.

فَإِنَّ جِزَاءَ مَنْ أَحْكَامَ الْفَقْهَ الْإِسْلَامِيَّ هِيَ الْأَحْكَامُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِ«الْوَقْفِ»، وَقَدْ قَالَ الْفَقْهَاءُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ وَقْفَ مَزْرَعَةٍ أَوْ مَلِكٍ أَوْ مَحَلٍّ لِإِمْرَارِ مَعَاشِ الْكَافِرِ وَهُوَ بِذَاتِهِ عِبَادَةٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَافِرُ حَرْبِيًّا وَمُهْدُورَ الدَّمِ. وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ كَبِيدٍ حَرَاءٌ أَجْرٌ»^٢، وَقَدْ تَمَسَّكَ الْفَقْهَاءُ بِإِطْلَاقِ هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالُوا بِأَنَّ مَنْ أَشْبَعَ حَيَوَانًا جَائِعًا أَوْ رَوَى سَبْعًا فَلَهُ الْجَنَّةُ.

فَمَنْ الْمُمْكِنُ أَنْ يَصُومَ الْإِنْسَانُ نَفْلًا وَيُعْطِيَ مَا صَنَعَهُ مِنْ رَغِيفٍ بِالرَّحَى لِلْأَسِيرِ قَائِلًا لَهُ: «إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُوحِهِ اللَّهِ»^٣، لِأَنَّهُ «فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»^٤. وَإِنْ كَانَتْ

١. نفس المصدر.

٢. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٧٠. يقول المرحوم المحقق الحلي: يجوز الصدقة على الذمي وإن كان أجنبيًّا لقوله ﷺ: «عَلَى كُلِّ كَبِيدٍ حَرَاءٌ أَجْرٌ» (شرائع الإسلام، كتاب الصدقة). وهذه المسألة من باب الإنسانية لا لتعزيز قوتهم ومذهبهم. والشاهد على ذلك هو أَنَّ المحقق الحلي لَا يُجَوِّزُ الْوَقْفَ عَلَى الْكَنِيسَةِ وَمَعَابِدِ أَهْلِ الْكِتَابِ. لاكتساب المزيد من المعلومات راجع: جواهر الكلام، ج ٢٨، ص ٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

٣. سورة الدهر، الآية ٩.

٤. سورة البقرة، الآية ١١٥.

فضة، خادمة أهل بيت العصمة حاضرة في عملية الإطعام، يظهر أن بإمكاننا الوصول إلى هذا المقام، وإن بعنا أنفسنا بثمن بخس فقد خسرنا.

قيمة الإنسان

نقل المرحوم الكليني عن الإمام الكاظم عليه السلام رواية لطيفة وللمحقق الداماد في شرحها بيان عذب.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها»^١.

ويقول المرحوم المحقق الداماد: «جعل عليه السلام الجنة ثمن البدن، إشارة إلى أن ثمن جوهر النفس المجردة هو الله سبحانه فكأنه عليه السلام قال: أما إنَّ أبدانكم ثمنها الجنة فلا تبيعوها و أما نفوسكم المجردة و أرواحكم القدسية فإنما ثمنها هو الله سبحانه و الفناء المطلق فيه و في مشاهدة نور وجهه الكريم فلا تبيعوها بغيره»^٢.

فإن باطن الصوم يظهر بصورة لقاء الله و لا تفترض للإنسان همة أعلى من لقاء الله. لأن الإنسان موجود أبدي لا يفنى أبداً، بل ينتقل في نهاية المطاف من عالم إلى آخر. فإن حاز على باطن الصوم فهو في محضر الحق على الدوام، من دون أن يصيبه سأم و ضجر من هذا الحضور الدائم. فإن الرتبة في الجنة غير مقرونة بالملل بل و لا يوجد ملل و لا كلل فيها؛ سواء كانت الجنة الظاهرية «جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أو الجنة المعنوية.

و إنَّ الإنسان يشعر بلذة الشبع من دون تذوق السأم و التعب و العطش و الجوع، لأن الجنة تختلف في حالاتها عن الدنيا.

١. الكافي، ج ١، ص ١٩، ح ١٢.

٢. تعلية الميرداماد على أصول الكافي، ص ٣٨.



دور الصوم في حل الصعاب

تواجهنا في مسيرة حياتنا صعاب ومشاكل وقد أمرونا بالصوم في تلك الشدائد. ومعنى ذلك أننا إذا طلبنا الاستعانة من الله سبحانه في كل صلاة عدة مرات قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقد علمنا الله طريق الإعانة أيضاً، إذ لا يتم ذلك عبر التفوّه بالاستعانة فيعيننا من دون عمل، بل أرشدنا إلى طريق ذلك قائلًا: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^١، وقد تم تفسير هذا الصبر وتطبيقه على الصوم وورد في الحديث: «إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم»^٢.

ولا يقتصر هذا الأمر بالحرب بل يرد في كل نازلة وشدة تحلّ بالإنسان. فما هو دور الصوم في حلّ الشدائد؟ وإلى أين يوصل الإنسان حتى يتغلب على الصعاب؟ وهذا هو الإمساك الظاهري؛ وأما الصوم فله حكم حيث يأخذ بالروح إلى مقام رفيع والروح العالية مهيمنة على الطبيعة.

فإن صام المرء لله يتولى الله تسهيل صعابه لأن الأمور بيده فقد قالوا: «يَا مُسْهِّلَ الْأُمُورِ الصَّعَابِ»^٣، وقال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾^٤، فإن الله يُسِّرُ الأعمال لمن يسير في الصراط المستقيم وقد بين لنا نماذج من ذلك في الأنبياء العظام.

فإن موسى كلم الله حين طلب من الله قائلًا: ﴿وَيسِّرْ لي أمري﴾^٥، أجابه الله:

١. سورة البقرة، الآية ٤٥.

٢. الكافي، ج ٤، ص ٦٣.

٣. دعاء ورد على لسان الكبار من الحكماء.

٤. سورة الليل، الآية ٥ - ٧.

٥. سورة طه، الآية ٢٦.



﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^١، فأعطاه ما طلبه منه من تيسير الأمور للإطاحة بفرعون الطاغية و أعطاه كل ما سألته منه من شرح الصدر و حلّ عقدة اللسان و إشراك أخيه في أمره و وزارته له و جعله ممن يوحى إليه.

و قال أيضاً في رسول الله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^٢.

فقد بين لنا القرآن هذه الطرق؛ لأن الصوم قويّ بدرجة يجعل الإنسان بإذن الله مهيمناً على عالم الطبيعة.

الملائكة و الدعاء للصائم

إن الملائكة موكلون بالدعاء للصائم؛ قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك و تعالى و كلّ ملائكة بالدعاء للصائمين، و قال: أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربّه تعالى ذكره أنه قال: ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحد من خلقي إلا استجبت لهم فيه»^٣، و إن دعاء الملائكة للإنسان طلب الخير و الصلاح له.

بالاجتهاد يصل الإنسان إلى مرتبة الملائكة كما تبدّل ورقة التوت تدريجياً إلى حرير^٤.

فإن تبدّل ورقة التوت في هذا العالم إلى حرير و تستطيع دودة القز أن تصنع من ورقة التوت الإبريسم، فيمكن كذلك أن يصبح الإنسان ملكاً، و التكامل يُيسر كصناعة دودة القز الحرير من ورقة التوت!

١. سورة طه، الآية ٣٦.

٢. سورة الانشراح، الآية ١ - ٤.

٣. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٨.

٤. بيت بالفارسية في ديوان سنائي و هذا نصه:

تو فرشته شوي ار جهد كني از بي آنك برگ توت است به تدریج كندش اطلس



يقول الله سبحانه: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^١، والله أعلم بطواهرها لأن للفرش بطانة تقع على الأرض وظهاره يجلس عليها الإنسان، ولفرش الجنة بطائن وظواهر، بطائنهما من حرير وإستبرق ولكن ما هي ظواهرها؟ إذ لا يوجد في عالم الطبيعة شيء أسمى من الحرير والإستبرق حتى يحرضونا به. ولذا لم يذكر ظاهرها فلا بد أن نذهب ونرى بأعيننا.

وهذه الفُرُش التي بطائنهما من حرير لم تُنسج بواسطة دودة القز، بل نسجها الصوم والصلاة. فإن الحرير المنسوج بواسطة دودة القز، يتضرر بدودة أخرى؛ وأما الفرش المنسوج بالصلاة والصوم لا يتضرر أبداً. علماً بأن هذه الفُرُش من اللذائذ الجسائية. وأما «جنة اللقاء» التي لا تُثمن فهي باطن الصوم حيث قال: «الصوم لي وأنا أجزي به»^٢، وإن الذي يسأله الملائكة للصائمين هو باطن الصوم.

يقول الله حول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^٣، فالملك الموكل بالدعاء للعباد المخلصين الصائمين هو غير الملك الموكل بالدعاء لغير الصائمين. كما وأن درجات الملائكة وأدعيتهم متفاوتة.

فلإن أي درجة نتعرض نحن لباطن الصوم بحيث أن لا تقتصر على صوم ظاهرنا والإمساك عن الطعام والشراب فحسب، بل لابد وأن يصوم سرنا وباطننا كذلك؟ وأن نمنع الخواطر المبعوضة لدى الله أن تخطر في القلب. فلا نحمل الضغائن في قلوبنا لأحد، ولا يُتصور أن الخواطر إن مرّت عابرة من قلوبنا فإن الله سبحانه لا يعلم بها أو أنها لا تسود قلب الإنسان.

١. سورة الرحمن، الآية ٥٤.

٢. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٥.

٣. سورة الصفات، الآية ١٦٤.



و هناك فرق بين صوم العوام و الخواص و الأخص. فلو صمنا وبتنا نفكر لا
سامح الله بأذى أحد أو بالوصول إلى مقام و منصب أو لرنعد أنفسنا إن تقلدنا منصباً
أن لا نولي له أهمية، لريصم باطننا و من أجل ذلك لم نصل إلى باطن الصوم.
قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك و تعالى و كل ملائكة بالدعاء للصائمين، و
قال: أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربه تعالى ذكره أنه قال: ما أمرت ملائكتي بالدعاء
لأحد من خلقي إلا استجبت لهم فيه»^١.

طيب فم الصائم

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه السلام:
ما يمنعك من مناجاتي؟ قال: يا رب أجلك عن المناجاة لخُلف فم الصائم، فأوحى
الله عزّ و جلّ إليه: يا موسى، لخُلف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك»^٢.
ألا يريد الإنسان أن يكون مُطيباً و مُعطراً في ذلك العالم، و لا يوجد هناك خبر عن
الغزال و سُرّة الغزال ليفوح منها العطر، بل هناك الصوم هو الذي يُعطر الإنسان. فإنّ
باطن الصوم يظهر على هيئة عطر على الجسد و أما ما فوق ذلك فلا يعلمه إلا الله
سبحانه.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من صام يوماً في الحرّ فأصابه ظمأ
وكلّ الله عزّ و جلّ به ألف ملك يمسحون وجهه و يبشرونه حتى إذا أفطر قال الله عزّ
و جلّ: ما أطيب ريحك و روحك، يا ملائكتي اشهدوا أني غفرت له»^٣.

١. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٨.

٢. روضة المتقين، ج ٣، ص ٢٢٩.

٣. نفس المصدر.



فإن باطن الصوم يسوق الإنسان إلى مرتبة يكون فيها مخاطباً لله، فإن كان حتى الآن يقول: «يا الله» للبعيد، سيقول الله له من الآن فصاعداً: «يا عبدي».

وإن دعا الله شيئاً بالعظمة فلا يمكن أن يُشَبَّه بِسُرَّةِ الغزال، «فإن المسك بعض دم الغزال»، ولا يُقاس بالعطر الذي يذكره الله سبحانه.

ومن جانب آخر فقد ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم بأن الملائكة يضربون البعض على وجوههم وأدبارهم عند الموت: ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾^١.

إن للمرحوم الشيخ محمد علي الشاه آبادي، أستاذ الإمام الخميني رحمته في العلوم العرفانية كتب نافعة، منها «شذرات المعارف» يقول فيه: إن الذين يقع عليهم ضرب الملائكة عند الموت هم الذين لم يقوموا بعمل ولم يتعلموا، فيقوم الملائكة الموكلون بالدنيا بضربهم بشدة على أدبارهم قائلين لهم: اخرجوا من هنا فقد انتهت وقتكم في الدنيا. و يقوم الملائكة الموكلون بذلك العالم بضربهم على وجوههم لأنهم يرون هذا الشخص قد وفد عليهم بيد خالية ووجه أسود قائلين له: لماذا أنت خلوا اليدين مع أنك عشت عمراً في الدنيا^٢؟

رمضان شهر الله

نقل علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس قد أقبل إليكم شهر الله^٣. و ذلك لأن الكلام في هذا الشهر عن صوم الله، فإن الصوم لله والشهر هذا هو شهر الصوم، فأطلق على شهر رمضان المبارك «شهر الله». كما أن شهر رجب هو «شهر

١. سورة الأنفال، الآية ٥٠.

٢. راجع شذرات المعارف، ص ٦٤.

٣. الأربعين للشيخ البهائي، ص ١٧٩، ح ٩.



الولاية» وشهر شعبان أيضاً هو «شهر النبوة والرسالة». ومن هنا فنحن نسأل الله في أدعية شهر رجب أن يُوفّقنا للعبادة في شهر رمضان المبارك لتتبعها أرضيتها من شهر رجب، وما دام الإنسان لم يطو بعض المقدمات، لا يستطيع إدراك عظمة شهر رمضان المبارك.

و ورد في رواية: «لا تقولوا هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله عزّ وجلّ»، بل قولوا: جاء شهر رمضان و ذهب شهر رمضان. فإن شهر رمضان في الحقيقة هو «شهر الله». فإن لم يصل الإنسان في شهر الله إلى لقاء الله، لم يدرك باطن الصوم، بل صام على مستوى الطبيعة ولا يكون جزاؤه إلا بنفس ذلك المستوى.

و قال ﷺ: «بالبركة والرحمة والمغفرة» فاستقبلوه واستعدّوا له لتدركوه بشكل صحيح.

و إنّ البركة هي الخير الدائم. ويُطلق على الوهاد التي تجتمع فيها المياه في الصحاري «البركة». والرحمة والمغفرة لا تختص بغفران الذنوب؛ فإنّ الله سبحانه يُطلق على تلك الدرجات العالية بالرحمة أيضاً، علماً بأنّ الرحمة الخاصة مختصة بالمؤمنين: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١. واكتساب هذا النوع من الرحمة يتيسر في شهر رمضان المبارك.

و قال في تمة كلامه: «شهر هو عند الله أفضل الشهور»، وقد عيّن الله فضل هذا الشهر. فكما أن الإنسان المتقي والورع يكون أكرم عند الله، كذلك الشهر الذي تزيد فيه البركة والرحمة والمغفرة يكون أفضل الشهور.

١. تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ١٦٦، في وجه تسمية رمضان وراجع أيضاً: مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٢٣،

مادة «رمض».

٢. سورة الأعراف، الآية ٥٦.



و هناك في شهر رمضان المبارك أمران:

١ - عام: بأن يعتبر الإنسان جميع الشهر أمراً واحداً و ينوي له و ذلك بأن ينوي في الليلة الأولى منه أن يصوم إلى آخر الشهر.

٢ - خاص: بأن يكون لكل يوم منه تكليف مستقل و منفصل أيضاً. «و أيامه أفضل الأيام و لياليه أفضل الليالي و ساعاته أفضل الساعات».

و قوله: قد أقبل إليكم شهر الله، يتناسب مع الحديث الشريف «الصوم لي»، فإن كان الصوم لله يكون هذا الشهر أيضاً شهر الله. و بنفس تلك النسبة تكون سائر الأعمال علاوة على الصوم لله أيضاً كأدعية الأسحار و العبادات الأخرى لأنّ هذا الشهر هو شهر الله، فإن كان كذلك، تكون أعمال هذا الشهر برمتها سواء أدعية الليل و السحر أو عبادات اليوم و الصوم كلها لله.

شهر رمضان و التخلّق بأخلاق الله

قال: «هو شهر دعيت فيه إلى ضيافة الله»، و على الضيف أن يماثل عمله ربّ البيت. فإنّ الصائم ضيف ربّ «يُطْعِم و لا يُطْعَم»^١، فيمكنه أن يكون كذلك «يُطْعِم و لا يُطْعَم». و إن كان الله سبحانه يُعطي و لا يأخذ، فلا بد للإنسان في هذا الشهر أن تكون خصلته الإعطاء لا الأخذ؛ إذ لا يد أفضل من اليد المُعطية و لا يد أدون من اليد الآخذة. لأنّ الله يبغيض خصلة الاستجداء و يحبّ خصلة الإعطاء. فإن حاول أحد أن يذهب الآخرون من جنب مائدته إلى الجنة تكون يده يد مُعطية، و إن سعى أحد لأن يذهب إلى الجنة ببركة الآخرين تكون يده يد آخذة.

١. قال الإمام الصادق عليه السلام: «اذكر اسم الله عزّ و جلّ على الطعام فإذا فرغت فقل: الحمد لله الذي يُطْعِم و لا يُطْعَم» (الكافي، ج ٦، ص ٢٩٤).

ومن كلمات رسول الله ﷺ الرفيعة التي لم يسبقه أحد بها هي: «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»^١، فإنَّ الإنسان إن أعطى تكون يده هي العليا وإن أخذ تكون هي السفلى.

وإنَّ من الأدعية في ليالي شهر رمضان المبارك هي امتلاك مثل هذه الروح حيث نقول لله تعالى: إلهي أنت الذي تحفظ دينك ولا تتركه فوقني لإحياء دينك على يديّ، لا أن يقوم بإحيائه الآخرون وأنا أجلس إلى جانب مائدة الدين. ووقفتني لإحياء الصلاة والصوم على يديّ وعبر دمي ويكون الآخرون ضيوف مائدتني، لا أن يجاهد الآخرون ويسفكون دماثهم لإحياء الدين وأنا أصلي وأصوم. «واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري»^٢.

وقد هدّد الله سبحانه طائفة قائلًا لهم: أنا أدافع عن ديني ولا أتركه ولكنكم إن لم توفّقوا لإجراء هذا الفيض فسأستبدلكم بقوم غيركم: «وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^٣. فإنَّ الله لا يترك دينه إن اصطفّى الأعداء أمام الإسلام وسيتولى حفظه على اليقين. فإن لم يتم حفظ الدين على أيديكم وفقدتم الخلوص، سيُبعدكم ويأتي بقوم غيركم.

وبالاستناد إلى هذا التهديد والتعليم القرآني أوصونا بأن نقول في ليالي شهر رمضان المبارك: «واجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري» فهذه هي اليد المعطاء والهمة العالية.

وفي أدعية هذا الشهر عرفوا النار رب البيت: «وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ وَيُجِيرُ وَلَا

١. الكافي، ج ٤، ص ١١.

٢. مفاتيح الجنان، أعمال ليالي شهر رمضان، الدعاء الثالث عشر.

٣. سورة محمد، الآية ٣٨.

يُجار عليه»^١، أو: «يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين»^٢، ثم قالوا لنا أنتم ضيوف لمثل هذا الربّ.

شهر رمضان و طلب كرامة

و قال أيضاً: «و جعلتم فيه من أهل كرامة الله»، فاطلبوا الكرامة في هذا الشهر؛ لأنّ الله لا يريق ماء وجه الإنسان الكريم و يحفظ كرامته إلى الأبد. و إنّ الكرامة هي الصفة الخاصة بالملائكة فهم عباد مكرمون^٣، و قد دعيتم أنتم كذلك إلى مائدة الكرامة فحاولوا أن تتصفوا بها.

و الكرامة هي النزاهة عن الدناءة و الحقارة؛ و إنّ جميع تعاليم الإسلام تهب للإنسان روح الكرامة لأنها نزلت من عند الله الكريم. يقول علي عليه السلام: «من وجد ماء و تراباً ثم افتقر فأبعده الله»^٤، فإنّ هذا الكلام يدعو إلى الإنتاج و الابتعاد عن البطالة، حيث أنّ الإمام يلعن الشخص أو الجماعة العاطلة و يهب للأفراد روح الكرامة.

و يستدلّ أيضاً في نهج البلاغة بصورة منطقية قائلاً: «و لقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلّك على مساوى الدنيا و عيوبها إذ جاع فيها مع خاصته و زويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فليُنظر ناظر بعقله أكرم الله بذلك محمداً أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب و الله العظيم بالإفك العظيم و إن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له و زواها عن أقرب الناس منه»^٥، و من يلتهى بالمال لا يسعى

١. بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٣٨١.

٢. من فقرات دعاء الافتتاح.

٣. ﴿... بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يُسْـَٔفُونَ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، سورة الأنبياء، الآية ٢٦ - ٢٧.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٦٥.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

لاكتساب المعارف.

و لريتناف هذا التحليل مع ما ورد في سورة الفجر حيث جاء فيها: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾^١، و لريقل بأن الذي عنده مال فهو ليس بحقير. و حصيلة ما ورد في نهج البلاغة هو أن من بسط الله له الدنيا سيقضي كل عمره في الصرافة و ليعلم أنه مطرود من عناية الله.

و إن الكرامة لا تُحدّ بحدود الاعتبارات الدنيوية، و كل ما انطلق عليه طابع الدنيا فهو لا يورث الكرامة بل و يوجب الدناءة أيضاً.

و قد ورد في الأخبار - على ما يبدو عن الإمام السجاد عليه السلام - بأنه إذا جرى الكلام في القرآن عن العلم و المعرفة و التوحيد، قرن الله أصحاب هذه النعم بالملائكة و إن دار الكلام عن المأكّل و الملبس و... قرن الله أصحابها بالأنعام فقال في الطائفة الأولى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^٢، حيث ذكر العلماء إلى جانب الملائكة.

و لكن إذا جرى الكلام عن الأمور المادية قال: ﴿... أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَ الْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا * وَ الْجِبَالُ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ﴾^٣، و قال أيضاً: ﴿كُلُّوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ﴾^٤.

فلو صرف الإنسان عمره للدنيا أكثر مما يحتاج إليه لحفظ كرامته فقد خسر و صار

١. سورة الفجر، الآية ١٥ - ١٦.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٨.

٣. سورة النازعات، الآية ٢٧ - ٣٣.

٤. سورة طه، الآية ٥٤.



وبالآ عليه. إذ أنّ الإسلام يأمرنا من جانب بعدم التعلّق بالدنيا ويوصينا من جانب آخر بالحياة الكريمة وبالإنّاج من أجل كرامة المجتمع الإسلامي وبالسعي والجهّد لعزة النفس والمجتمع الإسلامي وإشراك الآخرين في هذا التّاج. وقد روي أنّه بعد أن حفر عليّ عليه السلام قناة أو بئراً تعب وعناء أوقفها وقال: «هذه صدقة»^١.

قبول العمل و تقبّل الصّالح

و يقول في تمة الخطبة الشعبانية: «أنفاسكم فيه تسبيح»، فكأنّه يقول في كلّ نفس يخرج منه: «سُبّوح قدّوس».

«و نومكم فيه عبادة و عملكم فيه مقبول» و قبول العمل مقدّمة لأن يتقبّل الله الإنسان نفسه. ولذا تجد في القرآن الكريم نمطين من التعبير:

١. أنّ الله يقبل عمل البعض.

٢. أنّ الله يتقبّل البعض، لا أن يكون عملهم مقبولا فحسب.

إذ أنّ البعض له عمل صالح و البعض الآخر صالح بذاته. فمن كان من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^٢، و كانت له أعمال صالحة و لكنه لم يصل بعد إلى مقام الصّلاح في ذاته فهو قد يتعرّض للخطر.

و أما الطائفة الثانية فهم من «الصّالحين»، كإبراهيم الخليل عليه السلام الذي يقول القرآن في شأنه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٣، فالصّالح هو الصّالح في جوهر ذاته و هو الذي يكون مقبولا عند الله.

١. الكافي، ج ٧، ص ٤٩.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٥.

٣. سورة النحل، الآية ١٢٢.

فقد قال الله سبحانه في شأن السيدة مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّئُهَا نَبَأًا حَسَنًا﴾^١، ولم يقتصر قبوله على عباداتها وصلاتها وصيامها؛ إذ أنه يقبل صلاة الآخرين وصيامهم؛ بل أنه يتقبل جوهر ذات الشخص الكريم، وقبول العمل طليعة لوصول الإنسان إلى أن تكون ذاته مقبولة كذلك.

الصوم والإيمان بيوم القيامة

لما يتمتع به شهر رمضان المبارك من أهمية بالغة، قال النبي في شهر شعبان - حاشاً على الاستعداد والطلب من الله بدرك شهر رمضان الذي ملؤه البركة والرحمة والمغفرة: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه. فإن الشقي من حُرم غفران الله عز وجل في هذا الشهر العظيم. اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه»^٢.

وقد ورد في بعض الروايات حول فضل الصوم بأنه سبب لأن يشعر الإنسان بالجوع ويحس بأمر الفقير الجائع^٣. وهذا هو من باب التكلم على قدر عقولنا ومن الخطأ الأولى وإلا فلماذا يكون الإنسان شعباناً على الدوام وإلى جانبه شخص جائع؟ فإن في يوم القيامة ثمة طائفة جائعة حقيقة، يأكلون الطعام ولكنهم لا يشبعون أبداً كما أنهم كانوا لا يشبعون في دار الدنيا أيضاً. إذ ليس للحرص والطمع زوال وانتهاء وهو يظهر في الآخرة على صورة ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾^٤.

١. سورة آل عمران، الآية ٣٧.

٢. الأربعين للشيخ البهائي، ص ١٧٩، ح ٩.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٧٣.

٤. سورة ق، الآية ٣٠.



ومن هنا قال النبي: «اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه» وليرقل جوع الآخرين وعطشهم فإنّ هذا ما لا بد من تأمينه في المراحل الأولى.

التصدق والإطعام

لقد ورد في بعض الأخبار عن المعصوم عليه السلام بأن المؤمن كريم وإن كان فقيراً، و الفقر ليس بذل؛ فإنّ الخزي والضعة أمر مشين وقد يقترن بالغني.

وقد دارت شبه مناظرة بين علي بن أبي طالب والخضر عليه السلام فقال الخضر عليه السلام: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله»، وقال الأمير عليه السلام: «وأحسن منه تبه الفقراء على الأغنياء اتكالاً لما عند الله»، فإنّ الفقير الذي لا يعتني بالأغنياء يكون قد أتكل على الله وهي بذاتها كرامة أسمى من التواضع.

ثم يقول النبي في تمة الخطبة وبيان وظائف الصائمين: «وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم»، ولا بد أن يكون التصدق هذا مقروناً بالاحترام وقصد القرية لا بالتحقير والترحم.

وفي مقطع آخر من هذه الخطبة، دعا النبي ﷺ الجميع إلى إطعام الصائمين: «أيها الناس، من فطر منكم صائماً لله في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة - فقل يا رسول الله وليس كلنا نقدر على ذلك فقال ﷺ: - اتقوا النار ولو بشقّ تمر» ولعل علة العتق (لأن الصائم قد حرّر نفسه).

حيث كانت تلك الفترة فترة عصيبة ولربّما كان يُحسب شق التمرة إفطار أيضاً، فقد كان يُجَيِّم الفقر أحياناً على المسلمين إثر أحداث طارئة كأصحاب الصفة الذين كانوا لا يتمتعون بأبسط الإمكانيات، وكان يقع المسلمون أحياناً ولمدة مديدة في حصار اقتصادي وعسكري. واستمر الوضع على هذا المنوال بعد ذلك أيضاً وبات



أهل الباطل تبريراً لفقر الناس و ثروتهم يُروّجون مذهب الجبر^١.

ففي يوم خطب معاوية مدّلساً في جمع من الناس عذّرهم من الاعتراض عليه في عدم توقّر ما يحتاجونه أو ارتفاع الأسعار و قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^٢، فعلام تلوموني إذا قصّرت في إعطائكم؟ (هنا يضعف عن الجواب من لم يقرأ القرآن و لم يكن عنده نصيب من فهمه) فقال الأحنف بن قيس: إنا و الله ما نلومك على ما في خزائن الله و لكن على ما أنزله لنا من خزائنه فجعلته أنت في خزائنك و حلت بيننا و بينه (فماذا تخلط بين المفاهيم).

فلو وقف الجميع على وظائفهم و لم يعمد البعض كالفئران إلى الادّخار و الاحتكار لما وقع سائر الناس في مشكلة. فإنّ البعض في يوم القيامة يُحشرون على هيئة نمل و فأر لأنّ صفات هذه الحيوانات كانت في دار الدنيا قد ترسّخت في نفوسهم.

توقير الكبار و العطف على الصغار

«وقرّوا كباركم و ارحموا صغاركم»، و الكِبَر ليس بالعمر فحسب؛ فمن كان أعظم منزلة و أصغر سنّاً يتوجّب احترامه و إكرامه.

١. لقد كان لبني أمية و بني العباس دور هام في ترويح مذهب الجبر و استخدام هذه الحربة لتحكيم أسس سلطنتهم. حيث كانت حكومة بني العباس يدعمون الأشاعرة القائلين بالجبر و يقفون بوجه المعتزلة القائلين بالتفويض و كذا بوجه الإمامية الذين لا يعتقدون بالجبر و التفويض و ذلك بعدم إدخالهم في السلطة. و كان يقوّي هذا المذهب لتبرير جرائم الهيئة الحاكمة. و نجد اليوم أيضاً طائفة من وعّاظ السلاطين أشعريون في أصول الدين و المسائل الكلامية و وهابيون و حنبلليون في فروع الدين و المسائل الفقهية.

٢. سورة الحجر، الآية ٢١.



سُئِلَ العباس، عم النبي ﷺ: «أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟» قال: هو أكبر وأنا أسنّ، أو «هو أكبر وأنا وُلِدْتُ قبله»^١ وهذا هو الأدب في الكلام. فلا بد في شهر رمضان المبارك من العطف والملاطفة مع من هو تحت تكفلنا وقد يتحدّد الأدنى والأعلى في يوم القيامة: «إنّ الفقر والغنى بعد العرض على الله»^٢. فكم من راجل يأتي هناك راكباً وكم من راكب يأتي هناك راجلاً وكم من أسير يأتي هناك أميراً وكم من أمير يأتي هناك أسيراً^٣.

حفظ اللسان

«و صلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم» ولا تقتصر مراعاة هذه الأمور خلال النهار وحين الصوم بل لابد من مراعاتها طوال الشهر أيضاً. إذ أنها ليست من آداب الصوم بل هي من آداب شهر الصيام. فلا كلام في أن الصائم مكلف بحفظ لسانه و لكنه إذا حان الليل فهل بإمكانه التكلم بما يشاء؟ قال: احفظوا ألسنتكم طيلة هذا الشهر.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعنا نفسه بالصيام والقيام»^٤، فحفظ اللسان يستوجب معرفة الله، ومن عرف الله وعظّمه لا يرد على لسانه كلّ كلام أمام الله العظيم ولا يُلَوِّث بطنه بكل طعام وإن لم يكن حراماً فإنّ لذة

١. كحل البصر في سيرة سيد البشر، ص ٥٨.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٢.

٣. بيتان بالفارسية وهذا نصها:

بسا پیاده که آنجا سواره می آید بسا سواره که آنجا پیاده خواهد شد

بسا اسیر که آنجا امیر می آید بسا امیر که آنجا اسیر خواهد شد

٤. الأربعين للشيخ البهائي، ص ٧٦، ح ٢.

الأكل لا تجتاز اللحظات التي يكون الطعام فيها داخل الفم، ومن عرف الله لا يجلس عند كل مائدة، ويُربّي بالصوم نفسه ولا يغفل عنها.

كتب رجل من طلاب النصيحة إلى أبي ذر: يا أبا ذر أظرفني بشيء من العلم، فكتب إليه أن العلم كثير ولكن إن قدرت أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل، فقال: هل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبه؟ فقال: نعم، نفسك أحبّ الأنفس إليك فإذا عصيت الله عز وجل فقد أسأت إليها^١.

فمن حفظ لسانه ومنع بطنه من كثرة الأكل أو أكل كل شيء وصام وصلّى فهو مؤمن عادي وليس من أولياء الله. فإن أولياء الله هم أهل التأمل والتفكير والتعمق. يجانبون الكلام وإن نطقوا كان نطقهم ذكر الله^٢. إذ يُقال للمؤمن العادي: تكلم قليلاً، ويُقال للمؤمن العارف: تكلم كثيراً واهدِ الناس وذكرهم بالله.

قيمة اكتساب العلم

لقد أدرك رسول الله ﷺ عدة آلاف^٣؛ وكان كلهم من جانب وعلي بن أبي طالب عليه السلام من جانب آخر. وقد شهد النبي ﷺ اثني عشر ألف صحابي وجلسوا تحت منبره سنين عديدة واثتموا به في الصلاة سنوات مديدة وحضروا مجالس درسه وبحثه كراداً ولكنهم لم يستفيدوا منه ولم يتحدثوا بمثل علي عليه السلام. فقد كان ديدنهم أن يأتون النبي ويجلسون لفترة عند مجلس درسه ويتباهون بذلك ابتهاجاً وسروراً

١. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٣٤٥.

٢. قال رسول الله ﷺ: «إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الأجل التي كتب الله عليهم لم تستقر (تقر) أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب»، (الكافي، ج ٢، ص ٢٣٧).

٣. أسد الغابة، ج ٤، ص ٨٧.



لكنه عابر وزائل؛ وأما علي عليه السلام فقد كان ملازماً للنبي في كل مكان: «وضعني في حجره وأنا ولد... كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه»^١.

وروي أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك إلى النبي، فقال له رسول الله ﷺ: «استعن بيمينك» و أوما بيده أي خُطَّ^٢.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا قدم من السفر أتى رسول الله ﷺ و سألته عن نزول الآيات و فحواها و تفسيرها. أو كان يبعث إليه رسول الله بعد قدومه من السفر و يخبره بالآيات التي نزلت في غيابه و فحواها و معناها.

فلم يكن كل أولئك الأصحاب الاثني عشر ألف من أولياء الله بأن يكون كلامهم ذكراً و....

يصف الله البعض في القرآن الكريم بأن له نوراً قائلاً: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^٣، فيتشعشع منه النور حين يمشي بين الناس؛ و كلامه و عمله و سلوكه نور. إذا جالسه المرء يتذكر الله سبحانه؛ إذ لا يتكلم عن المتاع و المأكّل بل يتحدث عن الآيات و الروايات. و كذلك كان مجلس رسول الله ﷺ المبارك.

فلا يوجد شيء في ليالي القدر يضاهي اكتساب العلوم الإلهية و التحالفات بالمعارف الدينية. فعلى المرء أن ينظم أو يشارك في برامج كجلسة التفسير أو الحديث أو الأحكام التي هي سعادة و توفيق بحد ذاتها، و إلا فليأمر بالمعروف و ينه عن المنكر و إن لم يستطع فليذكر الله على الأقل.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢. بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥٢.

٣. سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

فإن من أفضل الكتب الفقهية لدى الإمامية وأهمها هو كتاب الجواهر الذي كتبه مؤلفه الجليل خلال ثلاثين عاماً. إذ يقول في نهاية كتابه: تم كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام في ليلة الثلاثاء ثلاثة وعشرين في شهر رمضان المبارك، ليلة القدر التي كان من تقدير الله تعالى فيها أن يتفضل علينا بإتمام الكتاب. فقد كان هذا الفقيه الجليل مشغولاً بكتابة الجواهر في الليلة الثالثة والعشرين التي هي أفضل من جميع ليالي شهر رمضان المبارك وحتى من الليلة الحادية والعشرين والتاسعة عشرة.

فلا يوجد شيء أعلى من أن يكون الإنسان عالماً عارفاً. لأن العلم هو الذي يهيء الأرضية لوصول الإنسان إلى «العقل»؛ والإنسان العاقل في راحة وقرار ولا يقع في اضطراب وعذاب أبداً.

الابتعاد عن النظر المحرم والتوجه إلى الدعاء

قال النبي ﷺ: «وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ».

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «النظرة سهم من سهام إبليس» أي النظرة إلى غير المحارم. فالإنسان المبتلى والملوث بالنظرة المحرمة يستطيع أن ينجو من هذا الخطر عبر التمرين وتهذيب النفس.

وعلى المرء أن لا ينظر حتى إلى رسائل الآخرين ومدوناتهم وأسرارهم لأننا أمرنا أن نغض أبصارنا في شهر رمضان المبارك عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ.

ومن الوظائف الأخرى في هذا الشهر هي التوبة والدعاء حيث قال: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالْدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَوَاتِكُمْ» فإنه مستجاب لأن أفضل حالة هي حالة الصلاة ولا سيما الأدعية الواردة في تعقيبات الصلاة التي قد



أوصينا بها.

و كلما قرأ الإنسان الدعاء بتأن وخفوت، كلما راعى أدب الدعاء بشكل أمثل، و على المرء أن يسعى لأن لا يدعو ويسأل الله لنفسه فحسب، و لا يطلب من الله له هذه و تلك، بل يطلب الخير و العافية للجميع.

و قد بين لنا القرآن أدب الدعاء و نوعه قائلاً: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾^١.

المفتاح و المغلاق

قال النبي ﷺ في تمة الخطبة: «أيها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم أن لا يغلقها عليكم و أبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم»، فإن أبواب الجنة و إن كانت مفتوحة على الدوام إلا أنها تمتاز بميزة خاصة في هذا الشهر.

ثم إن رحمة الله تسبق غضبه باستمرار. و إن الله يذكر ربوبيته و يتحدث عن كيفية تدبيره بأسلوب تظهر على كلامه علامة الرحمة.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^٢، و حركة هذه المقاليد و المفاتيح على نحوين، فإن تحركت بأحد الاتجاهين تكون مفتاحاً يفتح الخزانة، و بالاتجاه الآخر تكون مغلاقاً يغلق باب الخزانة. فإن هذا المفتاح مفتاح و مغلاق في الوقت نفسه، و هو أداة للمفتح و وسيلة للإغلاق أيضاً، و إن الله كذلك يغلق و يفتح ولكنه لم يقل: «و عنده مغاليق الغيب»، بل قال: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾^٣، فإن الذي بيد الله هو المفتاح لا المغلاق،

١. سورة البقرة، الآية ٢٠١.

٢. سورة الزمر، الآية ٦٣.

٣. سورة الأنعام، الآية ٥٩.

فالمفتاح في اختياره والإغلاق لا يتحقق إلا عبر السيئات التي يقترفها الإنسان. وإن الله لا يغلق باب الرحمة بوجه أحد بل هو الذي يفتحها. فاسعوا إلى أن لا يتبدل المفتاح إلى مغلاق إذ أن الإنسان هو الذي يتسبب الإغلاق.

و أما التعبير عن تدبير الله و ربوبيته بالمفتاح فهو يدل على أنه «دائم الفضل على البرية»^١، أي أنه يتفضل على الإنسان و يفيض عليه باستمرار و على الإنسان من هذا الجانب أن يتقبل الفيض و يتلقاه. ففي الوقت الذي يُحرم الإنسان من الفيض تجدد آخر يتمتع به. فعلى المرء التأهب و التلقي من هذه الجهة و إلا فهو الذي يغلق باب الفيض. و قلب الإنسان أيضاً هو الذي يغلقه بنفسه. و لذا قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة»، و قوله مفتحة دليل على فتحها بأسرها و إلا لقال مفتوحة و هذا هو الفرق بين الفتح و التفتح.

و إن أبواب جهنم تغلق باستمرار بعد دخول أهل النار فيها؛ على العكس من أبواب الجنة فإنها مفتوحة على الدوام سواء قبل دخول أهلها فيها أو بعدها: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^٢ و العدن بمعنى الخلود.

فإن أبواب الجنة لا تغلق أبداً و أبواب النار لا تبقى مفتوحة أبداً؛ لأن إغلاق الباب بذاته ضرب من العذاب و فتحه رفاه و نعمة، فغير المؤمن لا يستطيع دخول الجنة و المؤمن لا يخرج منها. و أما إغلاق الباب فهو عذاب مضاعف: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾^٣، أي أن جميع أبواب جهنم مطبقة عليهم و لا مخرج لهم منها.

١. من الأدعية الواردة في ليلة الجمعة.

٢. سورة ص، الآية ٥٠.

٣. سورة الهنزة، الآية ٨ - ٩.



فإن الأقفال على نوعين: قد تكون بصورة قطعة حديدية صغيرة توصل بين دفتي الباب، وقد تكون على هيئة شريط كبير يغلق دفتي الباب بأسرها. وقد جاء في هذه الآية بأن باب جهنم مطبقة بأسرها ولا مخرج لهم منها. وقوله ﷻ: «و أبواب النيران مغلقة»، يعني أن غضب الله وسخطه وانتقامه قليل جداً في هذا الشهر.

أسباب تعزيز أسس الدين

وقال أيضاً: «وتحتنوا على أيتام الناس يُتحنن على أيتامكم». ويُعدّ هذا الحنان بمثابة الملاط الذي يستند إليه بناء الإسلام والإيمان. فإن الحجر الصلب والأجر واللينة تتماسك فيما بينها بذلك الملاط ويُبنى عبر ذلك صرح مشيد. وهذا هو نفس اللين الذي يربط الأشخاص والأعضاء فيما بينهم. وقد هدّد الله سبحانه قائلاً: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^١، أي أنكم لا تظلموا أيتام الناس حتى لا تُظلم أيتامكم.

فإن الإنسان بعد الموت يكون مطلعاً على أحوال عائلته. فإن كان حرّاً يزور أهله، إذ أن من الأموات من هو حرّ وذو منزلة يزور أهله في اليوم مرة ومنهم من هو مبتلى يزور في الأسبوع مرة ومنهم من يزور في الشهر مرة ومنهم من يزور في السنة مرة كلّ على قدر منزلته لا أنهم ينقطعون كلياً عن أهاليهم^٢.

فلا بد وأن تكون الروح الحاكمة على المجتمع الإسلامي روح الأخوة والمحبة مع جميع طبقات المجتمع؛ المسلمون منهم وغير المسلمين، وإن كان للمؤمن ميزة خاصة.

١. سورة النساء، الآية ٩.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٣٢٠، باب أن الميت يزور أهله.

قال الإمام الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار: «صانع المنافق بلسانك واخلص وذك للمؤمن وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»، فعلى الإنسان مراعاة الأدب مع الجميع سواء كان مسلماً أم كافراً، فإن الأدب من الواجبات الإسلامية حتى مع اليهودي. فيا حبذا لو كانت هذه الروح حاكمة على المجتمع.

موقع الشيطان في شهر رمضان

واحدة من المشاكل التي تلتم بحياة البشر و لاسيما المؤمنين هي الوسواس الشيطانية. وقد قال في هذا الشأن: «و الشياطين مغلولة»، فهم مكبلون بالأغلال في هذا الشهر وينبسون ليس إلا ولا يعطون أحداً. فإن الشيطان موجود يوسوس بإذن الله سبحانه. وإن وسوسته نعمة ورحمة؛ إذ لم يصل أحد إلى مقام ومرتبة إلا عبر الجهاد مع الوسواس و الانتصار في ميدان الجهاد الأكبر. ولو لم تكن الوسوسة و لم يكن الطريق مفتوحاً لاقتراف الذنوب لكان طريق الإطاعة أحادي الاتجاه و كانت الطاعة ضرورية و لو كان كذلك لارتفعت ضرورة الوحي و الرسالة و التكليف و الدين. و إن العالم العاري من الذنب ليس بعالم دين و تكليف و أمر و نهي و أشباه ذلك.

فإن الشيطان مأمور بالنباح على حد الوسوسة، و العارف لا يعتني بهذا النباح و يطوي الطريق و يصل إلى المقصد. و أما الأجنبي فينحرف عن الجادة و يقع في شرك الشيطان. و عندها سيستبدل الشيطان النباح بالعض و يأخذ بالعض بعد ذلك. علماً بأن الشيطان تحت ولاية الله و لا يقوم بفعل من دون إذنه و يُصرح في يوم القيامة قائلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَ تُؤْمَرُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ



ما أَنْتُمْ بِمُضِرِّ خِيٍّ^١.

فمن أعرض عن وعد الله عامداً و اتبع مكر الشيطان يُمهله الله سبحانه، فإن انتهز هذه الفرصة وإلا فسيُسلط الشيطان عليه بعد ذلك ولذا قال من باب الجزاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزِرُهُمْ أَرْأَى^٢﴾ أي تؤذيهم بشدة وتحرمهم من السعادة الأبدية وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ^٣﴾، وقد سلط الله الشيطان عليهم كالكلب المعلم. وإن هذا الكلب المعلم مغلول في شهر رمضان المبارك فلا تقوموا بما يفتح أغلاله، وإنه ينبع من بعيد ليس إلا فلا تفكروا أغلاله بأيديكم فيُسلطه الله عليكم.

وهنا يرد سؤال وهو أن الشيطان كيف اقترف ذنباً رغم أن الملائكة لا يذنبون؟ والجواب هو أن الشيطان كان مع الملائكة ولكن لم يكن منهم بل كان من الجن وقد قال الله في القرآن حول الشيطان: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ^٤﴾، وقال الشيطان لله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ^٥﴾، والله أيضاً لم يكذبه. وقد صادق القرآن الكريم على أن الجن مخلوق من النار^٥.

فالملك لا يعصي والجن تارة يطيع وأخرى يعصي. ولذا قال ﷺ: «والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يُسلطها عليكم». فإن أراد الله أن يُسلط الشيطان علينا، سيقوم بذلك عبر الوسائل الباطنية والخواطر النفسانية، ويجعل قوانا النفسانية آلة بيد الشيطان.

١. سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

٢. سورة مريم، الآية ٨٣.

٣. سورة الأعراف، الآية ٢٧.

٤. سورة الكهف، الآية ٥٠.

٥. ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ (سورة الحجر، الآية ٢٧)، وجمع الجن «جنة».

الورع

لما وصل النبي ﷺ إلى هذا الموضوع من كلامه: «قال أمير المؤمنين عليه السلام - وهو الذي سمع كل هذه المعارف من لسان رسول الله ﷺ - فقلت: يا رسول الله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل».

وللورع درجات: أول درجاته وأقلها مرتبة هي ورع أهل التوبة الذين يعمدون إلى اجتناب المحرمات والتوبة والطاعة.

و الأعلى من ذلك ورع أهل الصلاح الذين يجتنبون المشتبهات أيضاً. فقد قال رسول الله ﷺ: «دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»، وذلك بترك كل أمر وعمل مشتبّه لا يُعلم حليته كالطعام والكلام الذي فيه شبهة وشك في حليته وإن كان ظاهره حلالاً فهذا هو ورع الصالحين.

و الأسمى من ذلك ورع أهل التقوى الذين يُجانبون المحرمات والمشتبهات بل و يتعدون عن الحلال الذي يسوق الإنسان إلى الشبهة أيضاً. فلا بد من ترك الحديث الذي قد يؤدي شيئاً فشيئاً إلى موضع يُحتمل فيه هتك حرمة مؤمن وغيبته ولا بد من ترك الأموال التي قد تلوّث يد الإنسان بهال الشبهة ولا بد من ترك الحلال الذي قد يؤول شيئاً فشيئاً إلى مآل مشوب بالشبهة. فهذا هو ورع أهل التقوى.

و الأرقى من ذلك ورع الصديقين المنقطعين عن كلّ ما سوى الله والمبتعدين عن كلّ ما عدا الحق. فإن كان القلب لا يستقبل سوى محبة الله فهو قلب الصديقين.

فقد قال الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^١، والقلب هو

١. وسائل الشريعة، ج ١٨، ص ١٢٤.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٤.



تلك الروح اللطيفة الإلهية وقد علمونا بأن نسأل الله أن لا يحل في هذا القلب سوى عجة الله، «و قلبي بحبك متياً»^١. فهذه هي تربية الصديقين بأن ينقطع القلب عن ما سوى الله.

وداع شهر الله

يعتبر الإمام السجاد عليه السلام أن شهر رمضان المبارك عيد أولياء الله. فقد ورد في الصحيفة السجادية دعاء حول مقام الدعاء ووداع شهر رمضان المبارك أحصى فيه الإمام في مقدمته النعم الإلهية العامة و أن منته ابتداء وليست من باب الاستحقاق. ثم يقول بعد ذلك: «اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف، وخصائص تلك الفروض، شهر رمضان»^٢.

العرفاء يعيدون في كل نفس بعيدين و العناكب يصنعون من الذباب قديداً^٣. فإن عمل العنكبوت هو نسج الخيوط لاقتناص الذباب و صناعة القديد و المرق. و لم يجتاز عمله إلا ذخار؛ بيد أن للعارف في كل نفس عيدين كما قال سعدي: «كل نفس إذا دخل كان ممداً للحياة و إذا خرج كان مفرحاً للذات؛ ففي كل نفس نعمتان موجودتان و لكل نعمة شكر واجب».

ولذا كان للعارف في كل نفس عيدين، و أفضل أنفاس الإنسان ما كان منها في شهر رمضان المبارك فإن «أنفاسكم فيه تسبيح» و إن التنفس في هذا الشهر بمثابة قول «سبوح قدوس».

١. من فقرات دعاء كميل.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء الخامس والأربعون.

٣. «القديد» اللحم الباقي المجفف. بيت بالفارسية في ديوان سنائي غزنوي وهذا نصه:

عارفان هر دمی دو عید کنند عنکبوتان مگس قدید کنند



وإنَّ عيد الفطر في آخر شهر رمضان المبارك، إنما هو لإعطائنا جوائز هذا الشهر، وهو في الحقيقة حصيلة شهر رمضان المبارك. فإنَّ ضيافة الله يتبعها لقاء الله. إذن فالعظمة ليست لشهر شوال، وإنما هي لشهر رمضان المبارك حيث يعطون في عيد الفطر حصيلة هذا الشهر.

يوم عيد وأنا واقف متحيراً أمام هذا التدبير حيث سأعطي حصيلة ما قدمته خلال ثلاثين يوماً وأتسلم منحتي^١.

ولقد أشار الإمام السجاد عليه السلام بادئ الأمر إلى نعم الله ثم قال: «وأنْتَ جعلت من صفايا تلك الوظائف، وخصائص تلك الفروض، شهر رمضان الذي اختصاصته من سائر الشهور، وتخيرته من جميع الأزمنة والدهور، وأثرته على كلِّ أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن والنور، وضاعفت فيه من الإيثار، وفرضت فيه من الصيام، ورغبت فيه من القيام، وأجللت فيه من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. ثم أثرتنا به على سائر الأمم، واصطفيتنا بفضله دون أهل الممل... وقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد وصحبنا صحبة مبرور»^٢.

ولا يتحقق الوداع إلا لمن كان مأنوساً بشهر رمضان المبارك وكان مصاحباً له ولا فلا وداع لمن لم يكن مع هذا الشهر. فإنَّ الإنسان يُودَّع صاحبه أو من كان مأنوساً معه مدة من الزمن. ولا وداع لمن لا يعرف أساساً متى حلَّ شهر رمضان المبارك ومتى ارتحل، ولماذا أتى ولماذا انقضى.

فكان الإمام السجاد عليه السلام إذا حلَّ آخر شهر رمضان المبارك، يقرأ هذا الدعاء بتضرُّع وابتهاال قائلاً: «وقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد، وصحبنا صحبة مبرور»

١. بيت بالفارسية وهذا نصه:

روز عید است و من مانند در این تدبیرم که دهم حاصل سی روزه و ساغر گیرم

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء الخامس والأربعون.



حيث كان مقروناً بالرحمة والمغفرة والفضائل والنعم.
وقال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة». فمن رافق هذا الشهر وصاحبه حلت به بركته ورحمته ومغفرته.

أفضل ما يُنتفع من شهر الله

ثم قال عليه السلام: «و أربحنا أفضل أرباح العالمين». فلم يربح أيّ تاجر في أقصى بقاع العالم ما ربحناه في هذا الشهر، ولم ينتفع أيّ أحد بما حصلنا عليه من هذا الشهر. فإنّ الإنسان مسافر إلى الأبد ولا بد من إعداد زاده في هذه الأيام القلائل. وإن أبواب السماء تفتتح بوجه المؤمن في هذا الشهر ويكون بإمكانه عبر الورع الوصول إلى باطن العالم، ولو كانت فرصة شهر رمضان المبارك هي أفضل فرصة، تكون أفضل الأرباح لهذا الشهر وأهله أيضاً.

وإنّ أول السنة لطائفة من الناس هو أول فروردين، وإنّ الشاب في أول فروردين يسعى لأن يعدّ لنفسه ثوباً جديداً. كما أنّ أول السنة للأشجار أيضاً فروردين حيث يرتدون فيه ثياباً جُددًا. وأول السنة للمزارع فصل الخريف حيث يحسب حصيلة مزرعته. وكلّ من التاجر والصانع يعيّنون وقتاً آخر كبداية للسنة، وأما المرحوم السيد ابن طاووس، فهو يشير إلى أنّ أول السنة لأرباب السير والسلوك هو شهر رمضان^١. حيث يُحاسِبون أنفسهم من شهر رمضان إلى الشهر المقبل؛ عن الدرجات التي توصّلوا إليها في السنة الماضية والحالية والمسائل التي أدركوها وعن مدى قدرتهم على الوقوف أمام الذنوب وبوجه الأعداء. فإنّ شهر رمضان المبارك للسالكين إلى الله هو شهر المحاسبة. ومن هنا قال الإمام السجاد عليه السلام: «و أربحنا أفضل أرباح العالمين».

أنين الفراق

و قال في تنمة الدعاء: «ثم قد فارقنا عند تمام وقته و انقطاع مدته و وفاء عدده فنحن مودّعه و داع من عزّ فراقه علينا». و أيّ وداع هذا؟ هل هو وداع صوريّ؟ كلا؛ وإنما هو وداع مع عزيز عزّ فراقه؛ و مرتحل صعب ارتحاله و أوجع فقده و هو شهر زاخر بالرحمة، فمن كان من أهل المعنى ازداد في هذا الشهر خيره و من كان من أهل المعاصي قلّت فيه ذنوبه.

و قد قال أعظم فقهاءنا أمثال المرحوم صاحب «جواهر الكلام» رحمته الله: «الصوم الذي هو من أشرف الطاعات و أفضل القربات، و لو لم يكن فيه إلا الارتقاء من حطيط النفس البهيمية إلى ذروة الشبه بالملائكة الروحانية لكفى به منقبة و فضلاً»^١.

و قد أوصونا بالصيام بعد عيد الفطر و في الأيام الأولى من شهر شوال لمدة ستة أيام توديعاً و مشايعة لشهر رمضان؛ لأنّ من يريد توديع صديق عزيز له فإنه سيشايعه خطوات قليلة.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «و أوحشنا انصرافه عنا»، و من هنا كان أولياء الله يشعرون بالغربة في نهاية شهر رمضان المبارك.

«و لزمنا له الذمّ المحفوظ و الحرمة المرعية و الحقّ المقضيّ. فنحن قائلون السلام عليك يا شهر الله الأكبر، و يا عيد أوليائه»، و هذا هو سلام توديع.

«السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، و يا خير شهر في الأيام و الساعات». و قد كرّر الإمام السجاد عليه السلام على هذا الشهر لعدة مرات. و لو كان شهر رمضان منقضيّاً زماناً عابراً عارياً من الباطن و السرّ و الحقيقة لترك الإمام السلام عليه. و إنّ هذه الأقوال المعرفية ليست - معاذ الله - نظير أشعار الشعراء

١. جواهر الكلام، ج ١٦، ص ١٨١؛ العروة الوثقى، ج ٢، ص ٦٩، الفصل ١٥.



الخيالية حتى تُحمل على الخطابات الخيالية كمخاطبة الجبال والأطلال. و فحوى كلام الإمام هو أن لدينا الكثير من الأصدقاء والأصحاب ولكن لا يوجد صديق بعظمة هذا الشهر. ذلك الشهر الذي أيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي.

رمضان و تعليم الدعاء

«السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، و نشرت فيه الأعمال»، فقد عرفنا فيه ماذا نريد ولذا لا يطول أملنا و هو شهر قربت فيه الآمال المشروعة.

و قد روي عن الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء الوارد في أسحار شهر رمضان المبارك بأن الله يرزق من لم يعرفه ولم يعبد. وأنه يرزق حتى الأفاعي والعقارب، فمن المؤسف أن يُلخص الإنسان حاجاته بأسرها في محور المادة والماديات. ثم إن الله يرزق جميع الكفار والمنافقين في العالم أيضاً، فهل من الحرى أن يصب الإنسان جهده في طلب الطبيعة والدينام من الله؟ ومن هنا قال الإمام: «السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال و نشرت فيه الأعمال» فمن خلال هذا الدعاء عرفنا ماذا نطلب من الله و هو ما يبقى لنا ولا يزول.

لما عزم المسلمون على الهجرة إلى المدينة، منعهم كفار مكة من نقل أموالهم أو بيعها فنزلت الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^١.

فهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة قائلين بأننا لا نحمل معنا أرزاقنا فإن إله مكة هو إله المدينة أيضاً، ومن كان يرزقنا في مكة يرزقنا في المدينة كذلك. فقصدوا المدينة صفر اليدين و سُموا بالمهاجرين؛ فرزقهم الله أيضاً و آمن احتياجاتهم. وليس من كان دنيّاً يكون رغيد العيش ومن كان عظيماً يكون منكّد العيش.



ولذا قال بأننا عرفنا ماذا نطلب من الله في هذا الشهر و وقفنا أمام آمالنا و قمنا بالعبادة.

الوداع من صفاء الباطن و النشاط

«السلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً، و أفجع فقده مفقوداً، و مرجو آكر فراقه».

فإنّ الشهر الذي ترسّخ في الروح إذا فارقتها و انفصل عنها حلّ الأكر محلّه؛ إذ لا يبقى أثر لصفاء الضمير و يزول ذلك النشاط الذي يحصل عليه المرء في شهر رمضان من التضحية و الإيثار في غيره. فلو طلب الإنسان من الله في ضيافته الغنى، لم يعد شيء يشغله و لا يخاف من أحد و لم يرتعاس عن بذل مهجته.

«السلام عليك من أليف آنس مقبلاً فسرّ و أوحش منقضيّاً فمضّ»^١. هذا هو كلام من أدرك باطن الصيام في هذا الشهر و باطن ليلة القدر.

القلوب الرقيقة و الأفكار الصافية

و قال أيضاً: «السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب و قلت فيه الذنوب»، السلام عليك أيها الجار العزيز الذي كنا نعيش بجوار رحمته، و على أثر حسن جوارك رقت قلوبنا و قلت ذنوبنا. فإنّ اقتراف الأعمال المكروهة و الذنوب الصغيرة تقطع على الإنسان طريقه شيئاً فشيئاً.

إنّ للمناطق الريفية و الأراضي الخضرة و النضرة مياه صافية تشقّ طريقها إذا نبتت من العين و لا تقطع الطريق على أحد و تروي كل شجرة و نبتة عطشانة في طريقها. و هذه هي خصيصة الماء الصافي حيث يبحث عن العطشان و يجابه الصخور

١. «مض» هو الأكر الموجه. كالأكر الذي يصيب الإنسان إثر الحديد المنصهر.



و يبذل قصارى جهده للوصول إلى العطاشى و ريثم.

ولكن إذا اختلط الماء بالأملاح و الرسوب تجده يتوقف بمجرد نبوعه من العين و يؤول مصير تلك المزارع بعد بضع سنين إلى تلّ من الأحجار و تيبس كلّ تلك الأراضي الخضرة و يتعذّر فيها النبت و الزرع.

و هذا هو حال الأفكار فإن كانت صافية نبعت من القلب و انتشرت عبر البيان و البنان و وصلت إلى الأسماع و الأنظار و جرت في قلوب الآخرين. و لذا فإن أحد ألقاب العالم هي «الماء المعين» الذي أطلق في الأصل على الإمام المهدي عليه السلام.

فإن الله سبحانه و تعالى يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^١، و الماء المعين هو الماء الجاري و المشهود، و يُطلق على العالم لأنه يتدفق كالعين الصافية. فالكلام الذي ينطق به و المسألة التي يدونها إنما هي علم يترشح من قلبه و يصل إلى سمع امرء و نظره فيفهمه و ينقله إلى آخر فيفهمه أيضاً و ينقله إلى ثالث و هكذا يجري كالعين الصافية و يصل إلى أهله.

و أما الأفكار و الخيالات الباطلة فهي تسدّ طريق القلب كتلك الترسبات و الأملاح المعدنية فيفسد ذلك القلب و يتصلّب و يُطبع عليه شيئاً فشيئاً. و عندها لا يخرج منه شيء إلى الآخرين و لا يلج فيه شيء منهم و لا يؤثّر في الآخرين و لا يتأثّر منهم.

يقول الإمام السجاد عليه السلام أنه ترقّى في هذا الشهر القلوب و تقلّ فيه الذنوب.

شهر السيطرة على الشيطان

«السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان و صاحب سهل سبيل الإحسان»،

١. الكافي، ج ١، ص ٣٣٩، ح ١٤.

٢. سورة الملك، الآية ٣٠.

فإن الإنسان في هذا الشهر يتغلب على الشيطان حقاً ولا يسمع وساوسه فهو يتغلب عليه إيجاباً حيث يطوي سبل الخير بجودة وسهولة، فضلاً عن النجاة فيه سلباً حيث يتعد عن السيئات. فلو كان العمل الصالح في غير شهر رمضان أمر عسير فهو فيه يسير.

التحرّر من قيد الشهور و نيل السعادة

و قال أيضاً: «السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك»، حيث فكّ الله فيه الأغلال عن أولئك الذين سقطوا في النار و ابتلوا بالرزائل الأخلاقية و هل توجد نعمة أعظم من الحرية.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان صفات الإنسان المتدين حيث قال: «و رفض الشهوات فصار حرّاً». فلا نعمة أفضل من الحرية و التحرر، بأن لا يكون الإنسان أسير شهوته و غضبه و عبد هواه و لا يسلم زمام أموره بيد ميوله و أهوائه. «و ما أسعد من رعى حرمتك بك» و حفظ لسانه من الكلام الباطل و نفسه من الخيال و الذنب.

«السلام عليك ما كان أحماك للذنوب و أسترك لأنواع العيوب»، فالمرحلة الأولى هي الستر و تليها المغفرة، و أنّ الله سبحانه يستر ليحفظ كرامة الإنسان ثم يعفو حيث إن الستارية تهيء المجال لمغفرة الغفار.

فعلى الإنسان أن يحفظ كرامة الآخرين ليحفظ الله كرامته أيضاً.

«السلام عليك ما كان أطولك على المجرمين»، حيث يمضي عليهم و كأنه عدة أشهر.



«و أهيبك في صدور المؤمنين»، حيث يحل في قلوبهم بهيبة وهيمنة وجلال وعظمة.

المنافسة مع سائر الشهور

و يقول في تمة وداعه: «السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام»، فإن الإنسان إذا عدا و سابق، تتابع نفسه ليصل إلى المقصد. وقد قال الله سبحانه تنافسوا و تسابقوا في ذكر الفضائل: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^١، فعليكم بالمنافسة للوصول إلى ذلك المقام النفيس.

فقال إن هذا الشهر لا تنافسه الشهور و الأيام و الليالي و اللحظات، و هو الرائد المقدام و سائر الشهور على إثره.

فلا يتأتى للإنسان أن يقول بأي أسمع الكلام في هذا الشهر ثم أعمل بعد ذلك، فإن لم يعمل في هذا الشهر، لا يمكنه العمل بعده أيضاً لأن باقي الأوقات عاجزة عن منافسة شهر رمضان في اجتلاب التوفيق للإنسان و تأمينه.

التطهير و التغسيل لا التعب و النصب

«السلام عليك غير كربه المصاحبة و لا ذميم الملايسة»، ففي الفترة التي كنت بضيافتنا أو كنا بخدمتك لم نشعر بعذاب و مشقة و لم نسأم من صحبتك بل سررنا بلقائك و وفدت علينا ضيفاً كريماً.

«السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات و غسلت عنا دنس الخطيئات»، فقد طهرتنا و وضعت عنا وزرنا و إن تلوثنا بعدك فمن عند أنفسنا.



«السلام عليك غير مودّع برماً ولا متروك صيامه سأمًا»، فإن الإنسان إذا استضاف ضيفاً لمدة مديدة سيشعر بالتعب؛ سوى أن الإمام يقول بأننا لم نشعر بالتعب و النصب بعد الصيام و الضيافة الطويلة بل كان لنا مدعاة للسرور و الابتهاج.

الوداعات الأخيرة

«السلام عليك من مطلوب قبل وقته و محزون عليه قبل فوته، السلام عليك كم من سوء صُرف بك عنا و كم من خير أفيض بك علينا»، فقد كنا في الواقع نحن الضيوف الوافدون عليك و لست أنت الضيف الوافد علينا.

«السلام عليك و على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر»، و هذا هو سلام توديع.

«السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك و أشد شوقنا غداً إليك»، و مراسم التوديع هذه لم نقم بها من باب أداء الواجب فحسب.

«السلام عليك و على فضلك الذي حُرمناه و على ماض من بركاتك سُلبناه».

ثم يخاطب الإمام الله سبحانه قائلاً: «اللهم إنا أهل هذا الشهر الذي شَرَفْتنا به و وفَّقْتنا بمنّك له حين جهل الأشقياء وقته و حرّموا لشقائقهم فضله، أنت وليّ ما آثرتنا به من معرفته و هديتنا له من سسته، و قد تولينا بتوفيقك صيامه و قيامه على تقصير و أدينا فيه قليلاً من كثير، اللهم فلك الحمد إقراراً بالإساءة و اعترافاً بالإضاعة و لك من قلوبنا عقد الندم و من ألسنتنا صدق الاعتذار، فأجرنا على ما أصابنا فيه من التفريط أجرّاً نستدرك به الفضل المرغوب فيه و نعتاض به من أنواع الذخر المحروص عليه، و أوجب لنا عذرك على ما قصّرنا فيه من حقّك».

فقد قال الله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^١.



«و أبلغ بأعمارنا ما بين أيدينا من شهر رمضان المقبل فإذا بلغتناه فأعنا على تناول ما أنت أهله من العبادة و أدنا إلى القيام بما تستحقه من الطاعة، و أجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك في الشهرين من شهور الدهر... و اجبر مصيبتنا بشهرنا و بارك لنا في يوم عيدنا و فطرنا... اللهم و من رعى حق هذا الشهر حق رعايته و حفظ حرمة حق حفظها و قام بحدوده حق قيامها و اتقى ذنوبه حق تقاتها أو تقرب إليك بقربة أو جبت رضاك له و عطفت برحمتك عليه فهب لنا مثله من وجدك و إحسانك و أعطنا أضعافه من فضلك فإن فضلك لا يغيض و إن خزائنك لا تنقص بل تفيض... و اكتب لنا مثل أجور من صامه أو تعبد لك فيه إلى يوم القيامة».



القسم السادس:

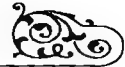
الاعتكاف وحكمته

من شؤون العبادة

إنَّ لعبادة الله تقدّست أسماؤه شؤون. فتارة تتجلى على صورة فكر و ذكر و شكر و تارة على صورة حركة و أخرى على صورة سكون لانتظار ما يأمر به المعبود و ما يأتي به رسوله ﷺ .

فما كان منها على صورة فكر و ذكر و شكر و ردت فيه آيات و روايات كثيرة و لا حاجة لشرحها، و ما كان منها على صورة حركة كالطواف حول الكعبة و السعي بين الصفا و المروة و الهرولة الواردة فيها فهي بنفسها عبادة و لا بد من أدائها بقصد القرية، و ما كان منها على صورة توقّف فهي نظير الوقوف في عرفات و المشعر و منى علماً بأن الوقوف هناك لا يعني السكون و لكن لا تجب الحركة فيه بل إن مجرد المكوث في عرفات و المشعر و منى واجب مع تلك الآداب و السنن الخاصة.

فقد يأمر المعبود بالحركة و الهرولة كالسعي بين الصفا و المروة أو بالطواف حول بيته كما في الحج و العمرة، و قد يعتبر الوقوف و العكوف و الإقبال مع التعظيم و التكریم في بيته واجباً أو مستحباً كالاكتكاف.



فالعكوف هو الإقبال على الشيء و التوجه إليه مع تعظيم و تكريم^١. فالاعتكاف في المسجد ضرب من العبادة التي لا يُشترط فيها الحركة و لا يُعتبر فيها السكون كذلك كالوقوف في عرفات و المشعر و منى.

أبرز مصداق للعبادة

يكفي في فضل الاعتكاف أنه جُعل عدلاً لطواف بيت الله و قسماً و مثيلاً للركوع و السجود.

و قد أمر نبيّين من أنبياء الله العظام أن يطهّرا الكعبة و حريمها من لوث و جود الوثنية و الثنوية ليقوم العابدون في هذا المطاف و إلى جانب القبلة و حرم الله جلّت عظّمته بالطواف و الاعتكاف و الركوع و السجود.

حيث يقول الله تعالى ذكره في هذا الشأن: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^٢.

و يظهر من عدّ الاعتكاف عدلاً للطواف و الركوع و السجود أنه من أبرز مصاديق عبادة الله سبحانه و تعالى.

مسألتان مهمتان في الاعتكاف

إنّ ما يضيفي في أهمية الاعتكاف و فضله مسألتان إحداهما مهمة و الأخرى أهم؛

١. «عكفه أي حبسه و وقفه... و منه الاعتكاف في المسجد، و هو الاحتباس و عكفَ على الشيء يعكفُ و يعكفُ عكفاً، أي أقبل عليه مواظباً» (الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٤٠٦). «العكوف الإقبال على الشيء و ملازمته على سبيل التعظيم له، و الاعتكاف في الشرع هو الاحتباس في المسجد على سبيل القرية» (مفردات الراغب، ص ٣٥٥) مادة «عكف».

٢. سورة البقرة، الآية ١٢٥.



فالمهمة أن الاعتكاف ليس كالصلاة حتى يمكن الإتيان به في أي مكان، إذ أن الصلاة بالاستناد إلى «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»^١ يمكن أداؤها في كل مكان، بخلاف الاعتكاف فإنه لا بد أن يكون في المسجد وبيت الله، ولا يصح في كل مسجد بل لا بد أن يكون في المسجد الجامع أو المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ أو المسجد الذي أقام فيه معصوم أو إمام عادل وإن كان غير معصوم صلاة الجمعة أو الجماعة.

إذن فالاعتكاف لا بد وأن يقام في مسجد يصلي فيه جماعة المسلمين، وهو المسجد الجامع والمسجد الذي يعدّ في المدينة من أكبر المساجد والذي تقام فيه الجماعات الرسمية. فالمسجدية ميزة بحدّ ذاتها وإقامة صلاة الجمعة أو الجماعة فيه ميزة أخرى، ولا يصح انعقاد الاعتكاف في المسجد المتروك والمهجور. ومن خصّ الاعتكاف بالمسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ أو المساجد الأربعة لا بد من حمل كلامه على الأفضلية لا على التعيّن.

والمسألة الأهم أن الصوم الذي هو من أركان الدين المهمة وركائز الإسلام الأصلية حيث: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية»^٢، يعتبر من شرائط الاعتكاف، وأن قيمة الاعتكاف بحدّ يعدّ أحد أبرز أركان الدين^٣ من شروطه! وكما أن الصلاة لا تتحقق من دون طهارة «لا صلاة إلا بطهور»^٤، لا يصح الاعتكاف أيضاً من دون صوم «لا اعتكاف إلا بصوم»^٥، وهذه هي من غرر كلمات الأئمة الأطهار عليهم السلام.

١. وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٤٢٢، ح ٢.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٨.

٣. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣١٩، ح ٢.

٤. الكافي، ج ٤، ص ١٧٦.

الاعتكاف الباطل

يعتبر الاعتكاف من أجل مقامات العبودية والرقية لله سبحانه وتعالى. وهناك من يقوم بنفس هذا العكوف والإقبال والتعظيم أمام الأوثان والأصنام كالسامري الذي عكف أمام عجله، وقد ختم الله على كل أصناف الاعتكاف والعبودية المزيفة بالبطلان.

ونقل سبحانه وتعالى الكلام الباطل والزائف لعباد الأصنام والشوبة قائلاً: ﴿فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^١.

ويقول في مكان آخر نقلاً عن النبي موسى عليه السلام حول السامري: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنْفَرْتَهُ تَنْفَرْتَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^٢.

والعكوف في هذه الآية هو الإقبال والتعظيم والتوجه والخضوع وصار مرفوضاً ومذموماً لأنه كان أمام الباطل.

وقد نهى أنبياء الله العظام ومنهم إبراهيم الخليل عليه السلام الناس عن الخضوع والعكوف والتذلل للأصنام حيث نقرأ في القرآن المجيد مقولة النبي إبراهيم مخاطباً عمه وقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^٣.

فإن مثل هذا العكوف بكل أنواعه باطل ومحرم؛ بيد أن العكوف والاعتكاف لله وحده وبآدابه وسنته الخاصة صحيح ومشروع وبناء.

١. سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

٢. سورة طه، الآية ٩٧.

٣. سورة الأنبياء، الآية ٥٢.

الاعتكاف عبادة مستقلة

إنَّ للمرحوم المقدس الأردبيلي الذي استطاع في مقام العلم أن يكون محققاً و في مقام العمل أن يكون منزهاً و مقدساً بيان بليغ في باب الاعتكاف حيث يشير إلى أنه لا يزعم البعض أنَّ الاعتكاف مقدمة لعبادة أخرى، فالدخول إلى المسجد بطهارة و الصوم و قصد الاعتكاف قرينة إلى الله عبادة بحد ذاتها؛ لا أن يكون الاعتكاف شرطاً و مقدمة لعبادة أخرى و إنما هو عبادة مستقلة كما هو الحال في الحج و العمرة و الصوم و الصلاة^١.

اعتكاف الصالحين

يظهر مما قيل من أن الصوم بكل ما له من فضل شرط للاعتكاف، أنَّ الإنسان المعتكف قد عكف على الله جلَّت عظمته و توجه إليه و ابتعد عما سواه. و لو عكف المعتكف على الله الذي ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^٢، فإنه سوف لا يضاهي اعتكافه أيَّ عكوف؛ لأن قيمة أيَّ اعتكاف و مرتبته منوطة بقيمة المبدأ الذي تم الاعتكاف في محضره و له، و معنى هذا أن أيَّ اعتكاف لا يضاهي و لا يكافئ اعتكاف عباد الله الصالحين.

و بها أن للاعتكاف عند الله سبحانه حرمة و منزلة، فقد كان الرسول الأكرم ﷺ ذلك الإنسان الكامل يعتكف في المسجد في كثير من الأوقات و لاسيما في شهر رمضان و بالأخص في العشرة الثالثة منه.

و قد ورد في هذا الشأن عن العترة الطاهرة عليه السلام بأنَّ أقل مدة للاعتكاف هي ثلاثة

١ . مجمع الفائدة و البرهان، ج ٥، باب الاعتكاف، ص ٣٥١.

٢ . سورة الإخلاص، الآية ٤.

أيام^١. وهذه النظرية بعيدة عن تفريط ساعة واحدة ولا إفراط عشرة أيام.

الاعتكاف و قضاء حاجة المؤمن

صحيح أنه لا يصح للمعتكف الخروج من المسجد ولكن يمكنه الخروج للمشاركة في صلاة الجمعة أو لإنجاز الأعمال الضرورية، وبما أنه مأذون بالخروج من المسجد لحل مشكلة مسلم واحد وعد ذلك بمثابة الاعتكاف، فكذلك للمعتكف أن يخرج من المسجد في حال الاعتكاف لحل مشاكل النظام الإسلامي أو قضاء حاجة المحتاجين في المجتمع الإسلامي وذلك لأهمية هذه المسألة ثم يعود إلى مكانه وهي تعتبر تنمة لهذه العبادة لا غريبة ومنفصلة عنها؛ لأن قيمة الاعتكاف بكونه عبادة كما هو الحال في الوقوف بمنى والمشعر وعرفة.

فقد روي عن إبراهيم بن ميمون أنه قال: كنت جالساً عند الحسن بن علي عليه السلام وكان معتكفاً فاتاه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ﷺ، إن فلاناً له عليّ مال يريد أن يجبسنني فقال: «والله ما عندي مال فأقضي عنك»، فقال: فكلّمه، ولبس نعله فقلت له: يا ابن رسول الله ﷺ، أنسيت اعتكافك؟ فقال: «لرأنس ولكنني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله ﷺ أنه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنها عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره وقائماً ليله»^٢.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم فاجتهد فأجرى الله على يده قضاها كتب الله عز وجل له حجة وعمره واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامهما»^٣.

١. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥٤٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥٥٠، ح ٤.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥٥٥، ح ١.

الدعاء و المناجاة في حال الاعتكاف

إن للاعتكاف في أيام البيض (١٣ و ١٤ و ١٥) من شهر رجب فضل خاص، لأن شهر رجب شهر الولاية و شهر أولياء الله، و الاعتكاف في هذه الأيام مقترن بالزمن الذي يُستجاب فيه الدعاء، فمن الواضح أن له في مثل هذه الفترة فيض خاص. فلإن الدعاء عبادة في كل حال و لاسيما إذا اقترن بالاعتكاف.

و إن الصائم الذي يتجنب اللذائذ الجنسية المحللة استناداً إلى الآية الشريفة ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾^١، فهو يُعرض عن المحرمات قطعاً. فمن لم يعمد إلى إرضاء غرائزه عبر أي طريق و إن كان حلالاً، سيصل إلى صفاء الضمير و طهارة الروح يقيناً. و عندئذ يستطيع بصفاء ضميره و طهارة روحه أن يناجي الله جلّت عظمته، لأنه مصلّ و صائم و معتكف في المسجد و في بيت من لا يردّ ضيفه خائباً، و لذا فإن دعاء العبد الصائم و المصلي و المعتكف مستجاب لا محالة.

ثم إن الله قريب من الجميع و لكنه من الصائمين و الداعين و المصلّين و الضيوف الوافدين عليه المتسمين بضيوف الرحمن أقرب. إذن فالإنسان المعتكف قريب من الله من جهات عدة، لأن صيامه سبب لقربه حيث قام به قربة إلى الله، و صلاته مدعاة لقربه لأن «الصلاة قربان كل تقى»^٢، و حضوره في المسجد باعث على تقربه لأنه في بيت من لا يردّ عباده الصائمين الصالحين، و الاعتكاف أيضاً بحدّ ذاته أداة لتقربه.

فإن الله سبحانه و تعالى لا يردّ المعتكفين في روضة قدسه و ساحة جلاله و جبروته خائبين، إضافة إلى أن المعتكف إذا اشتغل بالدعاء يعدّ من هذه الجهة أيضاً سبباً لقربه من الله تعالى، فهو يملك هذه العناصر المحورية الخمسة (الصلاة و الصوم و الدعاء و الحضور في المسجد و الاعتكاف) و من خلالها يتوافر له أفضل حال للدعاء.

١. سورة البقرة، الآية ١٨٧.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦.

و حرّي بالمعتكف في مثل هذا الحال أن يطلب من الله تقدّست أسماؤه أولاً ظهور
وليه بقية الله ﷻ، ثم بقاء الشورة واستدامتها وصيانة قائد الشورة الإسلامية و
عظمته و بقاء الحوزة و دوامها و تكاملها و تعاليها الروحي و صيانة مراجع التقليد و
عظمتهم و صيانة الأمة الإسلامية و عظمتها و نجاة المسلمين المستضعفين في شرق
العالم و غربه.

لأن استجابة الأدعية الجزئية لا تتطلب الكثير من الشروط و يمكن القيام بها في
كلّ وقت، و لذا فهي تُستجاب في كثير من المواطن. و أما الأدعية الكلية فهي لا
تُستجاب على الدوام؛ لأن استجابتها منوطة بتوفّر العديد من الشرائط. فإنّ الأدعية
الكلية و الواسعة تنبع من روح واسعة، و هي التي وصلت إلى عرش الله بل اجتازته،
فإنّ «قلب المؤمن عرش الرحمن»^١، و قلب وليّ الله كرسيّ الله. و إن قامت هذه القلوب
بالدعاء ستستجاب على اليقين؛ لأنّ العناصر الخمس المذكورة تهبيء جيداً أرضية
استجابة الدعاء.

و نحن نقترح أن تشارك الأخوات المكرّمات أيضاً في الاعتكاف؛ لأنّ فضل
الاعتكاف يختص بالإنسان لا بالذكّر أو المؤنث. فإنّ الذكورة و الأنوثة صفة البدن لا
صفة الروح و الاعتكاف متعلق بروح الإنسان.

و على الأخوات و الإخوة أن يكون لهم دعاء كلي و واسع و جامع في محضر الله
سبحانه و تعالى، لإنقاذ العالم الإسلامي بأسره من خطر المستكبرين و غيرهم.
فيتخلّص النظام الإسلامي من شرّ المستكبرين و تنجو الشعوب الإسلامية من سيطرة
الظالمين.

فإنّ النظام الإسلامي و المراجع العظام و الأساتذة و العلماء الكرام يؤيّدون

الاعتكاف، و الطلاب الأفاضل يساندون الاعتكاف ويكرمونه، و طبقات المجتمع من طلبة العلوم الدينية وغيرهم جالسون على مائدة الاعتكاف، فحقيق بنا أن نستفيض بالكامل من هذا الفيض والفوز الإلهي ولا نفكر بأنفسنا وأقربائنا فحسب بل نفكر بالإسلام والمسلمين و ندعو للجميع.

على أمل أن يكون العالم بأسره معتكفاً في محضر القرآن والعتره وذات الله القدسية.

* * *

القسم السابع:

تلاوة القرآن وحكمتها

مع القرآن

إن لتلاوة كتاب الله أحكام و آداب منها كيفية أداء الحروف من مخارجها ومنها مراعاة الوقف والوصل.

و أما حكمة تلاوة القرآن هي أن تؤدي كيفية التلاوة إلى مشاهدة المعبود، و المرحلة النازلة لذلك هي أن لا يستقر في ضمير العبد و قلبه سوى محبة المعبود. و قد توافرت للإنسان بسهولة معرفة أن هل يوجد في قلبه شيء سوى الله أم لا؟

قال الإمام السجاد عليه السلام: «لومات من بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي»^١، و معنى ذلك أن العالم بأسره لو أصبح كافراً و كان القرآن معي لما استوحشت. لأن الموت في الواقع هو موت الروح و الإنسان الكافر ميت حقاً، و الأحياء في الرؤية القرآنية هم الذين آمنوا بدين الله: ﴿لِيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٢.

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢.

٢. سورة يس، الآية ٧٠.



فالإمام يقول بأن الناس لو اعتنقوا الكفر بأجمعهم لما أضرنا ذلك ولما أصابنا الخوف، لأن الإنسان لا يفقد شيئاً لا يمكن تداركه في حربه مع الكافر سوى أن يعرج من عالم محدود إلى عالم خالد ولا ضير في ذلك؛ ومن لا يهرب الانتقال من عالم الطبيعة إلى ما وراءها، لا يتغلغل الخوف في قلبه من الكفر العالمي.

إذن فحكمة العبادة أن يشاهد العابد المعبود في ضميره ولا يستحيل طي هذا الطريق بل أن له شرائط وآداب وأحكام. وللوصول إلى شهود المعبود علينا أن نبذل قصارى جهدنا لمراقبة أنظارنا وأسماعنا ومراقبة أنفسنا بأن لا نقوم إلا بواجبنا الشرعي وأن لا نلوث الوسط الذي نعيش فيه من عملنا وبيتنا بالغفلة عن الله. وتلاوة القرآن أيضاً عبادة ولا يصل قارئ القرآن إلى حكمة تلاوته إلا إذا شاهد صاحب هذه الكلمات بعين قلبه.

ضياء البيت

ينقل المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين الجبل عاملي رحمته في ترجمة بعض الصحابة والأعلام من أهل العلم والدين والسير والسلوك أنهم كانوا يقسمون برامجهم في البيت، وكان أفراد العائلة في اليوم واللييلة يسعون في أن يبقى البيت مضيئاً، حيث لا تنام العائلة جميعاً بعد تناول الغذاء من المساء وحتى الصباح بل كانوا يتناوبون في الحراسة، فيحيي أحدهم شطراً من الليل بالعبادة والدرس والبحث والتلاوة والدعاء وينام الآخر، ثم يقوم هذا ويشغل بالعبادة وينام الأول، ويتبعه الثالث يقوم ويتصدى للعبادة، بحيث أنه لا يُذكر في هذا البيت سوى اسم الله.

فإنه قد يترعرع في عائلة عَلم كالشيخ الأنصاري أو يتربى إنسان كامل كبحر العلوم وهو حصيلة ما تجشّمه آباؤهم وأجدادهم من عناء لسنوات مديدة، لأن الله سبحانه لا يهب لعائلة فرداً متميزاً من دون سبب. فإنهم كانوا يسعون في أن يبقى



البيت مضيئاً على الدوام ولا يُفعل فيه ما لا يرضي الله عز وجل، حتى يتبدّل شيئاً فشيئاً إلى مركز من نور وبالتالي ينير مدينة بأكملها.

وإنّ البيت الذي يُقرأ فيه القرآن والدين هو الحاكم فيه، يضيء للملائكة كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض^١. وكما أن الإنسان إذا أجال ببصره في أرض مستوية، رأى بعض مواضعها مظلمة وبعضها الآخر مضيئة، كذلك فإنّ البيت الذي يُقرأ فيه القرآن والدين هو الحاكم فيه، فإنه يضيء لأهل السماء.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئل عن فاطمة لرسميت زهراء؟ أنه قال: «لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»^٢. وهكذا شأن الإنسان الكامل حيث يضيء لأهل السماء.

ظلمة غير المؤمن

هناك آيتان في القرآن الكريم تشير إحداهما إلى أن الملائكة وحمة العرش يستغفرون للمؤمنين والثانية إلى أن ملائكة الله يستغفرون لأهل الأرض: حيث قال سبحانه في الأولى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^٣، وقال في الثانية: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^٤.

وقالوا: بأن الجمع بين هاتين الآيتين هو أن المراد بالذين آمنوا وبأهل الأرض

١. قال رسول الله ﷺ: «... فإنّ البيت إذا كثرت فيه تلاوة القرآن كثرت خيره واتسع أهله وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا» (الكافي، ج ٢، ٦١٠).

٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٢، ح ٦.

٣. سورة المؤمن، الآية ٧.

٤. سورة الشورى، الآية ٥.

الذين تستغفر لهم الملائكة هم المؤمنون؛ فأَنَّ الملائكة لا يرون غير المؤمنين لأنهم مظلّمون. وإن البيت الذي يراه الملائكة يستغفرون لأهله ولا يرى الملائكة إلا البيت المنير وهو الذي يكون الدين حاكماً فيه، وأما الكافر فهو مظلّم ولا يراه الملائكة بل ولا ينظر إليه الله في يوم القيامة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^١، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^٢.

فإن استطاع الإنسان أن ينير بيته ومحل عمله وبيته هكذا، تيسّر له شيئاً فشيئاً الوصول إلى المقام السامي. وإن كان ذلك أمر عسير في بادئ الأمر، ولكنه يعرف بعد ذلك بأن الكلام الباطل يؤلمه شيئاً فشيئاً. فإن الإنسان قد يتحدّث بين جمع عن المسائل العقلية والمعارف فتلبّد وجوههم لأنها مرّة في مذاقهم ولكنه يلتذّ بهذه الكلمات ويتأدّى إذا جلس في مجلس ليس فيه إلا القيل والقال واللهو واللعب. فإن استطاع الإنسان أن يربّي نفسه حيث أراد، فلم لا يربّيها بالطريق الصحيح؟ ولم لا يروّض نفسه على الأعمال الصالحة؟

إذن فالذي يصل إلى باطن القرآن ويتلوه بشكل جيد يستنير بيته.

وقد روي أن عزرائيل عليه السلام يتصفّح البيوت في كلّ يوم خمس مرات، وقال النبي ﷺ: «إنما يتصفّحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله»^٣.

وقال ﷺ أيضاً في هذا الشأن: «نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلّوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم»^٤، فلو اجتمع

١. سورة البقرة، الآية ١٧٤.

٢. سورة آل عمران، الآية ٧٧.

٣. الكافي، ج ٣، ص ١٣٦.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦١٠.



جمع في بيت لم تظهر منهم آثار علمية ولا خدمة للإسلام والمسلمين، فهو ليس بيت بل مقبرة عائلية يسكن فيها عدد من الأموات. فالبيت الذي لا يترك أثراً يتبدّل إلى مقبرة عائلية. فاجعلوا من بيوتكم مصدراً للإنارة المجتمع ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تركوا العبادة في بيوتهم ولخصوها في الكنائس وفي وقت معين؛ بل عليكم بأداء العبادات العامة في المسجد والعبادات الخاصة في البيت.

ولا بد من الحفاظ على المراكز الدينية والمساجد وصلاة الجمعة والجماعة ولا ينبغي أن يحرم الإنسان نفسه من هذا الفيض العظيم. فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^١.

و روي أنّ رجلاً أعمى أتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إني ضريب البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي ﷺ: «شدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة»^٢، حيث أمره أن يحضر المسجد بأية وسيلة كانت فإنّ الابتعاد عن الأمة الإسلامية وجماعة المسلمين أمر خطير والدخول في صفوفهم تتبعه بركات عديدة.

تجلي الله سبحانه

لو أردنا أن نعرف هل أننا وصلنا إلى حكمة تلاوة القرآن أم لا؟ علينا أن نرى هل أننا نشاهد المتكلّم في كلامه أم لا؟ فإنّ العابد لا يصل إلى حكمة العبادة إلا إذا كان لا يرى سوى الله ولهذا المقام أركان، أهمها أن لا يُحبّ الإنسان سوى الله، فمن أعرض عن غير الله ولم يُسكن في قلبه سواه لا يصيبه القلق والاضطراب لأنّ الفاني لا يطلبه وما يطلبه لا يفنى ولذا فإنّ العارف لا غمّ فيه ولا همّ يعتره.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٢٩٣.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً».

إنّ الإنسان قد يأسى على ما مضى و يقلق على ما سيأتي؛ يأسى على ما فاتته في الماضي و يقلق على ما قد لا يحصل عليه في المستقبل. و أما إذا نجا من الماضي و المستقبل و فاق الزمان و وطأ ما مضى و ما سيأتي، لا يأسى على ما فاتته و لا يفرح بما أتاه فهو على حدّ قول علي عليه السلام قد ملك الزهد كله^١.

و قد ورد في حالات الإمام السجاد عليه السلام أنه: كان إذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يُكرّرها حتى كاد أن يموت^٢.

و إنّ واحدة من آداب تلاوة القرآن هو أنّ الإنسان إذا مرّ بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال لبيك^٣. أي أنه خطاب حاليّ و أن الله يخاطبنا الآن أيضاً. فإنّ لبيك هو قول الإنسان للمنادي و يظهر من ذلك أنّ هذا الخطاب كلام الله في هذا الوقت أيضاً و قد تجلّى الله في كلامه هذا و إنّ ما يقرؤه الإنسان هو كلام الله الذي يُسمع من هذا اللسان و من هذا الفم.

و كما أنّ يد المؤمن يد الله، فإنّ كلام المؤمن كلام الله أيضاً شريطة أن لا يقول إلا الحقّ و لا يطلب إلا الحق، و لذا قال الله في كتابه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^٤ أي إذا أراد الكافر أن يسمع آيات الله فأجره.

و قد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا أراؤه»^٥ علماً بأنهم يتأملون و يقرؤون القرآن.

١ . «الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾» سورة الحديد، الآية ٢٣. (نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٩).

٢ . الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢.

٣ . المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٢٢٨.

٤ . سورة التوبة، الآية ٦.

٥ . نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.



معنى تجلي القرآن

إن من أفضل المفاهيم وأدقها في الثقافة الإسلامية هو مفهوم التجلي. والمراد به في الآيات والروايات هو أن الله سبحانه يُنزل حقيقة من عالم الغيب وبيئها لنا. والتجلي غير التجافي. فإن القرآن نزل في شهر رمضان ولكن ليس كما ينزل المطر من السماء، لأن نزول المطر على نحو التجافي. أي أنه حين كان في السماء لم يكن في الأرض وحين نزل إلى الأرض لم يبق في السماء ولكن إذا قال الله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، فإن نزول القرآن ليس كهطول المطر بأن لا يكون عندنا إذا كان عند الله ولم يبق عند الله إذا نزل إلينا.

وإن معنى قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^١ وكذا ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٢، هو أن القرآن تنزل في هذا الشهر ولم ينزل، أي أن هذه الحقيقة التي كانت ولا تزال وستكون دوماً عند الله، ترققت وتنزلت وظهرت على شكل ألفاظ يستطيع الإنسان أن يقولها ويسمعها ويكتبها ويقرأها.

كما أن المجتهد الفقيه أو الحكيم الإلهي يُبلور في عقله مسألة عقلية أو عقلية من المعارف الإسلامية العالية ثم ينزلها ليستفيد منها الآخرين أيضاً على نحو ألفاظ أو خطوط في الكتاب أو أمواج في الكلام أو يُبدلها إلى أثر مكتوب، ولكن لا يعني ذلك أن لا يبقى لها أثر في عقله وفكره. وكذلك الحال في البحوث الفقهية حيث يُظهرها الفقيه على نحو مسائل مبسطة يفهمها الجميع وذلك مع بقاء ملكة الاجتهاد فيه، لأنه لم يُنزل ملكة الاجتهاد وإنما نزل تلك الحقيقة وعلى أساسها وضع بين يدي الآخرين ألفاظاً ومعاني ومفاهيم.

١. سورة القدر، الآية ١.

٢. سورة البقرة، الآية ١٨٥.

تجلي ملك الموت

تعتبر الصحيفة السجادية للإمام السجاد عليه السلام من الكتب القيمة لدى الإمامية و تُعدّ في عداد القرآن الكريم و نهج البلاغة. و قد تحدّث فيها الإمام السجاد عليه السلام في دعاء ختم القرآن الذي يُقرأ بعد الفراغ من تلاوته عن عظمة القرآن و بركاته للقارئ إلى أن يقول مخاطباً الله سبحانه: «و تجلّ ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب و رماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق»^١ عسى أن يرحمنا في ذلك اليوم. حيث عبّر عن نزول عزرائيل عليه السلام بالتجلي و أنّ ملك الموت يتجلّى للمحتضر. كما ورد اصطلاح التجلي في القرآن في قضية موسى الكليم عليه السلام أيضاً: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^٢.

فضل حفلة القرآن

هناك كتاب مشتمل على عدة أبواب في جوامعنا الروائية حول تلاوة القرآن و عظمة شأنه. و قد أفرد المرحوم الكليني رحمته الله في الكافي كتاباً باسم «فضل القرآن»^٣ و باباً باسم «فضل حامل القرآن»^٤، حيث يُستفاد من بعض الأخبار فيه أن حامل القرآن يُحشر مع الملائكة، و لا يكون كاليهود الذين حُمّلوا التوراة و لكنهم لم يحملوها. فقد قال القرآن فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^٥. و قد تحدّث في عدة مواضع من هذه السورة عن خطر اليهودية محذراً

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٥٩٦.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣.

٥. سورة الجمعة، الآية ٥.



رواجها بين المسلمين، حيث قال: لا تفعلوا بالقرآن كما فعل اليهود بتوراتهم حيث حملناها عليهم فلم يحملوها وأعطيناها إياهم فلم يأخذوها.

فإن الفضل لمن حمل القرآن وفهم معانيه وعمل بأحكامه وتأدب بأدابه ثم أدرك حكمته، فمن انتهج مع القرآن هذا المنهج يعتبر حاملاً له.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»^١ أي يحشر معهم.

وما ذكر في عظمة القرآن يدل على أن باطن القرآن أعلى شأنًا يوم القيامة من المسلمين والأنبياء والملائكة حيث ورد في الخبر: «يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة فيمرّ بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منّا، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منّا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منّا حتى ينتهي إلى رب العزة عز وجل...»^٢.

و السّرّ في قوله «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»، هو أن الوحي ينزل عن طريق الملائكة: ﴿بِأَنْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^٣.
وروي عن الإمام الصادق عليه السلام نقلًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حمل القرآن عرفاء أهل الجنة»^٤.

تعليم القرآن وتعلّمه

من شقّ عليه تعلّم القرآن وتحمل هذه المشقة فله أجران، ومن سهل عليه حفظه

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٢.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠١، ح ١.

٣. سورة عبس، الآية ١٥ - ١٦.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١١.

و تعلمه فله أجر واحد. يقول الإمام الصادق عليه السلام كما في النقل: «إن الذي يُعالج القرآن و يحفظه بمشقة منه و قلة حفظ له أجران»^١.

و قال في موضع آخر: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه»^٢.

فكما أن للمقاتل في ساحة المعركة ثلاث حالات، للمبارز في الجهاد مع الجهل و سائر الرذائل النفسانية أيضاً ثلاث حالات: لأنه في ساحة المعركة إما أن يُهزم، سواء يفر أو يؤسر؛ أو يتصر؛ أو أنه يُستشهد في وسط المعركة.

و كذلك الإنسان في الجهاد مع الجهل و العدو الباطني أيضاً لا يخرج عن إحدى هذه الحالات الثلاث: إما أسير أو شهيد أو فاتح. فمن خضع للأميال و الرذائل النفسانية فهو أسير هواه. و من قال: أنا أفعل كل ما يشتهي قلبي؛ فقد هزم في ساحة المعركة ضد الكفر و الجهل الباطني، و الهزيمة هذه هي الوقوع في شرك الكفر و الأسر بعينه. و من وقف أمام الحق، فقد هزم و أسر في الجهاد مع هواه، و هو كمن يقف بشدة أمام من يعترض عليه بالحق. و لذا فمن يسعى دوماً لثلاث يقع في شرك الأميال و الرذائل النفسانية التي تسوقه إلى اقتراف الذنوب و يموت و هو في هذا الحال فهو شهيد في ميدان الجهاد مع العدو الباطني. و من ذل كل الرذائل بحيث لم تبق في باطنه صفة تؤذيه و تسوقه إليها فهو فاتح في ميدان الجهاد الأكبر.

ثم إن لكل أحد شيطان حيث ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس منكم من أحد إلا وله شيطان - قالوا: و أنت يا رسول الله؟ قال: - وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»^٣.

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧، ح ٣.

٣. المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٤٩.



فهل أننا في ساحة المعركة هذه منتصرون أو شهداء على أقل تقدير؟ أم لا سامح الله نستسلم أمام ذلة الذنوب ولا ذلة أشد من ذلة الذنوب؟
ولذا قال المعصوم عليه السلام بأن المرء إن جاهد الجاهل وتعلّم القرآن لتطويع الجاهل، فهو فاتح في الجهاد الأكبر حقاً، وإن مات في حين التعلّم فهو كالشهيد في ساحة المعركة.

وقد ورد في الأخبار أن من مات على فراش المرض مؤمناً بأحكام الله فقد مات شهيداً، والسّرّ في ذلك أنه لم يستسلم في ساحة الجهاد مع الهوى، وإن لم يُوفق في تطويع جميع الأميال النفسانية فقد بلغ الدرجة التي لا يستسلم أمامها. ولذا قال الإمام: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلّم القرآن أو يكون في تعليمه»^١.
فعلى المرء أن يسعى لأن يكون في الجهاد مع الجاهل إما فاتحاً أو شهيداً وأن لا يكون أسير جهله بتاتاً.

علماً بأن من تعلّم القرآن ونسيه بعد مدة لعدم الاهتمام به فإنه قد لا يرتقي إلى الدرجات العالية، وقد وردت أخبار كثيرة في هذا الشأن^٢.

الاعتصام بالعهد الإلهي

قال الإمام الصادق عليه السلام: «القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم حسين آية»^٣، لأنه قال هو عليه السلام أيضاً: «النظر في المصحف عبادة»^٤.

١. الأمالى للشيخ المفيد، ص ٧٤، المجلس ٧، ح ٥.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧، ح ٣.

٣. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٩، ح ١.

٥. الكافي، ج ٢، ص ٦١٤، ح ٥.



فإن تلاوة القرآن مستحبة على الدوام ولكنها تمتاز في شهر رمضان المبارك بميزة أخرى؛ حيث ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من قرأ في شهر رمضان آية من كتاب الله عز وجل كان كمن ختم القرآن في غيره من الشهور»^١، فإن عظمة شهر رمضان تكمن في أنه أصبح وعاء لنزول القرآن.

وإن هذا الكتاب لا يماثل الكتب الأخرى بحيث لو لم يعرف المرء معناه لا يقرؤه، بل أن في قراءته ثواب وبركة، فلا بد من السعي لإدراك معانيه والوصول إلى معارفه. وهو كتاب لا يتأتى لأحد الإتيان بما يضاهيه.

فإن نهج البلاغة معروف في الفصاحة ولكن إذا تخللت آية في وسط الخطب العالية لعلي بن أبي طالب عليه السلام تجد لها تالوفاً خاصاً ولا يمكن أن نضع كلمات الإمام إلى جانبها.

كما لو توسّطت خطب النبي آية قرآنية لكانت بيّنة ناصعة فلا يمكن كذلك مقارنة القرآن بكلمات الرسول ﷺ.

وإن القرآن جبل الله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^٢، فعليكم التمسك بالحبل الإلهي الذي هو دين الله وكلامه فهو متصل بسقف قوي لا يزول. خذوا هذا الحبل واعتصموا به وارفعوا أنفسكم من الهاوية. إذ أن حبل القرآن طرف منه بأيدي الناس و طرف بيد الله.

و الغور في القرآن والبحث في آياته لأجل معرفتها سبيل لا غاية له ولا نهاية حتى الوصول إلى مقام «لقاء الله». وهو مقام يمكن المنال والاعتصام بحبل الله لا انفصام له ولا زوال؛ لأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^٣.

١. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣٤١، ح ٥.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٣. سورة فصلت، الآية ٤٢.



ومن الواضح أنّ الإنسان الذي وصل إلى حكمة القرآن وحكمة تلاوته هو الذي يرى من الذي مسك بيده الطرف الآخر من الحبل. ولذا أمرنا بأن نقرأ في كل يوم خمسين آية من القرآن الكريم لنكون على اتصال بعهد الله، وليُعلم أنّ القرآن حبل طرف منه بيد الإنسان وطرف بيد الله.

ثم أنّ آيات القرآن خزائن إلهية ليس لها انتهاء، فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

«آيات القرآن خزائن فكلمًا فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»^١ من درو لآلى، ولا ينبغي القول بأنّ البحث فيها قد تمّ ومضى، لأن القرآن كما يقول الإمام الباقر عليه السلام: «يجري مجرى الشمس والقمر»^٢، فكما أنّ الشمس والقمر تنير أيام حياة الإنسان، كذلك القرآن فإنه يهب للإنسان نوراً في ليله ونهاره ولا سبيل للضمور والأفول إلى آياته قط. وهذا البيان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

فهم وشعور الكائنات

من المناسب أن نقول بأنّ فهم المفسرين للقرآن يختلف بعضه عن الآخر. فالبعض يقول مثلاً بأنّ المضاف في جملة ﴿وَسُئِلَ الْقَرْيَةُ﴾^٣ محذوف. فإنّ إخوة يوسف لما أخذوا أخاهم الآخر ولم يرجعوه، سألهم يعقوب عليه السلام: ماذا فعلتم بأخيكم؟ فقالوا: ﴿وَسُئِلَ الْقَرْيَةُ﴾، والمراد بذلك: أسأل أهل القرية بأننا لم نُقَصِّر.

ويقول البعض الآخر بأنه لم يُحذف شيء من هذه العبارة ومعنى قولهم ﴿وَسُئِلَ الْقَرْيَةُ﴾ أي سل نفس القرية. فإن استطعت أن تتكلّم بلسان القرية وكنت تعرف

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٠٩، ح ٢.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ١١.

٣. سورة يوسف، الآية ٨٢.



منطقها ستجيبك جدرانها وأبوابها. سوى أنكم لا تقدرون على ذلك ولا يقدر عليه إلا من يعرف لسان الباب والجدار. وعلى هذا فلم يُحذف منها مضاف.

أليست جدران العالم وأبوابه فاهمة مدركة؟ وهل لا تشهد لصالحنا يوم القيامة إن كنّا مطيعين؟ وتشهد علينا إن كنّا مجرمين؟ أليست الأرض تشهد؟ والمسجد يشكو أو يشفع؟ فيتضح من ذلك أن لجميع الأشياء فهم وشعور.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه مرّ رجل على الحجر الأسود فقال: والله يا حجر إننا لنعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع... فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «... ليعثته الله يوم القيامة وله لسان وشفطان فيشهد لمن وافاه وهو يمين الله في أرضه يبايع بها خلقه»^١ أي تحلي يمين الله.

وإنّ أهل المعنى ليستحيون من الذنب قائلين بأن لجميع مخلوقات العالم أعين مفتوحة ينظرون إلينا بها، فكيف نذنب في مشهدهم؟ فهم يتناولون القرآن وقرؤونه بهذه الرؤية.

ومن كلمات النبي الأكرم ﷺ حيث قال: «طَيَّبُوا أَفْوَاهَكُمْ فَإِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طَرِيقُ الْقُرْآنِ»^٢، ونقل الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «أَفْوَاهَكُمْ طَرِيقُ رَبِّكُمْ فَنَظَّفُوها»^٣، أي لا تقتصروا على استياك الأسنان بل نظّفوا الأسنان واللسان وفضاء الفم. واجتنبوا الأكل المشبوه وابتعدوا عن الكلام المشكوك ليؤهل فمكم أن يكون مجرئاً لألفاظ القرآن.

فلو مرّ القرآن الذي هو كوثر وماء معين من فم غير طيب سيفقد أثره ويتأثر لونه

١. «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» (سورة الزلزال، الآية ٤).

٢. بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٢١.

٣. كنز العمال، ج ١، ص ٦٠٣، ح ٢٧٥٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٣٠.

و طعمه، و من أراد أن يقرأ القرآن و يؤثّر كلامه في نفوس الآخرين و يتأثر هو بسماعه فعليه أن يُطَيِّب فمه على الدوام.

و قد ورد عن رسول الله ﷺ: «إنّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا مأدبته ما استطعتم»^١، أي أنّ القرآن مأدبة الله الحاضرة، لا أنه مأدبة خالية يأتي كل شخص بطعامه ليأكل عليها. و معنى ذلك أنه لا يحقّ لأحد أن يفرض ميوله على القرآن و يضع فهمه في صفاف القرآن؛ لأنه مأدبة حاضرة يستطيع منها كلّ من كان محتاجاً لنيل المعارف.

لسان أهل الجنة

إنّ تلقين الميت يقال باللغة العربية و ذلك لأنّ باطن الإنسان القرآنيّ المسلم هو الذي يظهر بعد الموت، فيفهم العربية و يتكلّم بها جيداً. و لذا فإنّ لسان أهل الجنة هو العربية.

و لا ينبغي القول بأنّ من لا يفهم اللغة العربية كيف يتكلّم بها في الجنة؛ لأنّ لسان الجنة يتبع عقيدة أهل الجنة، و إنّ اللسان و الوجه و الهيئة تظهر في قالب يتناسب و قلب الإنسان. و لذا يُحشّر البعض على صورة إنسان و البعض على صورة حيوان و البعض بوجوه مسوّدة و البعض الآخر بوجوه مبيضة^٢، فإنّ الذي يتولى الصورة و اللفظ و الهيئة و اللغة و الكلمات هو الباطن لا الظاهر. و إنّ العقيدة في يوم القيامة هي التي تعلّم اللسان كيف يتكلّم.

و سيكون خطيب الجنة هو النبي داود عليه السلام؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة واصفاً إياه بأنه: «صاحب المزامير و قارئ أهل الجنة»^٣.

١. كنز العمال، ج ١، ٥٢٦، ح ٢٣٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٩.

٢. «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...» (سورة آل عمران، الآية ١٠٦).

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.



فإنّ الحاكم في الموت وما بعده هو العقيدة ومن ارتحل عن الدنيا على عقيدة القرآن والإسلام فإنه يتكلم بالعربية ويفهمها يقيناً.

* * *

القسم الثامن:

الدعاء وحكمته

آداب الدعاء

إنّ للدعاء أيضاً أحكام و آداب و أسرار. أما أحكام الدعاء فهي أن الإنسان ما الذي ينبغي أن يطلبه من الله، فهو مأمور بأن لا يطلب من الله أمراً محرماً، و لا يطلب منه ما يتضرر به الآخرون و....

و أما آداب الدعاء فهي أن يدعو الله بصوت منخفض، و يعتقد أن رفع الصوت ينافي الأدب. فقد قال الله في كتابه حول أدب الذكر أو الدعاء: ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^١، قوله بالغدو و الأصال كناية عن الاستمرار.

و يقول أيضاً في بعض خصائص الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^٢، يقول بعض المفسرين بأن الخفية هو الدعاء بصوت هادئ منخفض و في

١ . سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

٢ . سورة الأعراف، الآية ٥٥.



السّرّ ومن جهر بصوته عالياً في الدعاء فهو معتدٍ قد تجاوز حدود الدعاء؛ لأن الله ليس ببعيد.

القرب الإلهي

تنقسم الآيات الدالة على قرب الله منا إلى أربع طوائف:

طائفة من الآيات تدل على أصل القرب و أن الله قريب من الإنسان، مثل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾^١.

و الطائفة الأخرى هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه أقرب نسيباً من الآخرين إلى الإنسان مثل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^٢.

و الطائفة الثالثة هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه أقرب إلى الإنسان من شريان حياته أيضاً مثل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^٣.

و الطائفة الرابعة هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه أقرب إلى الإنسان من نفس الإنسان مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^٤.

إن البحث في الطوائف الثلاث الأولى ليس بالأمر العسير. أما الطائفة الرابعة فلا

١. كما يحتمل أيضاً أن يتعلق الاعتداء بأصل مسألة الدعاء، فإن الإنسان إن أعرض عن الدعاء فقد تعدى عن حدّ و وظيفة العبودية و المعتدي و المتجاوز مبغوض عند الله.

٢. سورة البقرة، الآية ١٨٦.

٣. سورة الواقعة، الآية ٨٥.

٤. سورة ق، الآية ١٦.

٥. سورة الأنفال، الآية ٢٤.



يمكن حلها بسهولة؛ وهي أن الله سبحانه كيف يكون أقرب إلى الإنسان من الإنسان نفسه؟ ومن هنا فُتِرت بعض التفسيرات هذه المسألة بحيلولة القدرة تبعاً لظاهر بعض الأحاديث حيث تقول بأن المراد من قوله ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ هو أن الله قد يفسخ عزيمة الإنسان وينقض همته^١. وهذا معنى متوسط تقريباً؛ بيد أننا إذا وجدنا دليلاً عقلياً يطابق الآية و طائفة من الأدلة النقلية المؤيدة لذلك، لما وسعنا الابتعاد عن ظاهر الآية القائلة بأن الله يحول بين المرء و قلبه. فإن الإنسان ليس بموجود صمدي ممتلئ الداخل، بل هو كسائر الموجودات الممكنة أجوف، كما ورد ذلك في الحديث الذي نقله المرحوم الكليني ثالثاً^٢، ولو كان كذلك، لكان الذي يحول بين الإنسان و نفسه هو الإحاطة الوجودية للحق. ولذا فإن الله قريب من جميع البشر، ومن يطلب من الله شيئاً لا بد و أن يعلم بأن الله ليس ببعيد.

الحبيب أقرب مني إليّ و العجب أفي عنه بعيد

فماذا أصنع و لمن أقول بأنه إلى جانبي و أنا مهجور غريب^٣.

فمن أدرك بأن الله قريب منه سيتبين له أسلوب الدعاء؛ بأن يدعو الله بخفية و هو واثق بأنه عارف بجميع ما يحتاج إليه. لأن صفات الله الذاتية هي عين ذاته. فإن كان الله قريباً، فهو قريب بجميع صفاته و لو حضرت صفاته الذاتية كالقدرة و ما شاكلها فإن الصفات الفعلية تتبعها أيضاً في الحضور و التأثير.

إذن فإنّ أدب الداعي هو التضرّع و الابتهاال؛ لأن الدعاء لو خلا من الابتهاال لبان بأن الداعي كان قد اتكل على ما يمتلكه بنفسه من وسائل.

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٢٠.

٢. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عزّ و جل خلق ابن آدم أجوف» (الكافي، ج ٦، ص ٢٨٢).

٣. بيتان بالفارسية و هذا نصهما:

دوست نزدیکتر از من به من است	وین عجب تر که من از وی دورم
چه کنم با که بگویم کاین او	در کنار من و من مهجورم

الفداء أم النجوى؟

لا بد من الدعاء بالتضرع والابتهال والخفاء بعيداً عن الآخرين كما في الآية ﴿اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^١، فإن حضور الذهن في الدعاء الجماعي لا ييسر للجميع، ولا يتحتم على الإنسان في مثل ذلك أن ينادي فإن المناجاة أولى من المناادة وللنجوى فضل آخر.

وقد ورد في سورة البقرة بعض آداب الدعاء. فإن شعر الإنسان بأنه بعيد من الله دعاه عبر النداء سواء صرّح بحرف النداء «يا رب» أم لم يصرح به «رب». وأما إذا قرب من الله قلّ دعاؤه بالنداء أو أنه يستبدله بالنجوى.

وقد نقل المرحوم الكليني رحمته الله وغيره في باب آداب الدعاء بأن على المرء أن يقول عشر مرات «يا رب» ثم يقول «رب»^٢.

فلا يجب ذكر «يا» ليكون حذف حرف النداء طريقاً لاستبدال المناادة بالمناجاة. يقول النبي الأعظم عليه السلام في الخطبة الشعبانية: «وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات ينظر الله تعالى فيها بالرحمة إلى عباده ويجيبهم إذا ناجوه ويليهم إذا نادوه». فقد يشعر العبد بالبعد كالذي ورد في النبي يونس عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ...﴾^٣.

وقد ورد في أخبار المعصومين عليهم السلام وسيرتهم بأن الإنسان إذا رفع يده بالدعاء يستحب أن يمسح يده على رأسه ووجهه لأن الله قد أجاب هذه اليد بلطفه، فإن اليد

١. سورة الأعراف، الآية ٥٥.

٢. الكافي، ج ٢، ٥٢٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٤٢.

٣. سورة الأنبياء، الآية ٨٧.



التي رفعت إلى الله للدعاء لا ترجع خالية على اليقين و اليد التي مُلئت بالعطاء الإلهي كريمة و لذا يستحب مسحها على الوجه أو الرأس^١.

و كان الإمام السجاد عليه السلام إذا أعطى السائل قبل يده فقيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: «لأنها تقع في يد الله قبل يد العبد»، فإن الله يقول: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾^٢. فمن يملك هذه الشامة، يمكنه عبر شَمِّ اليد أن يشم عطر علامة اليد الإلهية أيضاً. و من هذه الحكَم ما ورد بأن الجنة يُشَمَّ ريحها من مسيرة ألف عام فمن الناس من يجد ريحها و منهم من يُحرم ذلك^٣.

هدية العجز و الذل

ينقل المرحوم الفاضل التوحي في الدرس بياناً عن مشايخه العظام و هو أن على العبد أن يقدم لمولاه هدية لا توجد عنده و إلا لفقدت قيمتها. و على الإنسان الذي هو عبد لله أن يقدم له هدية لا توجد عند الله و عدم الوجدان هذا يكون كما لا أيضاً.

فلو قال العبد: إلهي لقد اجتهدت و درست طيلة عمري، لتعذر مقارنة الدرس و اكتساب العلم بعلم الله تقدست أسماؤه ﴿وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، فكيف يتأتى للإنسان أن يقدم هذا العلم هدية للعالم المطلق؟

و لو قال امرؤ: لقد عانيت و قدمت العديد من الخدمات، لما أمكن مقارنة هذه الخدمات و القدرة و الجهود بذلك الفيض الذي يُدلي به الله سبحانه في كل يوم. هذا إضافة إلى أن هذه الخدمات الضئيلة أيضاً نابعة من فيضه، إذن فماذا يقدم الإنسان إلى

١. بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٢١٠؛ فلاح السائل، ص ١٨٧.

٢. سورة التوبة، الآية ١٠٤.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٤٩.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٥٥.



الله؟ ولا يجدر أن يذهب صفر اليدين أيضاً. فإن قال: جئت بالعلم، فهناك خزائن العلم العظمية، وإن قال: جئت بالقدرة والخدمة، يرى قدرة الله المطلقة، وإن قال: جئت بالتضحية والإيثار، يشاهد الإيثار والإحسان المحض، فما الذي يقدمه إذن؟

نقول بأن العبد إذا تشرف بخدمة مولاه لا ينبغي له إلا تقديم المسكنة والضعف والعجز والبكاء والابتهاال والتضرع. وحرّيّ بالعبد إذا مثل أمام ربه سبحانه أن يقول: لا أملك سوى العبودية. فإن إظهار العجز والإفصاح عن الفقر كمال بذاته.

وفي هذا المجال يقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً ربه: «إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً»، أنا اعترف ببروبيتك وعبوديتي.

فحقيق بالعبد أن يقدم عجزه وذله وحقارته؛ وأما باقي المسائل فهي الأعظم والأكثر هناك.

ثم يتابع الإمام مناجاته قائلاً: «أنت كما أحب فاجعلني كما تحب». هذه الجملة الثلاث من الأدعية المعروفة لأمير المؤمنين عليه السلام.

الدعاء والقضاء والقدر

واحدة من الشبهات الواردة في مسألة الدعاء هي أن القضاء والقدر الإلهي حق وأن الله سبحانه عالم بجميع الأمور منذ الأزل، والمسألة المطلوبة مقضية من الأزل بأنها تتحقق أم لا. فلو كان القضاء على التحقق لا يبقى للدعاء أثر؛ لأن المسألة نفسها حاصلة. ولو كان القضاء على عدم التحقق لما بقي للدعاء نفع كذلك؛ لأن المسألة المحتومة على عدم التحقق لا تحصل بالدعاء.

والجواب: أن هذا الإشكال مشترك بين الدعاء والصدقة وصلة الرحم وأمثالها ولذا لا بد وأن يكون الجواب مشتركاً كذلك.



إن «البداء» له دخل في عالم الحركة وهو عالم التحول والتغير والتبديل، وهو في التكوينيات كالنسخ في التشريعات. فإن هناك تحول وتبدل في إطار عالم الطبيعة وقد قدر الله سبحانه بأن الصدقة وصلة الرحم والدعاء تسبب في تحقق العمل الفلاني وأن عدم الإتيان بها يوجب عدم تحقق ذلك العمل. ومن جانب آخر فإن الله سبحانه يعلم بأن الشخص الفلاني سيدعو ويتفع والآخر لا يدعو ولا يتفع. إذن فلا جهل في علم الله ولا إبهام في عالم الوجود. وقد أرشدونا إلى الدعاء والصدقة وصلة الرحم وأمثالها بأنها مؤثرة إذا أردنا التمتع بمزيد من الخير والحرمان منه في تركها.

إذن فهناك مسألتان: الأولى هي صحيح أن جميع الأمور منتظمة منذ الأزل، بيد أنه قد تم تنظيم كل أمر بعلة وأسبابه ومن هذه العلل والأسباب في دائرة الحركة وعالم التحول هي الدعاء والصدقة وصلة الرحم وأمثالها. ولو اجتزنا حدود التحول ولوح المحو والإثبات وصلنا إلى عالم القضاء المحض، فلا يبقى هناك مجال للصدقة وصلة الرحم والدعاء.... فإن الدعاء وإن كان أمراً عبادياً وهو مستقل عما نحن فيه غير أنه لا يترك أثره في التغير والتبديل إلا في دائرة لوح المحو والإثبات فما دون لا في عالم اللوح المحفوظ.

والمسألة الأخرى هي أن الله يعلم بأن الشخص الفلاني سيصل رحمه وبالتالي سيتمتع بعمر طويل والآخر سيقطع رحمه ويُحرم من العمر الطويل. فلا تردد وإبهام في علم الله ولا في واقع الأمر كذلك؛ ولا ينبغي القول: بأن القضاء والقدر حق فلماذا الدعاء؟ لأن الدعاء نفسه جزء من القدر. أي أن الله قدر بأن الدعاء سيسبب وقوع الحادث الحسن الفلاني ويدفع الواقعة السيئة الفلانية. ولذا فإن للدعاء أثر وهو جزء من القضاء والقدر في العالم.

فإن الله الذي يقول: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^١، هو نفسه قد حدد القضاء و

القدر قائلاً: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^١، أو: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^٢، هو نفسه قال أيضاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^٣.

التسليم والإخلاص في الدعاء

إن الدعاء بنفسه أمر عبادي كما ورد في الآيات والروايات، ولذا يقول البعض: إلهي لقد أمرتنا بالدعاء ونحن نجيبك؛ سواء تحقق المطلوب أم لا. فإن هؤلاء هم خاصة أوليائك القائلين: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»^٤ وهم تسليم محض. فمن كان تسليماً محضاً يدعو تادباً طاعة لله لأنه أمر بالدعاء ولأنه أمر عبادي، فهو مسلم محض وراضي لرضا الله سواء أعطاه الله أم لا. فهو لا يدعو إلا لكون الدعاء عبادة.

يقول الله في سورة غافر حول الدعاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فأمر بالدعاء و وعد بالإجابة والظاهر أن المراد هو الحث على الدعاء، ولكنه يذم في تتمتها المعرضين عن الدعاء قائلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^٥، ويقول في آية أخرى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^٦.

١. سورة الرعد، الآية ٨.

٢. سورة القمر، الآية ٤٩.

٣. سورة غافر، الآية ٦٠.

٤. وهو قول النبي إبراهيم عليه السلام حين وضعوه في المنجنيق ورواه لك النار فلقاه جبرئيل في الهواء فقال: هل لك من حاجة فقال: أما إليك فلا حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله ميكائيل فقال: إن أردت أحمدت النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي فقال: لا أريد، وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار قال: لا أريد، فقال جبرئيل: فاسأل الله فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي (بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، ح ٧٠).

٥. سورة غافر، الآية ٦٠.

٦. سورة الفرقان، الآية ٧٧.



ثم إن كل عبادة دعاء و كل دعاء عبادة، ولذا فضلاً عن استجابة الدعاء عند المصلحة، فإن الدعاء لكونه عبادة يكون للداعي فضلاً ويثبت له درجة من درجات الجنة.

ومن أجل أن يتضح بأن الدعاء أمر عبادي ومطلوب، تعرض لمسألة الإخلاص في الدعاء قائلاً: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^١، أي تعرضوا للدعاء الذي هو من خصال الدين وشؤونه، وادعوني بإخلاص ولا تضموا إليه شيئاً آخر؛ لأن ما عندنا قد ينفد بسرعة وما عند الله باق.

و علامة الزهد أن يثق الإنسان بما في يد الله أكثر مما في يده فقد ورد: «أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل»^٢، فلا بد أن يكون وثوق الإنسان بما في خزانة الله أكثر مما في خزانته، لأن دعاء من يعتمد على خزانته عارٍ عن الإخلاص.

و الدعاء الخالص يحظى بالتكريم بوصفه عبادة كريمة، كما في سائر الموارد التي جرى فيها الحديث عن الدعاء حيث قال: إن الله يستجيب دعاء المؤمنين لأنه عن إخلاص: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فيلبي سؤلهم وزيادة، لأنهم طلبوا ما لصالحهم فيعطيه وفق ذلك ويزيدهم أجراً لكون الدعاء عبادة ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^٣.

الدعاء في أرض منى

يتفرغ الحجاج في أرض منى و يبيتون فيها ليالي بعد إكمال مناسكهم في عرفات و المشعر و منى و الذبيح. وكان الناس في الجاهلية و في هذه الأرض المقدسة يفتخرون

١. سورة غافر، الآية ١٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٣١٠، ح ٤.

٣. سورة الشورى، الآية ٢٦.



بأجدادهم و يذكرون آبائهم، سوى أن الله يقول في كتابه: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^١، ثم يقول بأن دعاء المؤمنين في منى هو: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^٢، فهم في طلب حسنات الدنيا والآخرة وخيراتها، ومعنى ذلك أنهم يطلبون شيئاً حسناً حلالاً طيباً طاهراً وهذا دعاء حسن. فإن الولد الصالح والزوجة المؤمنة والصديق المؤمن والمعلم الصالح والتلميذ الجيد والمباحث المفيد والكسب الحلال والأيدي الاقتصادية الجيدة والقوى العسكرية المقتدرة، كل هذه من حسنات الدنيا. فمن كان يعمل مع أناس مؤمنين صالحين، فذلك من حسنات محل كسبه.

و أما الطائفة الأخرى، فهم الذين يطلبون زخرف الدنيا وزبرجها لا الحسنة: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾^٣، ولا يقتصر هذا على قولهم بل هو منطقهم وفكرهم كذلك حيث تخلو صفقتهم من المعنويات. فمن أراد الوصول إلى الخير، لا يسأل الله أن يعطيه الشيء الفلاني، إذ أن الله في كثير من الموارد يعطي للإنسان نفس ما جرى على لسانه ليمتحنه. ولذا أفضل دعاء هو أن يطلب فضل الله ولطفه وخيره قائلاً: رب هب لي حسنات الدنيا والآخرة.

نماذج من أدعية أولياء الله

علينا أن نتعلم طريقة الدعاء من إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ يقول لله سبحانه: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^٤، أي إلى ذريتي واجعلهم محبوبين بين المؤمنين.

١. سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٠١.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

٤. سورة إبراهيم، الآية ٣٧.



و قد بيّن القرآن الكريم طريق المحبوبة بين المؤمنين حيث يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^١.

و هل يوجد شيء أسمى وأعلى من أن يكون الإنسان محبوباً في قلوب المؤمنين؟ فإنّ هذا الطريق وإن كان صعباً عسيراً ولكنه ليس بمظلم معتم، بل هو طريق بيّن للغاية. فإن الصراط المستقيم لا يعني الطريق المعبد، بل هو الطريق الذي يحتاج إلى الثبات والاستقامة، ومآله السعادة لا محالة.

و يقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «ليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا أقبل الله إليه بوجهه و أقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبة له بعد حب الله إياه»^٢. و أي شيء أفضل من أن يكون الإنسان محبوباً عند الله و في قلوب المؤمنين.

و جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي و أخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي»^٣.

و روي أيضاً عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «احتجب بغير حجاب محجوب و استتر بغير ستر مستور»^٤. و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا حجاب بينه و بين خلقه»^٥، لذا قالوا: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب».

لا يوجد حجاب بين العاشق و المعشوق سوى نفسك فأزحها^٦.
فهنيئاً لمن يسير في هذا الطريق بغير حجاب.

١. سورة مريم، الآية ٩٦.

٢. أمالي الشيخ المفيد، ص ١٦٤، المجلس ١٨، ح ٧.

٣. مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

٤. بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣٢٧، كتاب التوحيد، الباب ١٤.

٥. الكافي، ج ١، ص ١٣٩.

٦. بيت بالفارسية في ديوان حافظ، الغزل ٢٦٦، و هذا نصه:

ميان عاشق و معشوق هيچ حایل نیست تو خود حجاب خودی حافظ از میان برخیز

العلو والرفعة في الدعاء

تدل أدعية علي بن أبي طالب عليه السلام على روحه الكبيرة وعلى معرفته الحقبة بالله، و لذا تراه يطلب من الله الغنى و كذلك الآثار و الصفات الإلهية، فيدعوه سبحانه قائلاً: «اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي و أول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك»، حيث يطلب من الله أن تكون روحه هي أول نعمة يقبضها منه، لا أن يأخذ أولاً أعضائه و جوارحه فيكون محتاجاً إلى ولده و تخيم على حياته المذلة و المسكنة ثم يُميته. و هذه الخصلة نجدتها في سائر أدعية أهل البيت عليه السلام.

فقد ورد في دعاء لأمر المؤمنين عليه السلام و كذا للإمام السجاد عليه السلام: «اللهم صن وجهي باليسار، و لا تبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، و أستعطف شرار خلقك، و أبلي بحمد من أعطاني، و أفتن بدم من منعني، و أنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء و المنع»^١.

و قد علمنا أهل البيت عليه السلام في الدعاء أن نتصف بروح عالية رفيعة و أن ندعو كما يدعون. فلا نطلب من الله كثرة المال بتاتاً، بل نطلب منه الكرامة فإن المال إن اجتاز عن حده صار وبالاً علينا.

و إن الإنسان الكريم، هو المتصف بالعلو و الرفعة الذي لم تتلوث نفسه و سريره بالطبيعة و لا يُطلق الكريم على أي أحد.

عظمة النبي ﷺ

نزل رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير وادٍ، فأقبل سيل

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥.

٢. نهج البلاغة، الدعاء ٢٢٥؛ الصحيفة السجادية، الدعاء ٩٩، ص ٢٠ (دعاء مكارم الأخلاق).



فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً، فجاء وشدّ على رسول الله ﷺ بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: «ربي وربك»، فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: «من ينجيك مني يا غورث؟»، فقال: جودك وكرمك يا محمد، فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم^١. وهذه هي روح الكرم التي يتحلّى بها الإنسان العظيم الكامل.

وفي المناجاة الشعبانية أيضاً لم يجز الكلام عن الدار ومستلزمات الحياة والمسائل المادية، فإنها تُعطى للآخرين أيضاً، وإن الله يرزق الكفار والمنافقين بأسرهم، بل ويرزق السباع الضاريات كذلك، وهل هناك كائن حيّ تركه الله من دون رزق حتى نطلب منه ذلك؟ علماً بأنّ هذا أيضاً ينبغي طلبه ولا بد من الشعور بالافتقار إلى الله للوصول إليه ولا شك في هذا الأمر؛ ولكن لا بد وأن يكون الإنسان أعلى همة من ذلك.

روي أنه كان بين الإمام السجاد عليه السلام وبين رجل آخر منازعة ف قيل للإمام: لو ركبك إلى الوليد بن عبد الملك ركة لكف عنك من رغب شره، وكان هو بمكة والوليد بها فقال عليه السلام: «ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله عز وجل، إني لأنف أن أسأل الدنيا خالقها فكيف أسأل مخلوقاً مثلي»^٢.

علوّ الهمة في الدعاء

لا بد أن نصل إلى هذه المرتبة وهي أن نكون بين المصلين أمثلهم وبين الصائمين

١. الكافي، ج ٨، ص ١٢٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٣، ح ٢٠.

أفضلهم و بين المقاتلين أعلاهم. و إنّ المعارف الدينية هي التي تهدينا إلى المهمة العالية و ترشدنا إلى أن الطريق مفتوح و الوصول إلى المقام الرفيع لا يختص بزمرة معينة.

ففي بعض فقرات دعاء كميل نسأل الله تعالى قائلين: «و اجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك و أقربهم منزلة منك و أخصهم زلفة لديك»، و لا تكون همتنا أن لا ندخل النار، فإن هذا ليس بالأمر الهام، إذ أنّ الله لا يُحرق بالنار في يوم القيامة الكثير من الناس كالأطفال و المجانين و كذا المستضعفين الذين لم تصل إليهم المعارف و الأحكام الإلهية.

ولذا قالوا: اطلبوا من الله أن تكونوا من أعلى الناس و أفضلهم. ولذا نسأل الله في ليالي الجمعة أن يرفعنا إلى مقام لا يرقى إليه أحد (غير الأنبياء و المعصومين عليهم السلام) فإن حسابهم على الله).

و قد روى الحسين بن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ الله يُحِبُّ معالي الأمور و يكره سفاسفها»^١ و السفاسف: المتدنيّ و الحقيق. فلا ينصب سعي الإنسان على أن لا يدخل النار يوم القيامة و أن تقتصر عبادته على ذلك فإنها عبادة العبيد. و قد أرشدونا إلى إحياء الهمم العالية في نفوسنا و طلب معالي الأمور من الله سبحانه و تعالى.

و إنّ الحسين بن علي عليه السلام الذي نقل الحديث المذكور عن النبي ﷺ، قد علّمنا بسيرته و نهجه العملي كيف يصل الإنسان إلى مرتبة رفيعة و كيف تكون الأمة أمة سامية عالية المهمة.

فإنه لما قيل له: تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك و إن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن... فإن اطمأنت بك الدار و إلا لحقت بالرمال و شعوب



الجبـال و جُزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول أمر الناس و يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين، قال: «و الله لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^١. حيث تعلّم الإمام هذه الهمّة و الفكر السامي من ذلك الحديث، و قد ربّى هذا الحديث الشريف لرسول الله ﷺ ولدًا كهذا. فإنّ منطق الإمام عليه السلام و فكره هو أنه لو ساد الحجاز و العراق و اليمن و الكوفة و البصرة بل و العالم بأسره الاضطراب و تضافر الجميع على قتاله لما أعرض عن القيام؛ و هذه هي الروح العالية. و من نشأ و ترعرع في أحضان هذه المدرسة لما قال بتاتاً: بأن الخليج غير آمن، و مضيق هرمز غير آمن؛ بل الكلام عن كيفية الإيثار و التضحية؛ إذ قد حلّ بالخوف الخوف في مدرسة الإمامة، و لا سبيل له أن يمثل أمام أولياء الله متعجرفاً.

التوسّع في الدعاء

يقول الحكيم المتألّه ابن سينا في بيان لطيف: «استوسع رحمة الله»^٢، و يذكر المرحوم الخواجه نصير الدين الطوسي، في مقدمته على قسم المنطق من شرح الإشارات بأن هذه العبارة أشبه إلى الرواية منها إلى عبارة في كتاب عادي.

يقول ابن سينا: استوسع رحمة الله، و ائذن للآخرين بالدخول تحت غطاء هذه الرحمة الواسعة. فعليّنا في مظانّ استجابة الدعاء أن نترقّع في أدعيتنا و أن نغطي الجميع تحت غطاء دعائنا.

نزل رجل عصر يوم عرفة من الجبل و عيناه إحداهما متضررة و الأخرى محمرة من كثرة البكاء، فقال له بعض أصحابه لِمَ كلّ هذا العناء و البكاء؟ فقال إني طوال هذه

١. هذه العبارة في جواب محمد بن الحنفية. (بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩).

٢. «و لا تصنع إلّا من يجعل النجاة و قفاً على عدد و مصروفة عن أهل الجهل و الخطايا صرفاً إلّا الأبد و استوسع رحمة الله تعالى» (الإشارات، ج ٣، ص ٣٢٨).

الفترة لم أطلب لنفسي شيئاً وكانت كل أدعيتي للمؤمنين ولأصحابي. فهؤلاء هم أصحاب النفوس العالية الذين ترعرعوا في أحضان أهل البيت عليه السلام. وإنّ الدين القائل: إذا قمت عند السحر لصلاة الليل، فاستغفر لعدد كبير (أربعين نفرأً أو يزيدون)، يقول أيضاً: اقض في اليوم حاجة أربعين مؤمناً. فإنه حين يوصي بالقيام بالليل والدعاء للآخرين، يؤكد أيضاً على قضاء حوائجهم في النهار أيضاً. وإنّ هذه الوصية تعلّم الإنسان درس الكرم واستضافة الآخرين.

يقول الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء المعروف لأبي حمزة الثمالي: «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا، ذكرنا وأثاننا، صغيرنا وكبيرنا، حرنا ومملوكنا»، فقد يستغفر للجميع تحت عنوان عام وقد يذكر هذه الأصناف طائفة طائفة. فلا ينبغي للإنسان أن يقتصر في دعائه على نفسه وأقربائه، بل لابد وأن يكون دعاؤه عالياً يشمل الجميع.

دعا رجل للنبي ﷺ ونفسه بالاستغفار (على سبيل الحصر) وكان النبي حاضراً فقال: «إذا دعا أحدكم فليعمّ فإنه أوجب للدعاء» أي للإجابة. وقال الإمام الرضا عليه السلام في دعاء له وهو ينبأ عن كرمه وعلو شأنه: «و اغفر لمن في مشارق الأرض ومغاربها من المؤمنين والمؤمنات»^١. وإن كلام الحكيم المتأله، ابن سينا: «استوسع رحمة الله»، يحكي عن مضمون هذه الروايات.

الدعاء المستجاب

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «تبخروا قلوبكم فإن أنقاها الله من حركة الواجس

١. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣١٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١١٧.



لسخط شيء من صنعه فإذا وجدتموها كذلك فاسألوه ما شئتم^١، فإن دعاء الموحد مستجاب، والموحد هو الذي لا يوجد في قلبه سوى الاعتقاد بالله.

و أما الكفار والمنافقون فلا تُفْتَحْ لهم أبواب السماء: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^٢، والقائمون على السماء ملائكة يهديهم الله بوحيه: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^٣. وإن لهذه السماء ظاهر يضم الأنوار الظاهرية و سر و باطن يحتوي على الأنوار الباطنية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأل: كم بين السماء والأرض؟ مشيراً إلى السماء الظاهرية والباطنية: «بين السماء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم»^٤.

فمن أراد الدعاء و وصول صوته إلى باطن السماء واستجابة دعائه على الحتم، عليه قطع جميع علاقته و كل ما يرجوه من غير الله. و بمقدار توحيد الإنسان يُستجاب دعاؤه، فإن الله لا يردّ دعاء الموحد و بمقدار توحيده يستجيب دعاءه. فإن دعا المظلوم آيساً عن عون كل أحد، فسيُستجاب دعاؤه على اليقين.

و المظلوم على قسمين: الأول هو المظلوم الذي قد يتكل على الآخرين، فإن دعاءه ليس بدعاء موحد. و الثاني هو المظلوم الذي لا يجد من ينصره و لا من يلجأ إليه و يطلب المعونة منه سوى الله. فيكون دعاء المظلوم هذا هو الفاصل بين الأرض و باطن السماء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

و روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما حضرت علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضممني إلى صدره ثم قال: يا بُنَيَّ أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة و

١. أمالي الشيخ المفيد، ص ٦٧، المجلس ٧، ح ١.

٢. سورة الأعراف، الآية ٤٠.

٣. سورة فصلت، الآية ١٢.

٤. بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٨٨.

بها ذكر أن أباه أوصاه به فقال: يا بُنَيَّ إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله^١.
فإن جميع أقسام الظلم مذمومة، ولكن لا تظلموا من لا ملجأ له سوى الله فإن
دعائه مستجاب لا محالة.

و لا يتحتم أن يكون الإنسان محروماً من جميع الوسائل حتى يكون موخداً، بل لا
يصل إلى التوحيد في الدعاء إلا إذا رأى نفسه محروماً من جميع الوسائل وأنها عديمة
التأثير.

و لابد أن يصل الدعاء إلى موضع صدور الأوامر وهو العرش، فإنه مقام حكم
الله سبحانه و سلطنته، فهو مالك الدنيا والآخرة و يدير عالم الوجود بهذا المقام. وإن
ما قاله رسول الله ﷺ: «إنَّ اليتيم إذا بكى اهتز له العرش»^٢، يدل على أن مقام الملك
و السلطنة هو الذي يُقرر في مسألة ظلم اليتيم.

صفات الباطن

القلب الذي لا يحمل في مكنونه سوى رضا الله و إحياء دينه فهو قلب طاهر.
و قال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية: «فاسألوا الله بكم بنيات صادقة و
قلوب طاهرة». و المراد بالقلب الطاهر كما قال الإمام الصادق عليه السلام هو: «القلب
السليم الذي يلقي ربه و ليس فيه أحد سواه»^٣. و قال الإمام الحسن عليه السلام: «و أنا
الضامن لمن لم يهجنس في قلبه إلا الرضا بما قضى الله أن يدعوا الله فيستجاب له»^٤.
قلت متى تسأعني و ترحمني و أنا الضعيف، قال في الوقت الذي لا تكون نفسك

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٣٣، ح ٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٥.

٣. الكافي، ج ٢، ص ١٦.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٦٧، ح ١١.



حائلاً فيما بيننا^١.

فإن «الأنا» تحرم الإنسان من الفيض وتجره إلى مشقة دائمة و التخلي عنها يؤول إلى الدعة والاستقرار.

حينما كان الإمام الخميني تنتك في النجف، استجازوه لترجمة رسالته العملية إلى اللغة الأردنية وإرسالها إلى الباكستان، فقال سماحته: هل لا توجد رسالة هناك؟ قالوا: نعم توجد رسالة لبعض المراجع، قال: هذا يكفي!

و قال المرحوم الحاج الشيخ محمد تقي الأملي (١٣٩١ - ١٣٠٤ هـ)، وهو فقيه متكلم متأدب بالأداب الإسلامية، ويوصف بالتواضع والعظمة والكرم: رأيت في عالم الرؤيا بأن العدو قد هاجمني فجابهته و تشابكت معه ولكنه لم يتركني، فاضطرت للنجاة من شره أن أعص على يده بقوة؛ ثم استيقظت من منامي وأنا في هذا الحال فرأيت بأني قد عضضت يدي!. أي أخبروني في عالم الرؤيا بأن عدوك نفسك ليس إلا فأنج منها. فإن العداء ينبثق من أنفسنا لا من الغير. وإن الله لا ينعم على أي أحد مثل هذه المنامات الحسنة ليقيم الإنسان أن عدوك نفسك.

روي عن النبي ﷺ أنه قال في وصاياه لأبي ذر: «يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا إلا أثبت [أثبت] الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره بعيوب الدنيا ودائها و دوائها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»^٢.

إذا لم يواظب الإنسان في يقظته فلا يحظى على منامات ورؤى جيدة.

فضيحة الشرك

لا يوجد شيء في يوم القيامة أشد سوءاً من فضيحة الشرك، فإن نجونا من هذا

١. بيت بالفارسية في ديوان حافظ، الغزل ٣٠٧، وهذا نصه:

گفتم که کب ببخش بر جان ناتوانم گفتم آن زمان که نبرد جان در میان حایل

٢. مكارم الأخلاق، ج ٢، ص ٥٤٥؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٣.

العار يكون هناك أمل للنجاة. وإن الشرك مكنوز في سريرة الكثير منا ولا سبيل لتشخيصه بالنسبة لنا فضلاً عن علاجه لأننا دوماً نتكل على غير الله في أعمالنا ونؤدي العبادة من باب العادة! فهل حدث بأن لا نمديد الطمع إلى غير الله في أعمالنا؟ وأن لا نتكل على أنفسنا أو عملنا؟

فقد جاء في أواخر سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^١. والسر في ذلك قول الناس: لو لم يكن فلان لما تم إنجاز هذا العمل. وكذا ما تداول فيما بيننا من القول: نعتمد أولاً على الله ثم على فلان، فإن هذه التعابير ليست بتعابير توحيدية لأنه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٢، هو الأول الذي لا يقابله ثانٍ.

وسئل الإمام عليه السلام عن جواز القول: لولا أن من الله علي بفلان لهلكت؟ قال: «نعم لا بأس بهذا»^٣. فلا بد من النظر إلى الفاعل الحقيقي والنظر إلى الحق ظاهراً، إذ أن «هو الظاهر» لا يدع المجال لغير الله.

ولذا لا بد أولاً أن نطلب من الله أن يهب لنا قلباً خالصاً مؤهلاً للدعاء ثم ندعو.

المضطر والمجيب

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله عز وجل، فإنه إذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه»^٤. ويقول الله سبحانه وتعالى:

١. سورة يوسف، الآية ١٠٦.

٢. سورة الحديد، الآية ٣.

٣. تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٧٦.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٧، ح ٧.



﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^١، فَإِنَّ الإله و الرب هو الذي يستطيع إجابة المضطر، و من لا يقدر على ذلك ليس بإله. فَإِنَّ الذي خلق نظام الكون هو الله، و هو الذي يستطيع حلّ مشاكل الناس.

و إِنَّ قوله ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾، يعني أن غير المضطر لا يفهم أن الأمور بيد من تكون، و لذا يقول: اعتمد أولاً على الله ثم على الطبيب، بيد أن المضطر يعرف بأن الأول هو الله و الآخر هو الله أيضاً. و على سبيل المثال، إذا عثر إنسان و أخذ آخر بيده يقول: اعتمد أولاً على الله و لكن لو لم يكن هذا الرجل لسقطت من السُّلَم، و أما المضطر فيفهم أن الحقيقة على خلاف ذلك قائلاً: «كم من عثار و قيته»^٢، و إِنَّ اليد التي ظهرت و أخذت بيدي هي يد الله و هو الذي أمرها بذلك. فَإِنَّ هذه الآية لا تعني بأن الله يجيب المضطر و لا يجيب غير المضطر، سوى أن المضطر يعلم من هو المجيب و أما غير المضطر فإما أن يكون عديم الفهم من الأساس أو أن فهمه مشوب بالشرك، و لذا تجده يقول: اعتمد أولاً على الله و ثانياً ليغفر الله لوالد فلان، فهل الشرك غير ذلك؟ إذ أَنَّ الموحّد لا يملك مثل هذا المنطق و الفكر؛ بل يقول: أشكر الله على أن حلّ مشكلتي عبر هذا الطريق. معتبراً هذه الطرق مجرئاً للفيض الإلهي.

حقيقة الدعاء

إِنَّ من يعبد الله للخلاص من النار أو للوصول إلى الجنة لا تكون عبادته خالصة؛ لأنه عبد الله لدفع أو استجلاب شيء. فَإِنَّ عبادته و إن كانت صحيحة و أسقطت عنه التكليف؛ و لكن إذا نظر إليها بنظرة أعلى و جدها مشوبة. و لذا لا ينبغي أن نطلب من الله غير الله، فَإِنَّ الله تقدّست أسماؤه يُنجي عبده الصالح من النار و يدخله الجنة، و

١. سورة النمل، الآية ٦٢.

٢. من فقرات دعاء كميل.

لكن لا يسوغ للعبد أن يطلب من الله غير الله.

فإن طلب غير الله من الله نقصان لا زيادة^١.

وإن حقيقة الدعاء هو أن يزور العبد ربه فيستضيفه الله ويُقبل عليه. ولذا فإن أبرز فقرات المناجاة الشعبانية هي: «وَأَقْبِلْ عَلَيَّ إِذَا نَاجَيْتَكَ»، أي أن مناجاتي لم تكن إلا للإقبال لا للإعطاء.

و حكمة الدعاء في الحقيقة هي روح الدعاء بأن يجد الداعي نفسه في مشهد و منظر المدعوّ و هو الله سبحانه فيُشّهد نفسه فيحصل ارتباط و اتصال آخر بين الشاهد و المشهود.

الشاهد و المشهود

إن الأصل المشترك في جميع العبادات هي أن الإنسان لا يصل إلى سرّ العبادة إلا إذا شاهد المعبود، و إن باطن عبادة المعبود مشاهدة المعبود.

فإن أراد الإنسان أن يعرف بأنه في العبادة هل يراعي الأحكام و الآداب فحسب أم أنه اجتازها و وصل إلى حكمة العبادة، عليه أن يرى بأنه يشاهد المعبود أم لا؟ و إن لمشاهدة المعبود درجات، يكون حساب البدائية منها بيد الإنسان أما الدرجات النهائية إذا وصل إلى تلك المرحلة فلا تبقى بيده.

فإن الدرجات البدائية لمشاهدة المعبود هي أن ينظر الإنسان هل يوجد في قلبه و روحه غير الله؟ و ما هي متعلقاته؟ فإن كان متعلقاً بنفسه و لذائذه الشخصية و تعلقاته الجزئية يتضح أن الله غير خالص في قلبه و لم يصل إلى حكمة العبادة؛ إذ لا يصل إلى حكمة العبادة إلا إذا شاهد العابد المعبود و لم يكن في ضمير العابد حاضر و

١ . بيت بالفارسية و هذا نصه:

از خدا غير خدا را خواستن ظن فزونی است کلی کاستن



لا ناضر سوى المعبود.

وإن المراحل النهائية لمشاهدة المعبود هي قول علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما كنت أعبد رباً لم أره»^١ في عين الباطن. وإن هذا النمط من العبودية والمعرفة مختصة بأولياء الله. وفي الحقيقة ما هو مراد العابد؟ هل يطلب الله لنفسه أم نفسه لله؟ وهل يعبد الله ليهيئ وسيلة رفاهيته؟ ويجعله وسيلة للتنعم والذهاب إلى الجنة؟ أم يعبد الله لحيه إياه واستجلاب رضاه؟

* * *

القسم التاسع:

التولي والتبري وحكمتهما

الجاذبة و الدافعة في المخلوقات

لا يوجد شيء في العالم يخلو من بعدين هما الجذب و الدفع و النفي و الإثبات، غير أن هذين البعدين مودعان في الإنسان المؤمن برقة.

و في رسالة منسوبة إلى الخواجة نصير الدين الطوسي رحمته، يقول فيها:
«إن الذي يوجد في نوع الجمادات باسم الجذب و الدفع، موجود في النباتات أيضاً»^١.

إذ لو أراد الحجر أو التراب أن «يكون ياقوتاً في بدخشان أو عقيقاً في اليمن» لا بد له من جذب التراب المستعد و المناسب و دفع المواد غير الملائمة. فلا يليق بكل تراب أن يتبدل إلى عقيق أو ياقوت، و إن جذب المناسب و دفع اللامناسب موجود في جميع أنواع المعادن و النباتات و التراب. فإنّ النبات على سبيل المثال لا يجذب كل غذاء، بل

١ . رسالة التولي و التبري، المطبوعة مع كتاب الأخلاق للمحتشمي، ص ٥٦٢.

يجذب ما يناسبه ويدفع ما لا يناسبه. ويظهر هذا الجذب والدفع في الحيوانات على هيئة «شهوة» و «غضب». وفي الإنسان فهما أكثر رقة حيث يتجلى بصورة «محبة» و «عداء» وفي مرتبة أعلى يزداد رقة فيظهر على شكل «إرادة» و «كراهة». فإن اجتاز هذه المراحل كلها وازداد رقة ولطافة ظهر على صورة «توّل» و «تبرّ»، وهذه من صفات خاصة أولياء الله المؤمنين.

فعلى المؤمن أن يتوّل وأن يهب الروح لحبّه و عدائه المودعان في ذاته، وأن يذيقها سرّ هذه المحبة وباطنها لتتحلّى بالحياة وإلا فإن الحبّ والعداء موجودان عند كثير من الناس.

حرم الله

إذا خاف الإنسان من الله و وقع حبه في قلبه وجبت له الجنة؛ إذ قد يجعل الإنسان الله وسيلة للوصول إلى الجنة، وهذا ناجم من الهمم الدنية التي يكرهاها الله وقد لا يطلب من الله شيئاً سواه، ولا يسأله إلا حبه ولقاءه، فإن الله في هذه الحالة سيحبره بهذه النعمة العظيمة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تجتمع الرهبة والرغبة في قلبٍ إلا وجبت له الجنة»^١.

و قال أيضاً: «تبتّروا قلوبكم فإن أنقأها الله من حركة الواجس لسخط شيء من صنعه فإذا وجدتموها كذلك فاسألوه ما شئتم»^٢.

فإن دعاء الموحّد مستجاب والموحّد هو الذي لا يوجد في قلبه سوى الإيمان بالله وهو الذي وصل إلى سرّ التوحيد.

١. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٥، ح ١١.

٢. الأملاني للشيخ المفيد، ص ٦٧، المجلس ٧، ح ١.



توَلَّى رسول الله ﷺ

قال النبي الأكرم ﷺ في الخطبة الشعبانية: «ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تحقّف فيه الموازين»^١.

إنّ لكل متاع أو ظاهرة في الدنيا ميزان خاص بها، فعلى سبيل المثال تُقاس درجة حرارة الهواء وبرودته بجهاز خاص، ويُقاس ميزان ضغط ماء النهر بوسيلة معينة، وهناك في المسائل الأدبية أوزان خاصة لتقييم الشعر. وأعمال الإنسان أيضاً توزن في يوم القيامة بميزان خاص وتُحسب كقيمتها وكميتها بطريقة محددة وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمَّزُ الْحَقُّ﴾^٢، فقد وردت كلمة الحق مع الألف واللام وهذا يعني أن أعمال الناس وعقائدهم وأخلاقهم... توزن يوم القيامة بميزان «الحق»، فيوضع الحق في كفة الميزان والأعمال والأخلاق... في الكفة الأخرى ليُعلم أيّ عمل مع الحق وأي عمل عارٍ من الحق؛ فمن ثقلت أعماله فهو من السعداء ومن خفّت أعماله فهو من الأشقاء.

وقد روي عن علي عليه السلام وكذا عن النبي ﷺ أنهما قالاً: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا»^٣، أي زنوا أنفسكم بالحق وبالقرآن الكريم لتعرفوا هل أن أعمالكم مطابقة للحق أم لا؟ وهذا ليس بالأمر العسير.

فأرشدنا النبي إلى أن الصلاة عليه تُثقل ميزان الأعمال، وإلا فلا يصل كمال إليه إثر صلاتنا، حيث أن الله أعطاه ويُعطيهِ ما يليق به من كمال، فإنّ ما نطلبه كواسطة فيض و علة فاعلية لا يوجب خيراً، بل تؤدي صلاتنا إلى ظهور كمالاته، فإنّ علته

١. الأربعون حديثاً للشيخ البهائي، ص ١٧٩، ح ٩.

٢. سورة الأعراف، الآية ٨.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٨٠.

الفياضة هو الله سبحانه ولا يصل إليه منا خير بل إن كل ما نملكه هو حصيلة تربيته؛
و شأن ذلك شأن المزارع الذي يجني باقية ورد من المزرعة في يوم العيد ويهديها
لصاحب المزرعة فهل أهدى المزارع شيئاً من عنده لصاحب المزرعة؟ ونحن قد
حظينا بأزهار كثيرة من روضة النبي ﷺ وإن قدمنا باقية ورد فهي من روضته بيد أنها
مدعاة للقرب والوصول إلى الكمال.

معنى الصلاة على النبي ﷺ

يُراد بالصلاة على النبي هو: إلهي ارحم النبي وآله، فإن حلت الرحمة به حلت
بالآخرين أيضاً لأنه مجرى الفيض وإن أراد الله أن يصيب امرأ خيراً لا بد أن يصيب
النبي أولاً كرحمة خاصة ثم يصل إلى الآخرين.

قال علي عليه السلام: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على
رسوله ﷺ ثم سل حاجتك فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداها و
يمنع الأخرى»^١.

وقد علمنا الإمام السجاد عليه السلام طريقة الدعاء وطلب الحاجة؛ إذ نجد الصلاة في
كثير من فقرات دعائه حيث يبدأ أو يختم كل حاجة يريد مسألتها من الله بالصلاة، لأن
الله ببركة الصلاة يستجيب الدعاء المقترن بها.

و إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي وعلى المؤمنين كذلك! حيث يصل المؤمن
إلى مرتبة يحظى بصلاة الله سبحانه والملائكة عليه! وهذا ما ورد في سورة الأحزاب؛
وهو صلاة الله وملائكته على النبي وصالاتهم على المؤمنين.

ثم إنَّ صلاة الله التي تعتبر من صفات فعله إنما هي الإدخال إلى النور، وإنَّ قول



الله عين فعله، وهذا النور إذا وفق إليه الإنسان وشاهده في فضاء قلبه وأحس بانقشاع الظلمة عنه يدل على فوزه بصلوات الله وملائكته.

يقول الله سبحانه في تكريم النبي: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾^١، فإن الله إذا أراد أن يصلي على نبيه العظيم أردف ملائكته بأسرهم معه، كما إذا دخل ضيف عزيز مدينة وأراد أحد أعلامها إكرامه بأحسن وجه خرج لاستقباله مع كل أصحابه وأقربائه.

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول في إكرام المؤمنين والصلاة عليهم: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾^٢، يعني أن الله وملائكته يصلون على المؤمنين كل على انفراد، والفرق الآخر هو أن الله ليرى حول النبي بأننا نصلي عليه لنخرجه من الظلمات إلى النور؛ لأنه نور بذاته ومصدق كامل لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^٣، ولكنه يقول بشأن المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ فيظهر من ذلك أن صلاة الله هي الإدخال إلى النور وإن انقطع هذا الفيض عن أحد وترك الله الصلاة عليه سيقع في الظلمة.

فلا بد أن نزن أنفسنا بهذا الميزان وهو أن توفيق الطاعة وأداء التكاليف الشرعية وعبور من أحكام العبادات وآدابها ومعرفة حكمتها بشكل من الأشكال يدل على نيل صلوات الله وملائكته وإلا فهي الابتلاء بالذنوب وتراكم العثرات. وإن دخل النور في قلب المؤمن عبر هذا الطريق، استطاع أن يرى طريقه وأن يقود الآخرين ويدرهم على الطريق.

١. سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

٣. سورة الأنعام، الآية ١٢٢.



يقول علي عليه السلام: «ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة»^١، فالإنسان الذي يخوض في الظلم والمساfer الذي ظل طريقه في غسق الليل لا ينفعه البرق الخاطف ولا يهتدي إلى الطريق. والإنسان الطالب للدنيا شأنه شأن الخائض في الظلمة لا ينفعه النور الذي يبرق في قلبه ثم يُطفأ.

وقد وردت في ذيل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٢ رواية شريفة عن المعصوم عليه السلام أنه قال: «بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله»^٣، فإن أراد الله أن يقوم بفعل معين فعله بإرادته وإرادة الله صفة فعله وزائدة على ذاته وتظهر في المظاهر والمخلوقات الممكنة، والمظهر هو القلب المعصوم لأولياء الله.

ولذا ذكر المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي رحمه الله أن معنى الصلاة على محمد وآل محمد عليه السلام هو طلب الرحمة من الله عليهم لتصل منهم إلينا، فإذا أراد الله نزول الرحمة فلا بد وأن يتم في بادئ الأمر على أهل البيت ثم يصل إلى الآخرين ولذا فإن طلب الرحمة يستلزم استجابة الدعاء.

وقد نقل المرحوم السيد حيدر الأملي هذا الكلام الرفيع ويُنسب إلى المحقق الطوسي كذلك أن هذا الكلام يقال لصاحب العصر والزمان عليه السلام لأن: «يُمنه رُزق الوري وبوجوده تنبت الأرض والسماء»^٤. إذن فجميع البركات تحل بالناس من خلال أهل هذا البيت عليه السلام.

الصورة البهية للولاية

عن أبي بصير أحد تلامذة الإمامين الباقر والصادق عليه السلام عن أحدهما عليه السلام قال:

١. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٤٣٥، ملحقات الحكمة ١٦٥.

٢. سورة الإنسان، الآية ٣٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٣٦.

٤. مفاتيح الجنان، دعاء العديلة.



إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً وأبهأهن هيئة وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة، قال: فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه فإن أتي عن يمينه منعتة التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة: ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجله أنا برّ من وصلت من إخوانك.

ثم يقلن من أنت فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهأنا هيئة؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين^١.

نعم فإن اتباعهم ومحبّة علي وأولاده تتجسم بهذه الصورة النورانية الفائقة على غيرها من الصور وهذه هي حكمة المحبة فتارة يتصور الإنسان أهل البيت عليهم السلام و يتعلّق قلبه بهم صورياً وتارة يكون متعطشاً لهم وهذا هو سرّ الولاية.

أفضل ذخرفي الحياة

ما لم يصل الإنسان إلى معرفة شيء لا يصل إلى محبته، وقيمة كل امرئ بمقدار حبه وكلّ يُحشر مع محبوبه.

فإن أراد الإنسان حبّ علي وأولاد علي عليهم السلام، عليه بعد معرفة الله أن يتولاهم إذ لا يوجد ذخرف أسمي وأعلى من التولي والتبري.

وإن الاعتراف بالشيء غير المحبة؛ فقد يتحتم على الإنسان في المسائل العسكرية أو القانونية أن يحترم شخصاً، سوى أن المحبة شيء آخر. وقد يتلمذ الإنسان على يد

جمع غفير من الأساتذة ولكنه يقع في قلبه محبة واحد منهم. فإن المحبة غير التعظيم و التجليل والتكريم. تلك الطاعة والانقياد وهذه المودة والعلاقة.

و قد أمرونا بمودة علي وأولاد علي عليه السلام، فإنها ذخرن لنا ومن أركان الدين الرئيسة الموسومة بالولاية. وهي لا تقتصر على قبول ولايتهم بل لابد من ذكرهم في جميع الصلوات. فهل هناك صلاة تخلو من ذكر علي وأولاد علي؟ وهل هناك صلاة لا تشهد فيها؟ فمن واجبات التشهد قول «اللهم صلّ على محمد وآل محمد»، والصلاة عليهم تلي الشهادتين في وسط العبادة.

قال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ ولم يصلّ عليّ آلي، لم يجد ربح الجنة وإنّ ربحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام»^١. فالكلام لا يدور عن التجليل والتكريم قانونياً والطاعة بما أمروا به، فإن هذا هو أول مراحل الاتباع، بل أمرونا بمودتهم ولا تيسر المودة لأحد إلا من خلال المعرفة والمعرفة هي باطن العبادة.

حكمة المحبة

جاء رجل من أهل البادية فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: فما أعددت لها؟ قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل لا صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»^٢ يعني إذا كانت المحبة صادقة فتحشر مع من أحببت، فكيف يمكن أن يكون الإنسان محباً لهم ولا يقتفي أثرهم؟ وإذا كان الإنسان محباً لهم ولكن لا يتحلّى بصفاتهم فهو ليس معهم. فالمحبة الخالية من الطاعة ليست بمحبة؛ بل هي تمنّي لأن المحبة هي أعلى مراتب الإرادة. فأني محبة هذه

١. سفينة البحار، ج ٥، ص ١٧١.

٢. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٣.



إذا شابها العمل بميول المحب و خلّت عن رضى المحبوب.

و لما حضرت النبي ﷺ الوفاة، أخذ أصحابه يبكون حوله، فسألهم عن علة بكائهم فذكروا له فقدانه و انقطاع الوحي بعده و ما سيجري على الأمة من بعده.

و روي عن عبد الرزاق بن قيس الرحبي قال: كنت جالساً مع علي بن أبي طالب عليه السلام على باب القصر حتى ألجأت الشمس إلى حائط القصر فوثب ليدخل فقام رجل من همدان فتعلق بثوبه و قال: يا أمير المؤمنين حدثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به، قال: أو لريكن في حديث كثير؟ قال: بل و لكن حدثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به قال: «... أنت مع من أحببت و لك ما اكتسبت»^١.

فلا ينبغي علينا أن نفكر بكل شيء و لا نفكر بأنفسنا، و لا ننظر إلى سرائرنا لنرى من الذي تريده و ماذا تطلبه. فقد يقضي الإنسان عمراً في غفلة و لا يدري ماذا يريد.

حديث بين الوالد و ولده

عن الأصبغ بن نباتة العبدي - و هو من خاصة تلامذة علي عليه السلام - قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا و الحارث و سويد بن غفلة و جماعة معنا فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا إلى منازلكم، فانصرف القوم غيري و اشتد البكاء من منزله فبكيت فخرج الحسن عليه السلام فقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟ فقلت: لا و الله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي و لا تحملني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فتلبث، فدخل و لربلت أن خرج فقال لي: ادخل، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزع و اصفر وجهه ما أدري وجهه أصفر أو العمامة فأكببت



عليه فقبلته و بكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة (و هذا هو كلام أهل اليقين)، فقلت له: جعلت فداك إني أعلم والله إنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقداني إياك (فهو تلميذ نفس هذا الإمام، حيث ورد في القرآن الكريم بأن البعض صائر إلى الجنة أي يصبح جنة لا أنه سائر إليها)، يا أمير المؤمنين جعلت فداك حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فإني أراي لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً، فقال: نعم يا أصبغ دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا علي انطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد على منبري ثم تدعو الناس إليك فتحمد الله عز وجل و تثني عليه و تصلي عليّ صلاة كثيرة ثم تقول: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم و هو يقول لكم ألا إن لعنة الله و لعنة ملائكته المقربين و أنبيائه المرسلين و لعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه أو ظلم أجيراً أجره، فأتيت مسجده و صعدت منبره فلما رأنتي قریش و من كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله و أثنت عليه و صليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة ثم قلت: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم و هو يقول لكم ألا إن لعنة الله و لعنة ملائكته المقربين و أنبيائه المرسلين و لعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه أو ظلم أجيراً أجره، قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسر، فقلت: أبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: ارجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله و أثن عليه و صل عليّ ثم قل: أيها الناس ما كنا لنجيئكم بشيء إلا و عندنا تأويله و تفسيره ألا و إني أنا أبوكم ألا و إني أنا مولاكم ألا و إني أنا أجيركم^١.

فمن لم ينتسب إلى أبيه، لم ينتم إلى النبي، و قد ورد في هذا الشأن: «أنا و علي أبوا هذه الأمة»، و من لم يرتبط بهذا الأب و لم يكن له ولد فقد شملته لعنة الله و ملائكته.



و لا يتأتى هذا الارتباط والانتفاء إلا عبر المحبة، و لا تتيسر المحبة من دون المعرفة و المعرفة من دون الطاعة. فإن طاعة الله و عبادته تصير الإنسان عارفاً و العارف محباً بأمر من النبي ﷺ .

و قوله: أنا مولاكم و أجيركم، أي أنا مولاكم فلا تقطعوا الارتباط معي و أنا أجيركم فلا بد من إعطاء الأجرة لي، و أجرته ليست إلا المودة لأهل بيته: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، فإن حصيلة ما بذلته من جهود خلال أعوام هو محبة علي و أولاد علي عليه السلام، فكونوا محبين للعترة الطاهرة، و إن ذكرتموهم فلتفتح قلوبكم و لتنتعش نفوسكم، و خذوا منهم الأوامر و النواهي و اتبعوهم و أطيعوهم، فإن أجر رسالتي المودة و هي وليدة المعرفة و المعرفة أيضاً وليدة الطاعة.

تقبل الولاية من أعماق القلب

لا تتأتى مودة هذه العترة لأي أحد، فإنها ليست بالأمر الهين و هي غير الطاعة القانونية. فلا تتولد المحبة بين كل تلميذ و أستاذ و إنما هي شيء آخر. و إن مودة علي و أولاد علي عليه السلام لا تقتصر على قبول كل ما يصدر منهم بل هو فوق ذلك، فالكلام عن المودة و هو الإيثار بالقلب.

و لو كان الناس في بلدة كإيران مستعدون للدفاع عن مملكتهم سواء تعرّضت لهجوم القوى العظمى أم لا، فإن ذلك ناتج من حبهم للحسين بن علي عليه السلام و لا يحفظ البلاد سوى ذلك، فإنهم يعلمون أن الشهيد لا ينال السعادة الأبدية و أن أسرته لا تؤمن حياتهم إلا عبر التعلق و الارتباط بهذه العترة و هذه هي جذبة العشق و المودة لأهل البيت عليه السلام.

كان الحسن بن علي عليه السلام في أكثر أسفاره إلى مكة ومع وجود الدواب والمراكيب الجيدة يخرج ماشياً لاكتساب مزيد من الفيض والبركة وفي إحدى أسفاره تورّمت قدماه فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم، فقال: كلا إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له مولاه: بأبي أنت وأمي ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء، قال: بلى إنه أمامك دون المنزل، فساروا أميالاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن عليه السلام لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن و أعطه الثمن، فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال: للحسن بن علي عليه السلام، فقال: انطلق بي إليه، فانطلق فأدخله إليه فقال له: بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا وترى ذلك ولست آخذ له ثمناً إنما أنا مولاك ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت فلما خلفت أهلي تمخض، فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا^١.

المظهر الأتم للولاية المطلقة

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نفسه وهو الذي لا نظير له بعد رسول الله ﷺ: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول، صدّقه وآدم بين الروح والجسد»^٢، فيظهر أن آدم أبا البشر أصبح مسجوداً للملائكة لتكريم الولاية المطلقة التي يعدّ هو عليه السلام واحداً من مظاهرها والمظهر الأتم لها منه علي وأولاد علي عليه السلام.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن علي عليه السلام: «علي مني وأنا منه»^٣، فهو بمثابة نفس النبي ولذا قال: «يا علي، من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد

١. الكافي، ج ١، ص ٤٦٣.

٢. أمالي الشيخ المفيد، ص ١٧، المجلس ١، ح ٣.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣.



أبغضني»^١.

و على هذا الأساس ورد في الكتب الكلامية عن المرحوم المحقق الطوسي وتلميذه المرحوم العلامة الحلي رحمتهما أنها قالا: «محاربو علي كفره و مخالفوه فسقة»، وذلك لقول النبي ﷺ فيه: «حربك حربي» والذي يخالف علياً عليه السلام فهو ليس بمعاند بل فاسق.

صاحب الجنة

قال رسول الله ﷺ: «إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دُقت الحلقة على الصفحة، طنت وقالت: يا علي»^٢.
و دق الباب ينبأ عن أدب الضيف ولو كان الباب مفتوحاً فإن باب الجنة مفتوح و لكن أصحاب الجنة إذا أرادوا الدخول طرقوا بابها.

يذكر المرحوم العلامة الطباطبائي رحمته في شرح هذا الحديث و أنه لماذا يكون طنين دقة الباب يا علي بأن الضيف إذا أراد الدخول إلى دار دعا صاحبه إن كان لصاحب الدار اسم معين. و إن صاحب الجنة و مضيفها علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذا صار طنين دقة الباب في الجنة أيضاً يا علي، إذ لا يمكن دخول الجنة إلا في ظل هداية هذه العترة و قيادتهم و هو ضيفهم فيها.

فلو لم تكن هذه الأنوار الطيبة لما سلك أحد طريق الجنة، و نحن الآن يمكننا أن نعرف جيداً بأننا في الجنة أم لا، و أن أبواب الجنة مفتوحة أمامنا أم لا.

مدينة الحكمة

قال رسول الله ﷺ علي عليه السلام: «أنا مدينة الحكمة و هي الجنة و أنت يا علي

١. بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٩٠.

٢. الأمالي و المجالس للصدوق، ص ٤٧١، المجلس ٨٦، ح ١٣.

بابها^١.

لا تعني هذه العبارة بأن المدينة محيطة بالجدران و بابها في جانب منها، بل إن الباب محيط بكل أطراف المدينة والوصول إلى النبي من أيّ طرف كان لا يمكن إلا من خلال علي عليه السلام. وذلك كما يجعل الله السماء بأسرها باباً عند يوم القيامة حيث قال: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾^٢، فالسمااء كلها باب للعبور واجتياز الإنسان ولم تحتل الباب جانباً وزاوية منها.

إذن فالدخول في مدينة الحكمة وهي الجنة لا يمكن إلا عبر الاستمداد بولاية أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام.

فضائل علي عليه السلام في كلام سعد بن أبي وقاص

قال سعد بن أبي وقاص لرجلين التقى بهما وهو في طريقه إلى مكة: ... الله أكبر الله أكبر قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين إن أنا قاتلته (أي علي عليه السلام) بعد أربع سمعتن من رسول الله ﷺ فيه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها....

١- علي من النبي والنبي من علي

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة لينبذ إلى المشركين فلما سار ليلة أو بعض ليلة بعث بعلي بن أبي طالب نحوه فقال: اقبض ببراءة منه وارده إلي، فمضى إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقبض ببراءة منه و رده إلى رسول الله ﷺ فلما مثل بين يديه بكى وقال: يا رسول الله أ حدث في شيء أم نزل في قرآن؟ فقال رسول الله ﷺ: لم ينزل فيك قرآن

١. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٠٠.

٢. سورة النبا، الآية ١٩.

ولكن جبرئيل عليه السلام جاءني عن الله عز وجل فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك و علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي^١.

وهذا شبيه لما ورد في الحسين بن علي عليه السلام: «حسين مني وأنا من حسين»^٢. وفي رواية كان الإمام الصادق عليه السلام يلوم عبد الله ابنه ويعظه ويقول له: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك فوالله إني لأعرف النور في وجهه، فقال عبد الله: وكيف ليس أبي وأبوه واحداً وأصلي وأصله واحداً؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنه من نفسي وأنت ابني^٣. ففي ظهورك كان البدن دخيلاً وروحي كانت هي الدخيلة في ظهوره وتجليه، فللابن معنى ولاستخلاف المقام معنى آخر.

٢- سدّ الأبواب إلى باب علي عليه السلام

كنا في مسجد رسول الله ﷺ وآل علي وآل أبي بكر وآل عمر وأعمامه، قال: فنودي فينا ليلاً أخرجوا من المسجد إلا آل رسول الله وآل علي، قال: فخرجنا نجر قلاعنا فلما أصبحنا أتاه عمه حمزة فقال: يا رسول الله أخرجتنا وأسكنت هذا الغلام ونحن عمومتك ومشیخة أهلک، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا أخرجتكم ولا أنا أسكنته ولكن الله عز وجل أمرني بذلك.

كم من مقام رفیع لعلي عليه السلام فإنه يمكن أن يستفيد من المسجد كاستفادته من بيته. وما ورد في دعاء النذبة: «و سدّ الأبواب إلا بابه» هو إشارة إلى هذا المعنى. فيا له من مقام عظیم، حيث تأمر مريم عليها السلام بالخروج من البيت المقدس ويطلب من فاطمة بنت أسد بالدخول ويفتح لها جدار الكعبة.

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦١.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٨.

٢- حامل الراية في خيبر

هذه فضيلة أخرى لعلي بن أبي طالب عليه السلام حيث بعث رسول الله ﷺ برأيته إلى خيبر مع أبي بكر فردّها فبعث بها مع عمر فردّها فغضب رسول الله ﷺ وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، قال: فلما أصبحنا جثونا على الركب فلم نره يدعو أحداً منا ثم نادى: أين علي بن أبي طالب؟ فجيء به وهو أرمد فتفل في عينه وأعطاه الراية ففتح الله على يديه^١.

وقد قال علي عليه السلام: «لا أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج إلى الموت»^٢، فلم يفرّ من أي معركة ولا يركن لدرعه ظهر ولذا قال النبي فيه: «كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

هذا وقد حرّض أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه بأن لا يخلطوا الأحاسيس والعواطف في المسائل العسكرية والحربية^٣.

وفي إحدى الحروب أُسر جمع من أصحاب علي عليه السلام فطلبوا من الإمام أن يُخصّص مقدّاراً من بيت المال لإطلاق سراحهم فقال: «من استأسر من غير جراحة مُتخنة فلا يُفدى من بيت المال»^٤، أي أن إطلاق الأسير أمر مطلوب واستدانة للجهاد، ولكن من يرفع يده سراحاً ويستسلم لأي حادث فهو ليس بشجاع. فلا بد من إطلاق الأسير الذي جرح من مقدّمة بدنه لأن ذلك يدل على مقاومته وصموده حتى آخر لحظة، وأما من جرح في ظهره فقد أُسر حين الفرار. والفرار من الزحف لا

١. الأموال والمجالس للصدوق، ص ٤١٥، المجلس ٧٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

٣. الكافي، ج ٥، ص ٣٩، ح ٤.

٤. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٨٦.



ينفع لأنه لا يعرف الشهادة، و يزعم أن الموت فناء و يُفَضَّل البقاء. أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّهُ: «ما الموت إلا قنطرة تعبر بكم» كما قال الحسين بن علي عليه السلام^١.

فإنّ علياً عليه السلام الذي يُعْطَى إفطاره للأسير، يأمر حين تحرير أصحابه الأسارى بأن لا يُصْرَف من بيت المال لإطلاق سراح الأسير المجروح من خلف، لأن ذلك ينبأ عن فراره و الفارّ من الزحف لا ينفعنا فهو يرى نفسه أعظم من الدين و لا يعلم أن الشهادة هي الجنة و السعادة.

و قال علي عليه السلام في كتابه لسهل بن حنيف الأنصاري: «ما قلعت باب خير... بقوة جسدية و لا حركة غذائية لكنني أُيدت بقوة ملكوتية و نفس بنور ربها مضيئة»^٢.
إن قوة جبرائيل لم تكن من التغذي و إنما هي قوة ربانية^٣

و قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما ضَعُفَ بدن عَمَّا قَوِيَتْ عليه النية»^٤، فالبدن تابع للإرادة بمقدار قوتها و مطاع منها بمقدار ضعفها، و كانت إرادة علي عليه السلام قوية، فاكْتَسَبَ البدن على إثرها قوة خارقة.

٤- حبيب قلب النبي ﷺ

إن رسول الله ﷺ خرج غازياً إلى تبوك و استخلف علياً على الناس فحسدته قريش و قالوا: إنما خلفه لكراهية صحبته، قال: فانطلق في أثره حتى لحقه فأخذ بغرز ناقته ثم قال: إني لتابعك، قال: ما شأنك؟ فبكى و قال: إن قريشاً تزعم أنك إنما

١. «صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس و الضراء إلى الجنان الواسعة و النعيم الدائمة» (معاني الأخبار، ص ٢٨٨).

٢. الأمالي و المجالس للصدوق، ص ٤١٥، المجلس ٧٧، ح ١٠.

٣. بيت بالفارسية في مثنوي مولوي، الكتاب الثالث، و هذا نصه:

قوت جبرائيل از مطبخ نبود بود از دیدار خلاق و دود

٤. وسائل الشيعة، ج ١، ص ٥٣.



خلفتني لبغضك لي و كراهيتك صحبتي، قال: فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى في الناس ثم قال: أيها الناس أفيكم أحد إلا وله من أهله خاصة؟ قالوا: أجل، قال: فإن علي بن أبي طالب خاصة أهلي و حبيبي إلى قلبي (و كان ذلك منه مع أنه لم يفكر إلا بالله و ليس له محبوب سوى الله، لأن علياً مظهر لله و حبه حبّ الله)، ثم أقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فقال علي عليه السلام: رضيت عن الله و رسوله^١.

شريك القرآن

يُطلق الشريك على قطعة من الحبل التي تربط بين طرفين مفتوحين. وإن مقام الإمامة و حقيقة القرآن ثقلان ثقلان، و الإمام هو الذي يربط القرآن بالإمامة و الإمامة بالقرآن و لذا فهو شريك القرآن.

قال موسى الكليم مخاطباً الله عز و جل: إلهي لقد وضعت على كاهلي ثقلًا ثقيلاً، و لا بد من مقارعة فرعون؛ فاجعل للنجاح في هذا العمل هارون أخي شريكاً في أمري: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾^٢.

و إن رسالة النبي و برنامجه هو القرآن الكريم، و لذا فإنَّ تَحْلُقه القرآن أيضاً، فمن كان شريكاً لرسول الله صار شريكاً للقرآن كذلك و هو بمثابة الحبل الذي يربط الإمامة بحقيقة الوحي.

و هذا ما نقرؤه في زيارة كل إمام معصوم عليه السلام بأنه شريك القرآن، بدءاً من علي بن أبي طالب عليه السلام أول إمام و انتهاءً بالحجة بن الحسن عليه السلام آخر إمام.

١. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٤١.

٢. سورة طه، الآية ٣٢.



قال علي عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء داءكم ونظم ما بينكم»، وهذا الإخبار لا يصدر إلا من كان شريكاً للقرآن.

٥- خليفة النبي ﷺ

ثم قال سعد: هذه أربعة وإن شئتما حدثتكما بخامسة: كنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما عاد نزل غدير ختم وأمر مناديه فنادى في الناس ثم قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من اخذله»^١.

فكان علي عليه السلام المثل الأعلى في جميع أبعاد العبادة، إذ قال في التوحيد: «ما كنت أعبد رباً لمرأه»^٢، وقال في المعاد: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^٣.
فإن كلام الإمام بإمكانه أن ينير للإنسان الطريق للوصول إلى حكمة العبادة.

بيان المقام الرفيع للإمام عليه السلام

قال الإمام المجتبي عليه السلام حول الإمامة والخلافة لمحمد بن الحنفية: «يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي وعند الله جل اسمه في الكتاب وراثته من النبي ﷺ أضافها الله عز وجل له في وراثته أبيه وأمه فعلم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمداً ﷺ واختار محمد علياً عليه السلام واختارني علي عليه السلام للإمامة واخترت أنا الحسين عليه السلام».

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٦.

٣. توحيد الصدوق، ص ٣٠٨، الباب ٤٣، ح ٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٣.

فقال له محمد بن علي: أنت إمام و أنت وسيلتي إلى محمد ﷺ و الله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإن في رأسي كلاماً... الحسين أعلمنا علماً و أثقلنا حليماً و أقربنا من رسول الله ﷺ رحماً، كان فقيهاً قبل أن يخلق و قرأ الوحي قبل أن ينطق...^١.

فظهر من هذا الكلام أن محمد بن الحنفية لم يكن له ادعاء في الإمامة. و قوله «كان فقيهاً قبل أن يخلق و قرأ الوحي قبل أن ينطق»، يُراد به أن الإمام كان يعلم الوحي و يقرؤه قبل التكلم، أو أن الإمام كان عالماً به قبل أن يتنزل الوحي إلى عالم النطق و يكتسي بكسوة العبارة.

فإن المعصومون (عليهم السلام) و من دون الدخول في المدارس البشرية يستقون علومهم مباشرة من خاتم الأنبياء ﷺ و بتعليم رباني و الناس بأسرهم ينهلون من ندير علومهم و معين معارفهم الوضاعة.

و قد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) في تبيان المقام الشامخ للإمامة أنه قال: «و هو بحيث النجم من أيدي المتتولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و أين العقول عن هذا»^٢ أي أن مقام الإمام لا تدركه العقول حتى تتمكن من اختياره فهو ليس كالآخرين حتى يعرفوه و يعينوه قائداً و خليفة فهو بمثابة النجم الذي لا تناله الأيدي.

لما توفي الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، قال سائر بن أبي حفصة لأصحابه: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) فأعزيه فدخلت عليه فعزيت ثم قلت: إنا لله و إنا إليه راجعون ذهب و الله من كان يقول: قال رسول

١. الكافي، ج ١، ص ٣٠٢.

٢. الأمالي و المجالس للصدوق، ص ٥٣٩، المجلس ٩٧.



الله ﷻ فلا يسأل عمن بينه وبين رسول الله ﷺ لا والله لا يرى مثله أبداً، قال: فسكت أبو عبد الله عليه السلام ساعة ثم قال: قال الله عز وجل: إن من عبادي من يتصدق بشق تمره فأربيها له فيها كما يربي أحدكم فلوه حتى أجعلها له مثل أحد، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما رأيت أعجب من هذا كنا نستعظم قول أبي جعفر عليه السلام قال رسول الله ﷻ بلا واسطة فقال لي أبو عبد الله عليه السلام قال الله عز وجل بلا واسطة^١.

ومعنى ذلك أن الله سبحانه يتوجه إلى أوليائه أي يُلقِي المعارف في قلوبهم، وليس هذا بالوحي التشريعي فإنه يختص بالنبي ولا ينزل على أحد بعد خاتم الأنبياء كي يأتي بفريضة أو سنة جديدة؛ وأما الإلهامات والإلقاءات والمعارف الحقة باعتبارها وجه الله فإنها تُلقَى في القلوب، ولذا يقول الإمام الصادق: «قال الله تعالى...».

الأئمة والمتخرجون من مدرستهم

لا يمكن الوصول إلى مقام الإمام ولكن يمكن الوصول إلى مقام تلامذتهم، فإنهم كانوا بشراً أمثالنا ونالوا هذه المرتبة ولربكونوا من الأئمة أو من أولاد الأئمة؛ بل هم أناس دخلوا في زمرة أولياء الله عبر السعي والجهد واكتساب المعارف. ولو كان هذا الطريق متعذراً لما صدر هذا الكم الهائل من الأمر بسلوكه والحث عليه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «نعم الشفيع أنا وأبي حمران بن أعين يوم القيامة نأخذ بيده ولا نزيله حتى ندخل الجنة جميعاً»^٢. وحمران بن أعين كان شاباً عادياً فاكتسب العلم وأصبح من العلماء ونال هذه المرتبة. فلا يقول أحد: يصعب الوصول إلى مقام الأولياء، وسيتضح في يوم القيامة أن الطريق كان مفتوحاً ولم نسلكه.

١. أمالي الشيخ المفيد، ص ٤٠٦، المجلس ٤٢، ح ٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٥١.

«ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم شوقاً إلى الثواب و خوفاً من العقاب»^١.

إنّ المجاهد الذي يُصاب في ساحة المعركة يشعر باللذة ولا يحسّ بضغطة خروج الروح، و أما المنافق أو الكافر إذا أصيب بجلطة فهو يشعر دوماً بضغطة نزوع روحه و شدتها، لأن الموت في لسان الدين يختلف عن الموت في لسان الطب، فالموت في الطب هو برود الجسد و في الدين هو الانتقال من الدنيا إلى البرزخ و كم تحلّ بمثل هذا الفرد من آلام و شدائد في طريقه إلى البرزخ.

و سئل الإمام الباقر عليه السلام عن شعور شهداء كربلاء أمام كل تلك النبال، فأجابهم بأن شعورهم أمام النبال و السيوف و الرماح و السهام كالضغطة بين إصبعين. فإن الروح إذا توجهت إلى شيء آخر لا تشعر بالألم، و إنّ من يتوجه إلى مولاه و يشفق إلى لقاء لا يشعر بالتعب و الجوع و العطش.

و قد ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة همام اشتياق المتقين للحلوق بذلك العالم. و كان أحياناً يأخذ بيد كميل بن زياد النخعي إلى خارج الكوفة و يتحدث إليه كهذا الحديث المعروف: «يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»^٢ من العلوم و المعارف.

و إن تلامذة الأئمة عليهم السلام لم يكونوا على درجة واحدة، و أهل البيت أيضاً لم يتعاملوا معهم على وتيرة واحدة، فكانوا يميّزون البعض بأجوبة سطحية و يجلسون مع البعض الآخر في جلسة خاصة و يفتحون أمامهم باباً من العلم و الحكمة، فانظر كم هناك فارق بينهما.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.



و روي عن أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي نصر البزنطي (أحد تلامذة الإمام الرضا عليه السلام المعروفين) أنه قال: بعث الرضا عليه السلام إليّ بحمار فركبته وأتيته فأقمت عنده بالليل إلى أن مضى منه ما شاء الله، فلما أراد أن ينهض، قال لي: لا أراك تقدر على الرجوع إلى المدينة، قلت: أجل جعلت فداك، قال: فبت عندنا الليلة و اغد على بركة الله عز وجل، قلت: أفعل جعلت فداك، قال: يا جارية افرشي له فراشي و اطرحي عليه ملحفتي التي أنام فيها و ضعي تحت رأسه مخدتي^١.

و يُروى أن الإمام أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين عليه السلام و فضة التي كانت خادمتهم و التي ترعرعت في أحضانهم صاموا العدة أيام. و السبب من نقل هذا الحدث التاريخي هو أن نعلم بأننا نستطيع الوصول إلى هذا المقام؛ لأن فضة كانت امرأة عادية و نالت هذا المقام، علماً بأن مقام أهل البيت عليه السلام أعلى و أسمى مما ورد في سورة «هل أتى»، و أن لهم حساب آخر. فإن هذا مقام الأبرار و هم قد نالوا مرتبة المقربين بل و أعلى من ذلك. و قد قال الله سبحانه في صيام هؤلاء: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^٢، و فضة أيضاً كانت حاضرة في الحادثة و شاركتهم في الإطعام، فيظهر أن هذا المقام متيسر لسائر الناس أيضاً. و كان كلامهم بآجمعهم عند إطعام المسكين و اليتيم و الأسير هو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^٣.

إذن فيتأتى لأي أحد نيل هذه المرتبة بواسطة تربية أهل البيت عليه السلام. و يمكننا على أقل التقادير أن نصل إلى مرحلة هذه الإمارة المترتبة و لا نقول بأن الطريق مغلق.

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٣٦.

٢. سورة الدهر، الآية ٨.

٣. سورة الدهر، الآية ٩.

فيصحّ قولنا أين نحن من أهل البيت، ولكن لا يصح أن نقول: أين نحن من تلامذة أهل البيت.

* * *

القسم العاشر:

الذكر وحكمته^١

ذكر الله

تتجلى عبادة الله في مظاهر مختلفة، ولها ظهور خاص في «الذكر»، بحيث أن ذكر الله سبحانه عُدَّ من أبرز مصاديق العبادة.

وينقسم ذكر الله كسائر أقسام العبادة إلى أنحاء متعددة، كالذكر العام والخاص، فالعام هو الذي لا يختص بموجود معين، بل يوجد في كلّ شيء، ومعنى ذلك أن جميع الأشياء تذكّر الله عز وجل، والخاص هو الذي يختص بنوع محدد من المخلوقات كالذكر المختص بالملائكة أو المختص بالإنسان.

وينقسم الذكر أيضاً إلى القلب والقالب، وهو الذي قد يُعبّر عنه بالذكر القلبي و الذكر اللساني، وهذا التقسيم لا يختص بالإنسان؛ فإن سائر المخلوقات المدركة أيضاً

١ . أضيف هذا القسم إلى الكتاب بعد إعادة تنظيمه وفرز أبحاثه وهو من الآثار المدونة لسباحته (مدّ ظله العالي) وله ميزة خاصة؛ وإنّ عمق أبحاثه وإتقانها نسبة إلى سائر أقسام الكتاب يحتاج إلى مزيد من الدقة وإمعان النظر.

تارة تفكر في الله فيكون ذلك هو الذكر القلبي لها وأخرى تذكره بلسانها الخاص فيكون هذا هو الذكر اللساني لها.

وقد يرد الذكر في قبال الغفلة والسهو والنسيان وأمثالها ويطلق عليه في مثل هذه الموارد بالتذكرة والتذكر وما شابه ذلك، وقد يستخدم في قبال الخمول والخمود ويعبر عنه حينئذ بالمشهور والمعروف والشهير وما إلى ذلك. وأحياناً يرد الذكر بالمعنى المصدري والوصفي كذكر الله وجريان اسمه على اللسان، وأخرى يرد بمعنى الشيء أو الفرد الذي يعدّ مصداقاً مُثَلاً أو مُجَسِّماً لذكر الله والذي يكون سبباً لذكره عز اسمه، وهو شهير ومدعاة لشهرة الآخرين، كما يطلق عنوان الذكر على القرآن أو على الرسول الأكرم ﷺ، فإن هذه المخلوقات النورانية ذكر ممتلئ ومجسم وفي الوقت نفسه سبب لإحياء ذكر الله على الألسن وفي القلوب، ودليل لشهرة المجتمع المتذكر لله.

الذكر اللساني

إن الذكر اللساني كما يرد في قبال الذكر القلبي يقع في مقابل الذكر الفعلي والعملي أيضاً، فإن الفعل الذي يُذكر بالله يُسمى ذكراً وإن تم إنجازه بواسطة اليد أو الرجل أو سائر الأعضاء؛ لأن ذكر الله لا يختص بالقلب، بل يشمل كلّ فعل يدلّ على ذكره سبحانه. فقد يُعدّ الصمت والسكوت ذكراً لله وذلك لا لكون الصمت مقترن بالفكر والتدبر والتأمل وهذه العناوين تعدّ ذكراً لله فيُطلق الذكر أيضاً على الصمت، إذ أن إطلاق الذكر على الصمت في هذه الحالة يكون من قبيل الوصف المتعلق بحال الموصوف لا نفس الموصوف؛ بل لكون الصمت والسكوت بنفسه أمراً لازماً وراجحاً، ففي الموضع الذي يكون التكلم فيه منشأ لنشوب الفتنة أو سبباً لسماع كلام الأجنبي الدخيل، يكون السكوت بحد ذاته ذكراً لله. كما أن الصمت إذا آل إلى التفكر

و التدبّر والاعتاظ و أمثال ذلك، يكون مصداقاً صحيحاً للذكر من حيث أنه وسيلة للتكامل و سبباً للتعالّي من باب المقدمة لا الأصل.

أقسام الذكر

إن للذكر من حيث قيمته و طبقته الوجودية أقساماً مختلفة؛ فتارة يُقيّم بلحاظ المذكور و في هذه الحالة يكون أكمل الذكر، ذكر العبد لله و اسمه الأعظم إذ لا مذكور أكمل من الله سبحانه. و أخرى يُقيّم بلحاظ الذاكر و في هذه الحالة أيضاً يكون أكمل الذكر، ذكر الله لعبده إذ لا يوجد ذاكر يضاهي الله سبحانه فهو كما أنه «خير مذكور» فهو «خير ذاكر» كذلك. و ثالثة يُقيّم بلحاظ كيفية الذكر من حيث الإخلاص و في هذه الحالة أيضاً يكون أكمل الذكر، ذكر الله لشيء معين أو فرد معلوم؛ لأن ذكر الله متصف بالحق و الصواب و منزّه عن كلّ شائبة، إذ لا يظهر من الحق المحض و محض الحق إلا و هو مصون من كل باطل و عدم الصواب. و تارة ينظر إلى كمية الذكر و في هذا الشأن أيضاً يكون الذكر الأفضل هو ذكر الله لشيء معلوم أو فرد معين.

فإن الله الذي هو شهود محض و محض الشهود منزّه عن السهو و الغفلة و النسيان و أمثالها و لا سبيل لو صمة النسيان و سمة السهو إلى حريم أمن كبريائه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^١. و بما أن كل العناوين الأربعة المذكورة و هي النظر إلى الذكر من حيث المذكور و الذاكر و كيفية الذكر و كميته و واردة في مظاهر أسماء الله و صفاته، فإن كلّ واحد منهم أيضاً إذا كان أكمل مقاماً في خلافته و أكثر تقرباً من الله سبحانه كان أكثر جدارة لذكره له سبحانه (من حيث المذكور) و ذكر الله له (من حيث الذاكر و كيفية الذكر و كميته).

١. سورة مريم، الآية ٦٤.

٢. سورة يونس، الآية ٦١.

وإن سائر العبادات الخاصة كالصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء وأمثالها وإن عدّت في محلها من الذكر وأنّ المعنى الجامع للذكر وحكمته العامة يشمل كل هذه الأمور المذكورة بيد أنّ عنوان الذكر في محله يُحسب عبادة خاصة وله أثره الخاص.

العناصر المحورية للذكر

إنّ العناصر المحورية للذكر هي التي أشرنا إليها بإجمال والتي تعود إلى تحليل حقيقة الذكر من حيث المبدأ الفاعلي والمبدأ الغائي والمبدأ القابلي، وإنّ سائر الأمور كالزمان الخاص والمكان المحدد، وطريقة القيام أو القعود، والحركة أو السكون، وبصورة فرادى أو مثلى، وبالجهر أو الإخفات أو الخمس، وباللغة العربية أو غيرها، وبعدد محدود أو قراءة خاصة، وكيفية وضع القرآن أمام الوجه أو على الرأس، مفتوحاً أو مسدوداً، والتوسل بمعصوم معين أو الاستشفاع بولي خاص، وطهارة الذكور ونزاهة ضميره وأمثالها، كلّ ذلك يعود إلى تتميم نصاب القابل، وإن حظيت كل واحدة من هذه الأمور منفصلة في المجامع الروائية بعناية أهل البيت العصمة والطهارة (عليه السلام)، وإنّ لكلّ ذكر أثر عبادي وسبب لتقرّب الذكور إلى الله المذكور، ولا ينبغي تبديل الأذكار الخاصة والمأثورة في الفرائض العبادية أو النوافل الخاصة فإنه لا يحصل الأثر المطلوب من تلك الفريضة أو النافلة من دون الذكر المأثور.

علماً بأنه قد يحصل لتعدّد المطلوب جانب من الهدف السامي بتبديل الذكر المأثور وإن يفقد جوانبه الأخرى وأحياناً ولو حدة المطلوب قد لا يبقى أي أثر من الآثار الخاصة لتلك العبادة المخصوصة الوارد فيها ذكر معين.

وإنّ ما قيل حول النوافل والمستحبات التي يبتني أساسها على تعدّد المطلوب يختص بجزء منها لا بجمعها؛ لأن بعض السنن الراجحة والنوافل المندوبة لا تحصل



من دون ذكر خاص على الإطلاق، وبالتالي لا يترتب عليها أي أثر، علماً بأن أثر مطلق الذكر وهو العبادة المطلقة حاصل. فعلى سبيل المثال لو بطلت صلاة العبد لعدم مراعاته بعض الأذكار الواجبة عمداً فإن أثرها الذي هو عبارة عن براءة ذمة المكلف من الأداء والقضاء لا يترتب على هذا العمل، ولكن يُثاب الإنسان على قراءة جزء من القرآن مثلاً.

جوهر الذكر والدعاء والسؤال

سبق وأن أشرنا إلى أن جوهر الذكر يختلف عن جوهر الدعاء والسؤال؛ فإن مطلق التوجه إلى الله ذكر وإن لم يقترن به خطاب أو إنشاء أو طلب، إذن فدعاء الله أو طلب شيء منه وإن كان مقروناً بالذكر بل وإنه ذكر في حد ذاته، بيد أن الذكر قد يتحقق من دون اقترانه بالدعاء أو الطلب اللذان يعد كل واحد منهما إنشاء خاص، و لذا يقع الأجر على الذكر وإن لم يكن هناك استجابة؛ لأن الذكر من حيث هو ذكر منحاز عن الدعاء وممتاز عن السؤال ولذا لا يقترن بالإجابة، وإن أمكن الذكر الخاص أن يقترن بقضاء حاجة خاصة أو حل مشكلة أو غفران سيئة أو زيادة حسنة، ولكن لم تودع أي واحدة من هذه الأمور وأمثالها في كنهه؛ فإن للذكر في قبال سائر العبادات الأخرى عنوان خاص، وإن السالك الذي أنس بعبادة خاصة واطب عليها ولم ينقص منها بالتغافل عنها وعُجنت في قلبه أكثر من سائر العبادات، سيتحلى بهذا المقام، ولذا فإن منزلة الذاكرين تختلف عن منازل سائر العابدين وهم يحافظون على مناداتهم ومناجاتهم الخاصة.

و المراد بالذكر القلبي المؤثر هو الذكر التصديقي والإيماني المستلزم لنسيان أو تناسي الباطل والمسبب كذلك للغفلة أو التغافل عن أي ضرب من الخطأ؛ وإلا فالذكر الخطوري والتصوري ينسجم أيضاً مع الاشتغال بالباطل والابتلاء بالخطأ؛ إذ

لا يمكن للمبدأ التصوري الصرف أن يكون له أثر من الردع والرفع والدفع، وإن كان قد يقع مقدمة للتصديق.

علماً بأن الأمر المؤثر هو التصديق الإيماني وهو الاعتقاد بنتيجة القضية والإيمان بعصارة ثبوت المحمول للموضوع، وإلا فإن التصديق العلمي الصرف الذي لا يحمل في مكنونه إلا عقد محمول القضية على الموضوع من دون عقد حاصل القضية في روح الإنسان العالم والتصديق بها عبر الإيمان، لا يكون له تأثير في رفع الخطأ ودفع الذنب، لأن المؤثر هو الإيمان لا العلم، وبعبارة أخرى: إن لم يصل العلم في العقل النظري إلى الإيمان في العقل العملي لا يكون منشأ للأثر.

و إن انفصال العلم عن العمل أمر ممكن بل متحقق؛ وذلك لتحقيق انفصال العلم عن الإيمان، وإن الذي يستنبط من الآية: ﴿وَجَعَلُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^١، و من الآية: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢، هو إمكانية فصل الإيمان عن العلم، أي أن العقل النظري لم يحل دونه مانع من معرفة الحق، بيد أن العقل العملي ولابتلائه بالشهوة والغضب وأمثال ذلك يشكل عليه الاعتقاد والإيمان به.

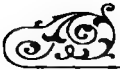
والآن حيث اتضحت بعض المبادئ التصورية والتصديقية لمسألة الذكر، نسترعي انتباه الذاكرين والمتذكرين وأهل الذكر لبعض النقاط التي نستعرضها خلال فصول عدة:

الفصل الأول: الذكر والعقل النظري والعملي

إن ذكر الله وذكر أسمائه الحسنی ومظاهره، تظهر في العقل النظري بوصفها فكر

١. سورة النمل، الآية ١٤.

٢. سورة الإسراء، الآية ١٠٢.



إلهي و تتجلى في العقل العملي كذلك بوصفها اتجاه ديني؛ لأن معرفة الله و محبته و علمه و التخلق بأخلاقه و امتثال أوامره و اجتناب نواهيه كلها ذكره سبحانه، إذ كل ما يؤدي إلى حضور الله و أسماؤه و صفاته فهو ذكر لله و لكل من الجوانب العلمية و العملية أيضاً دور في هذا الشأن.

و لذا فإنّ عنوان الذكر يعتبر القاسم المشترك لجناحي العلم و العمل، وإنّ الأمر بكثرة الذكر في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، يمكن إعادة النظر فيه و امتثاله بدوام الاشتغال بالعلوم الإلهية، أو يمكن إطاعته بالمواظبة على تحصيل الأخلاق أو الاشتغال بالأعمال الدينية، كالامتثال بتوزيع الوقت و اختصاص جزء منه لاكتساب المعارف الدينية و الجزء الآخر منه لتحصيل الملكات الأخلاقية و الفضائل العملية، و كذا يمكن اعتبار الآيات التي تتصدى للتعريف بالذاكرين لله كثيراً أو لمدحهم أو لبيان أجرهم شاملة لهذه الطوائف الثلاث، أي الطائفة التي تصرف جلّ وقتها بإخلاص لاكتساب العلوم الدينية و الطائفة التي تصرف معظم وقتها لتحصيل الملكات الأخلاقية و الطائفة التي توزّع وقتها بين اكتساب العلوم الدينية و بين تحصيل الملكات الأخلاقية و الأعمال العبادية، و كلها تعدّ مصداقاً للآيات المذكورة.

و الحاصل أنه يمكن القول بالتوسّع في الإنشاء و الإخبار و اعتبار جميع الطوائف المذكورة داخلة في زمرة الذاكرين كثيراً و مصداق لممثلي الأمر بكثرة الذكر (ففي أحدهما يأتي بالإخبار و هو «الوصف» و في الأخرى بالإنشاء و هو «الأمر»). و في هذا المجال، قال المرحوم المولى محمد تقى المجلسي (المجلسي الأول) في شرح من لا يحضره الفقيه بعد نقل رواية عن الرسول الأكرم ﷺ: «ارتعوا في رياض الجنة»، فقليل



له ﷺ وما رياض الجنة؟ فقال: «خلق الذكر»: «و المتعارف في ذلك خلق الدرس و التعظيم و قيل خلق المواعظ، فإن التذكر فيه أكثر و التعميم أولى لكن إذا كان مذكراً لله^١، ثم تعرض لحسن الاستماع و الإقبال على الدرس و ذكر شعراً بالفارسية و ترجمته:

هذا الكلام كاللبن في نهد الروح و أناله الخروج دونها امتصاص^٢
حيث شبه إقبال المستمع و حضور و ظهور استعداداته المتألق و المتعطش
كامتصاص اللبن الذي ينبع من قبل المعلم و الأستاذ المربي. و لتأمين مثل هذه الكثرة
المحمودة و المدوحة لا مناص للسالك الذاكر من إخضاع كل قواه المدركة
كالإحساس و الخيال و الوهم تحت قيادة العقل النظري و جميع قواه المحركة كالجذب
و الدفع و الشهوة و الغضب و الإرادة و الكراهة و المحبة و العداوة و بالتالي التولي و
التبري تحت سيطرة خاصة للعقل العملي، لتسير آراؤه العلمية و اتجاهاته العملية باسم
الله و ذكره، فيكون مثل هذا السالك دائم الذكر، و كل دائم الذكر دائم الصلاة، و كل
دائم الصلاة لا يكون هلوياً و جزوعاً و منوعاً^٣، و سيأتي توضيح دائم الذكر و دائم
الصلاة و أن الأخير مصون من هذه الأوصاف في محله.

و الحاصل أن القوى العلمية و العملية للسالك الذاكر تنظم أفكارها و جهودها
بإمامة العقل، و في هذه الحالة ستكون إمامة عقل الذاكر و قيادة العاقلة التي يتم
تصديقها و تكذيبها و توليها و تبريها بواسطة ذكر الله سبحانه، بمثابة ديباب روح
الذكر إلى جميع أبدان القوى التي تحت إمرتها، و حينئذ تكون كل القوى العلمية و

١. روضة المتقين، ج ٥، ص ٥١٢.

٢. روضة المتقين، ج ٥، ص ٥١٣، و إليكم نص البيت بالفارسية:

این سخن شیر است در پستان جان بی کشتند شیر کی آید برون

٣. سورة المعارج، الآية ١٩ - ٢٣.



العملية للسالك الذكر بمنزلة أمة واحدة بزعامة إمام فارد وذاكر و عندها سيكون بنائها المرصوص مصنوعاً من الجهل العلمي و الجهالة العملية. علماً بأن المقام السامي للسالك الذكر الجامع بين العلم الصائب و العمل الصالح سيكون مصدراً لظهور العقل النظري و حضور العقل العملي، و تكون هذه المرتبة الرفيعة أولاً ضامنة لانضمام العقلين المذكورين و ثانياً يتولى كل واحد من هذين العقلين إمامة الذي تحت إمرته؛ أي أن قمة هرم الإنسان السالك الذكر في الواقع هي نفس مقام جمع الجمع الذي يمثل مرحلة حياته المتألهة؛ لأن تلك الحقيقة الجامعة أضحت إمام الأئمة التي يقتدي بها جميع الشؤون السامية للنفس الإنسانية، و عندها تصل القوى السفلى بإمامة سائر القوى البارزة و عبر التوسل و الاستشفاع بها إلى المقام الرفيع للحياة الإنسانية و إن كانت هي مظهراً لله الداني في علوه و البعيد في قربيه؛ «الحمد لله... الذي بعد فلا يرى و قرب فشهد النجوى»^١، و «الداني في علوه و العالي في دنوه»^٢، و بما أن السالك الذكر خليفة لله و الخليفة مظهر و آية للمستخلف عنه و المستخلف عنه واجد لمقام جمع الجمع و إمام للشؤون التي تحت إمرته، لا مناص من أن يكون الخليفة مثله أيضاً.

الفصل الثاني: الذكر حياة

إن ذكر الله و ذكر أسمائه الحسنی و صفاته العليا بمنزلة نفخ الروح التي تهب الحياة و مصداقها التام نفخة المسيح عيسى عليه السلام التي آلت إلى إحياء الطير و غيره من الأموات بإذن الله، فللعنصر الحيّ أثر سواء أكان علماً أو عملاً و الميت لا أثر له، بل و له أثر سيء متعفن، فالفكر الميت أو العمل الميت لا أثر له سوى الضرر، و من هذا

١ . دعاء الافتتاح.

٢ . الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.



الباب ما ورد في بعض الروايات: «كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتى»^١.
و كذا فإن ما ورد في خصوص الذبح أو النحر أو صيد الحيوان البري سواء كان
من المواشي أو من الطيور من وجوب التسمية حين الذبح أو رمي السهم أو إرسال
الحيوان للاصطياد ليُذَكَّى الحيوان المذبوح أو المنحور أو المصطاد ويمكن أكله ويخرج
عن كونه ميتة وإن كان من الناحية الفقهية أمر تعبدي سوى أن لحكمته من حيث
المعنى و الباطن ظهور في جميع شؤون الإنسان العلمية و العملية، و معنى ذلك أن كل
عمل لم يذكر اسم الله عليه كان ميتة متعفنة و يظهر الأثر السيئ لهذا التعفن في زمن
معين.

و زبدة القول أنه من خلال دراسة أسرار الآيات القرآنية، مثل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^٢، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾^٣، ﴿فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^٤، التي تجتمع على قاسم مشترك بينها و هو أنه
إذا لم يكن الذابح موحداً أو لم يذكر اسم الله عامداً كان الحيوان ميتة لا يحل أكله و إن
كان حجلاً أو قطاة أو غزالاً، يتضح أن اسم الله و ذكره بمثابة نفخة المسيح التي هي
خليفة نفخة الله و تجلت في قوله: ﴿وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^٥ الضامنة لإيجاد الحياة،
و كل عمل لا يظهر فيه اسم الله و ذكره فهو و إن كان في صحراء الخيال يتبختر
كالغزال بيد أنه في وادي الحقيقة و العقل الواعي ميتة ليس إلا.

فالعالم التارك للعمل و العاقل المتهتك و المفكر البعيد عن الفلاح و الصلاح و

١ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٧٠، ح ٤.

٢ . سورة الأنعام، الآية ١٢١.

٣ . سورة الحج، الآية ٣٦.

٤ . سورة المائدة، الآية ٤.

٥ . سورة الحجر، الآية ٢٩.



النجاح أيضاً هو ميتة متحركة، كما أن التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يقيم معروفاً ولا ينكر منكراً بلسانه ويده وقلبه فهو حي في الظاهر وميت في الباطن كما قال عنهم علي بن أبي طالب عليه السلام: «وذلك ميت الأحياء»^١.

ملاحظة، الاختصار على الذكر المأثور

لا يراد بذكر الله خصوص كلمة بسم الله...، بل كل اسم من أسماء الله الحسنى سواء كان على وجه التسمية (بسم الله...) أو التهليل (لا إله إلا الله) أو التكبير (الله أكبر) أو التسبيح (سبحان الله) أو التحميد (الحمد لله) وأمثالها يكفي في حلية الحيوان المذبح أو المنحور أو المصطاد كما يؤثر في صيانة الجهد العلمي أو العملي من أن يكون ميتة. علماً بأنه لو ورد هناك أمر خاص بذكر معين كما في الصلاة لابد من امثال وقراءة نفس ذلك الذكر المنصوص والمأثور، وسنبحث مسألة وجوب الاختصار على الذكر المأثور في فصل خاص.

الفصل الثالث: مراتب الذكر ودرجات الذاكر

ذكرنا في طليعة بحث الذكر بأن هناك مراتب للذكر ودرجات للذاكر وكلها مطلوبة بيد أن المرتبة العالية لها هي الهدف السامي للسالك الذاكر ليصل عبر طيِّ المراحل السفلى إلى أوج الدرجة العليا. وأحياناً يكون الذكر ناظراً إلى نعمة الله وأخرى إلى اسم الله وثالثة إلى الله نفسه، مثل: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^٢، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^٣ والنعمة أعم من المادية والمعنوية، و

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤.

٢. سورة الأعراف، الآية ٦٩.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٩.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^١، ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^٢، ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^٣، فالكلام في هذه المواضع عن ذكر اسم الله سواء كان اسمه الأعظم أم غيره وتحديد ذلك على عهدة السالك الذائر كما أن اختيار النعمة في الذكر أيضاً منوط بدرجة الذائر.

علماً بأن الجمع بين المواهب المادية والعطايا المعنوية كمال مطلوب، كما أن تحديد الاسم الأعظم الحاوي للأسماء العظيمة هدف عال. وكذلك الذكر في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٤، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾^٥، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾^٦، و نظائرها هو ذكر «الله» لا ذكر نعمته أو ذكر اسمه وإن كان عنوان «الله» اسماً من أسماء الله الحسنی، وبما أن مقام الهوية المطلقة في السير الشهودي الذي لا يمكن أن يُعبر عنه بالمقام والمرحلة وما شابه ذلك أعلى من عنوان الله، تكون الآيات الدالة على ذكر تلك الهوية أعلى وأسمى من سائر الآيات كما في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^٧، ولما يرد مثل هذا التعبير في القرآن الكريم وهو مساوق للآية الأخيرة من سورة «الفجر» المباركة التي يقع صاحب النفس المطمئنة فيها بعد إحراز مقام الرضا من قبله على جميع مراحل القضاء والقدر ورضا الله عنه مُحاطباً بمضمونها ليرجع إليها بعناية الهوية

١. سورة الأعلى، الآية ١٤ - ١٥.

٢. سورة المزمل، الآية ٨.

٣. سورة الإنسان، الآية ٢٥.

٤. سورة الأنفال، الآية ٤٥.

٥. سورة آل عمران، الآية ١٩١.

٦. سورة النساء، الآية ١٠٣.

٧. سورة البقرة، الآية ١٥٢.



المطلقة ويدخل في زمرة عباد تلك المرحلة السامية - التي يُعبّر عنها بالمرحلة مجازاً - و يدخل في جنته الخاصة التي هي أسمى من كل جنة متصورة: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِمِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً * فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^١. علماً بأن الآيات التي تتحدث عن الهوية المطلقة في القرآن الكريم نادرة للغاية.

و الحاصل أن جميع مراحل الذكر الأربع المشار إليها باعتبار درجات المذكور، و إن كانت محمودة و ممدوحة سوى أن المرحلة الأدنى تعدّ سلماً للمرحلة الأعلى و الهدف الأسمى لمراحل الذكر هو ذكر الهوية المطلقة.

ملاحظة، اختلاف الخطاب في اختلاف المخاطب

بعد الإشارة إلى مراحل الذكر، نقول بأنه قد تكون دَعَوَات القرآن الكريم من مختلف الأشخاص و المخاطبين إلى الذكر ناظرة إلى هذه المراتب المختلفة. و توضيح ذلك أن جميع الأشياء و الأشخاص في عالم الإمكان صادرة من الله و لكنها ليست الصادر الأول بأسرها، كما أنها بأجمعها صائرة و راجعة إلى الله و لكنها ليست متجهة إليها و لا تصل كلها إلى مقام ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٢، و لا إلى مرحلة ﴿وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾^٣.

كما و أن الكل مأمور بذكر الله و لكن لا يُخاطب الجميع بذكر الهوية المطلقة ليزكروه من دون حجاب التعين. فإن علامة اختلاف الخطابات يمكن استنباطها من اختلاف عناوين المخاطب؛ لأن البعض يُخاطبون بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، و البعض الآخر بـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، و عدة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، و جمع بـ ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، و

١. سورة الفجر، الآية ٢٧ - ٣٠.

٢. سورة النجم، الآية ٨ - ٩.

٣. سورة النجم، الآية ٤٢.

﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وزمرة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾، وبالتالي يتوجّه الخطاب الوحيد و التوجه الفريد لله الأحد إلى أولي العزم من الأنبياء والمرسلين لينتهي عبر ذلك إلى الخطاب الأوحد لعالم الإمكان وهو التوجه إلى مقام خاتم الأنبياء الذي يفوق الأنبياء والمرسلين بل وخصوص أولي العزم منهم في الفضل والعلو والنبل والجمال والجلال. علماً بأن المقصود من حصر الخطاب وقصر التوجه هو أن المخاطب محبوب وإلا فلا يوجد حجاب بين المتكلم وبين أي موجود آخر.

تنبيه، مراتب المذكور الأربعة للذاكر

تارة تكون رحمة الله الخاصة مذكورة و السالك الذاكِر يتجه بذكره إلى خصوص رحمة الله، و أخرى تكون رحمة الله الخاصة هي الذاكِر و المذكور لها هو العبد الخاص. و الحاصل أن المراحل الأربع التي مرّ ذكرها بالنظر إلى المذكور قد يتأتى تحليلها بالنظر إلى الذاكِر أيضاً كما في الآية الثانية من سورة «مريم» حيث جاء فيها: ﴿ذُكِّرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾، حيث تعلق ذكر رحمة الله الخاصة بذكرها ^{عليه السلام} و وقع ذكرها ^{عليه السلام} مذكوراً و منظوراً و مرحوماً لهذه الرحمة الخاصة.

ومن هذا المنطلق، يمكن استنباط أمرين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أحدهما هو أن الله أكبر من حيث المذكور والآخر أنه أكبر من حيث الذاكر، أي أن الله إذا ذكر عبده كان ذكره أكبر من ذكر عبده له حين يكون مذكوراً، علماً بأن معناها الأدق هو أن ذكر الله أكبر من أن يوصف، لا أن ذكر العبد لله كبير و ذكر الله له أكبر، ففي جنب «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء» لا يكون السالك الذاكر فيثاً فضلاً عن أن يكون ظلاً أو شيئاً، وعلى أيّ حال لا بأس من



إرادة كل هذه المعاني من الآية الكريمة المذكورة إذ يمكن استعمال اللفظ في أكثر من معنى ولا يوجد في ذلك إعضال يطرح لدى أصحاب البصر.

ملاحظة، نصوص التكبير

بما أن معرفة الموحدين لله سبحانه متفاوتة، فإن النصوص الواردة في التكبير مختلفة أيضاً، حيث ورد في بعضها: «الله أكبر من أن يوصف»^١، وفي بعضها الآخر: «الله أكبر من خلقه»، وفي أحاديث كثيرة: «الله أكبر من كل شيء»^٢، وإن ما ورد في القسم الأول من النصوص في غاية السداد والإتقان ولكنه متفاوت كذلك، حيث روي أنه قال رجل عند أبي عبد الله عليه السلام: الله أكبر، فقال عليه السلام: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددته، فقال الرجل: كيف أقول؟ فقال: قل الله أكبر من أن يوصف، وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وكان ثم شيء فيكون أكبر منه»^٣ أي هل يوجد شيء حتى يكون الله أكبر منه؟.

الفصل الرابع: مراتب ذكر الله

إن واحدة من العناوين التي طُرحت في بداية بحث الذكر هي أن لذكر الله بالنظر إلى نية الذاكر و الهدف المكنون في سريره مراتب؛ فإن ذكر الله كسائر العبادات الدينية تارة يكون خوفاً من النار وأخرى يكون طمعاً في الجنة وثالثة يكون شكراً للنعمة وحباً لله البعيد عن أي ضرب من ضروب الخوف والطمع.

وقد ذكرنا بأنه ما دام أصل الإخلاص و عنوان عبودية الذاكر و مولوية المذكور

١ . بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٥٤.

٢ . بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢١٨.

٣ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٩١.

محفوظة ولم تتبدل إلى تعامل طرفين متقابلين متناظرين فإن أصل العبادة صحيحة يترتب عليها الأثر المطلوب، ولكن لا بد من الالتفات إلى أن المرحلة الأدنى تعتبر سلماً لرقى السالك الذاكر حتى يرقى من مرتبة الذكر خوفاً وطمعاً إلى مرحلة الذكر حباً وشكراً وفي الواقع إلى مرتبة الذكر حرّاً لأنها خاصة بعبادة الأحرار. فإن الأذكار المأثورة أو المجربة للنجاة من بعض ضروب البلاء والعداء أو للوصول إلى بعض أصناف الراحة والألفة لم تكن خارجة من دائرة الخوف والرجاء بيد أن الذكر الذي يكون لشهود الجمال المحض والجلال الصرف والذي يكون للقاء البهاء المحض والنور الصرف الإلهي يفوق نطاق الخوف والطمع ويعبّد الطريق لنيل المقام الذي لا يبقى فيه أثر للذاكر والذكر ولا يُلحظ فيه إلا المذكور حتى يتخلص من لوث التثليث (الذكر والذاكر والمذكور) وينجو من روث و فرث الثنية (الذاكر والمذكور أو الذكر والمذكور) ويصل إلى اللبن الخالص والنفيس للمذكور وهو التوحيد الأصيل.

ملاحظة، ذكر الذاكر محفوف بذكرين من الله

إن ذكر السالك الذاكر لنعمة الله يتسبب ذكر نعمة الله له كما أن ذكر العبد لله يؤدي إلى ذكر الله له أيضاً: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، ولكن كل ذكر يصدر من قبل العبد يكون محفوفاً بذكرين من قبل الله كما أن توبة العبد محفوفة بتوبتين من قبل المولى؛ فإن الله أولاً يهب للعبد توفيق ذكره وهذه الإفاضة في حد ذاتها تعدّ ذكراً لله بالنسبة إلى عبده، ثم يُوفّق العبد لذكر الله، فيذكره الله ثانية قبولاً لذكره ويحفّه بعنايته.

وهذه المسألة لطالما ذُكرت في بيان و بنان أصحاب النظر الصائب وأرباب البصر الثاقب أمثال العلامة الطباطبائي رحمته الله في أن توبة العبد محفوفة بتوبتين من قبل المولى



بالاستناد إلى الآيات القرآنية^١.

بيد أن الذي نطرحه في هذه الوجيزة هو أن السالك الذكر سواء أكان ذاكرةً لله أو مذكوراً من قبل الله فهو في حال الذكر؛ لأن تلقي فيض ذكر الله من العبد و تلقى ذكر الحق للعبد مقرون في نفسه بالحضور والظهور الإلهي وهذا الحضور ذكر وإن لم يكن على هيئة الذكر في الظاهر، والشاهد على ذلك هو أن وظيفة السالك حين الاستماع إلى قراءة القرآن المجيد هو الإنصات: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^٢، وبما أن هذا الإنصات والاستماع بأمر من الله سبحانه، فإن مثل هذا السكوت ذكر لله أيضاً وإن لم يقترن بالذكر اللساني. وعلى هذا تكون قراءة الآيات الإلهية و تلقىها بالإنصات والاستماع كلاهما ذكر؛ أي أن الكلام ذكر والاستماع ذكر كذلك، فمن تأهل على أثر ذكر الله أن يكون مذكوراً له أيضاً وذكره الله سبحانه فقد اجتمعت على الحتم في سريرة نفسه وسويداء قلبه حالة الاستماع والإنصات وتلقى حالة الذكر لله وتكون نفس هذه الحالة من الاستماع والإنصات والتلقي والانتظار ذكر لله والاستناد إلى هذا الأساس الرصين: «ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً و كرمًا»^٣، سيؤول نفس هذا الذكر المتسم بالتلقي إلى ذكر الله ثانية وعندها يكون مثل هذا السالك الذكر الجامع دائم الذكر وبالتالي دائم الصلاة: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾^٤.

السكوت الإيجابي والسكوت السلبي

من خلال ما ذكرنا تتضح ميزة السكوت الإيجابي على السكوت السلبي؛ لأن

١. الميزان، ج ١، ص ١٣٣.

٢. سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

٣. دعاء الافتتاح.

٤. سورة الرعد، الآية ٢٩.

السكوت المنصت و المستمع و المتحرك في قبال قراءة الكتاب التدويني من أجل سماع النداء الإلهي بسمع الرأس، ذكر في ذاته و السكوت المخاطب و المنتظر و الباحث في قبال قراءة الكتاب التكويني من أجل سماع صوت تسبيح الملائكة و سائر المخلوقات في عالم الوجود بسمع القلب، ذكر و فكر و شكر لله أيضاً و أما السكوت الساكن و الراكد و الواقف فلا يكون له أثر إيجابي سوى السهو و الدھول و النسيان.

تنبيه: يتضح مما مرّ أنّ ذكر الله بمعناه الشامل يكون معقولاً و موهوماً و متخيلاً و محسوساً، و في نشأة الحسّ أيضاً مشهود و مسموع؛ و على هذا فإنّ الآيات التالية: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾^١، ﴿وَمَنْ يَغْفُشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾^٢، و أمثالها الشاملة للحسّ الظاهر و الباطن تكون معقولة و مقبولة من دون تصرف و حمل على المجاز.

الفصل الخامس: آثار ذكر الله

إن لذكر الله آثار إيجابية كثيرة نشير إلى جانب منها.

بما أن بين الذكر و الذاكر هناك اتحاد وجودي و ذكر الله مقرون بحضوره، لذلك يجد الذاكر نفسه في مشهد الله و يصيبه من كمال قرب و حضوره حظّ وافر فيحترز إثر الحياء عن كثير من الأفكار الشريرة و الأخلاق الذميمة و الأعمال السيئة: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^٣، و يتغلّب في جهاده على شيطان الباطن و الظاهر الذي يدعوه إلى الهوى و يفتح أمامه باب الأنا بحيث أنه يصون نفسه عادلاً لدفع خطر اقتراف الذنب، و يسعى تائباً و منيباً لرفع المحذور المرتكب و الذنب المقترف: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾*

١. سورة الكهف، الآية ١٠١.

٢. سورة الزخرف، الآية ٣٦.

٣. سورة العلق، الآية ١٤.



وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ۝٢، فقد تكون الآية الأولى بصدد بيان مسألة دفع الذنب كما أن الثانية تكفي لتحليل مسألة رفع الذنب عبر التوبة والإنابة في ظل ذكر الله.

وبما أن الشيطان المؤدي إلى النسيان و المسبب للسهو عن الحق و الذهول عن الصدق يُرجم بذكر الله، فيكون ذكر الله سبحانه مقروناً بأحد أثرين إيجابيين: أحدهما أنه يسدّ باب السهو و الغفلة و في الاصطلاح يتم من خلاله دفع الخطر، و الآخر أنه يستبدل النسيان الحاصل بواسطة التوجّه و الالتفات و في الاصطلاح يتحقق بواسطة رفع الخطر: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾^٣، ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٤، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^٥، ﴿اسْتَخَوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^٦، حيث عُرِف الشيطان في مثل هذه الآيات بأنه هو الباعث على النسيان، و آية: ﴿وَ أَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^٧ تدل على أن ذكر الله يسبب دفع النسيان و رفع الخطر.

ثم إن الشيطان لا يفتر عن التعدي على الإنسان مطلقاً لأنه عدو مبين ولا يتوقع من العدو المبين سوى التعدي والتجاوز الدائم ومن هنا فلا بد من أن يستمر عامل

١. سورة الأعلى، الآية ١٤ - ١٥.

٢ . سورة آل عمران، الآية ١٣٥ .

٣. سورة الكهف، الآية ٦٣.

٤ . سورة الأنعام، الآية ٦٨ .

٥. سورة المائدة، الآية ٩١.

٦. سورة المجادلة، الآية ١٩.

٧. سورة الكهف، الآية ٢٤.

دفعه أو رفعه، ولذا أمرنا بالذكر الكثير سواء بصورة عامة، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^١، أو بصورة خاصة، مثل: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾^٢، حيث أمر الله ذكرنا ﷺ بالخصوص بذكره كثيراً، وإن سائر الناس أيضاً مأمورون بالتأسي و الاقتداء بالهداية التي يتمتع بها أنبياء الله وأوليائه، إلا إذا أقيم دليل على اختصاص هذا الحكم، وفي مسألة الذكر الكثير لم يرد دليل على الاختصاص بل ورد دليل على التعميم.

أثر الإخلاص الخالص

إن للدوام على الذكر الإلهي تأثير كبير، غير أن أثر الإخلاص الخالص يفوق أثر كثرة الذكر، بل إن الذكر الخالص في الحقيقة هو نفس الذكر الكثير و الذكر العاري من الإخلاص ذكر قليل و إن كان كثيراً في الكمية، فقد روي في تفسير الآية: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤْنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٣ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و لا يذكرونه في السر»^٤.

و عصارة هذا الحديث النوراني هو أن الدنيا متاع قليل و أهل النفاق يذكرون من أجل الدنيا التي هي رأس كل خطيئة لا للخلاص منها، لذا يكون ذكرهم قليلاً في الواقع و إن كان كثيراً في الكمية.

فإن الذكر كالسهم المرمي به صوب القلب الأسود لجيش الشيطان و عند هجوم

١ . سورة الأحزاب، الآية ٤١.

٢ . سورة آل عمران، الآية ٤١.

٣ . سورة النساء، الآية ١٤٢.

٤ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٦٤، ح ٣.



العدو من الخارج و تحامل الشيطان و مطالبة النفس الأمارة و تواب النفس المسولة من الداخل، لابد من الاستنصار بكثرة ذكر الله و الاستغاثة به كما ورد في الجهاد الأصفر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١.

و بما أن أمر الله قد تعلق بكثرة الذكر و الامتثال الصرف لهذا الأمر نافع في حد ذاته، فقد وصف الله سبحانه الناجين و نعت المتقين بالذكر الكثير قائلاً: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٢، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٣، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^٤.

ملاحظة: أثر ذكر مظاهر الله و آياته

إن لذكر مظاهر الله و آياته الخاصة دور هام في الغلبة على عدو الباطن أو الظاهر، و من هنا أمر الله نبيه الأكرم ﷺ للفوز و النجاح بذكر الأنبياء السالفين الذين يعدّ كل واحد منهم مظهراً لاسم من أسماء الله الحسنی و ذكر ستهم و سيرتهم و سريرتهم: ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^٥، ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^٦، ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ

١. سورة الأنفال، الآية ٤٥.

٢. سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

٤. سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

٥. سورة مريم، الآية ٤١.

٦. سورة مريم، الآية ٥١.

صَادِقَ الْوَعْدِ^١، ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^٢، حيث أمر الله نبيه في هذه الآيات ونظائرها التي تكرر ذكرها كثيراً في القرآن الكريم بذكر الأنبياء والأولياء الماضين فإنه مدعاة لإيجاد القوة والعزم في إيفاء عهد الرسالة، كما أن لأصل ذكر الله والإخلاص فيه والاستمرار عليه دور مؤثر في الغلبة على الطغاة، ولذا قال الله سبحانه لموسى وهارون **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** حين الذهاب إلى فرعون و بطانته لدعوتهم: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾^٣.

و كان قد اعتبر موسى الكليم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الذكر الكثير أحد أهم الأهداف لطلب إشراك أخيه هارون **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وجعله وزيراً له: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾^٤، وإن التأثير الهام لذكر الله أدى إلى أن الله تارة يأمر بالتزام القوة، مثل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^٥، ﴿يَا نَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^٦، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^٧، وأخرى ينهى عن الوني والضعف كما في الآية المتقدمة: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾^٨.

وللاستمداد من هذه القوة الغيبية وهي الاستعانة بذكر الله والتوجه إلى مظاهر ظهور قدرته وحضور قوته، أمر موسى الكليم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بأن يُذكر أمته بأيام تجلي قدرة الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ

١ . سورة مريم، الآية ٥٤ .

٢ . سورة مريم، الآية ٥٦ .

٣ . سورة طه، الآية ٤٢ .

٤ . سورة طه، الآية ٣٢ - ٣٤ .

٥ . سورة البقرة، الآية ٦٣ .

٦ . سورة مريم، الآية ١٢ .

٧ . سورة الأنفال، الآية ٦٠ .

٨ . سورة طه، الآية ٤٢ .



بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ^١.

فكل مرحلة يتجلى فيها فيض الله الغيبي، وتظهر فيها زاوية من أسرار العالم الخفية، ويُشاهد فيها جانب من الحقائق المستورة، تعدّ تلك المرحلة بحسبها يوماً من أيام الله الخاصة؛ وإن طبّقت هذه الآية على مسألة ظهور بقية الله ﷺ والرجعة والقيامة فهو من باب التمثيل وبيان المثال لا التبيين والحصر في المصاديق المذكورة.

خطر نسيان الله

يتضح مما مضى أن خطر نسيان الله والغفلة عن ذكره إنما يتم عبر الانكسار أمام تسويل عدوّ الباطن والظاهر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^٢، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^٣.

و من خلال التحليل العقلي لأثار نسيان الله السلبية والغفلة عن ذكره، يظهر أن الله سبحانه لم يعد خالق الإنسان و فاعله فحسب، بل هو مقوم هويته الربطية و قيوم لشخصيته الحرفية، بحيث أن معرفته لا تتيسر من دون معرفة قيمه و هو الله؛ إذ لا يمكن معرفة المعنى الربطي و الحرفي من دون معرفة معنى الذاتي و المستقل و هو الله، و بنسيان ذلك المقوم و الغفلة عن ذلك القيم، تُنسى هوية نفس الإنسان أيضاً، و نسيان المرء هويته يؤول إلى عدم الشعور بتأناً بتناول الناهيين لهوية وجوده و لعدم إحساسه بالخطر لا يقوم بأيّ عمل يصدّه العدو المهاجم، و بالتالي تقع جميع شؤونه المدركة و المحركة في أسر الشيطان فيُحقّق الرغبات الناجمة من الطبيعة الفتاكة لذلك

١. سورة إبراهيم، الآية ٥.

٢. سورة طه، الآية ١٢٤.

٣. سورة النجم، الآية ٢٩.

الأمير الشرير والحاكم الظالم، ويعرف الأشياء من خلاله ويعمل على ضوء ذلك فيقلب المعروف عنده منكراً والمنكر معروفاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١.

وقال البعض: إن نسبة الحديث المعروف «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^٢، مع الآية المذكورة هي نسبة أصل القضية مع عكس نقيضها، أي أن معرفة الله إن كانت ناشئة من معرفة النفس، يكون نسيان الله وعدم معرفته أيضاً ناجم من نسيان النفس وعدم معرفتها.

وعلى أي حال، فإن ذكر الله يوجب ذكر الهوية وتكاملها، ونسيان الله يُسبب نسيان الهوية وتركها في متناول المهاجمين والمجحفين والمتجانفين، وفي مثل هذه الحالة لا يبقى أثر للهوية الإنسانية، فيحلّ الآخر محلها ويفرض عليها جميع أمانيته وأغراضه وغرائزه النفسانية والشیطانية بوصفها حضارة وسعادة وكمالاً.

الفصل السادس: أفضل ذاكراً ومذكوراً

بما أن ذكر الحق كمال وجودي وكل كمال وجودي ثابت لله بالنحو الأتم والأكمل، تكون لله سبحانه وتعالى أتم مراتب ذكر الحق، وقد ثبت في بيان مبادئ بحث الذكر أن الله سبحانه جامع لكل المراتب من حيث الذكر والذاكر والمذكور وكذا من حيث الخلوص والاستدامة وسائر الجهات الدخيلة في كمال الذكر، ولذا ورد في الأدعية الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام أن الله هو أفضل ذاكراً وأفضل مذكوراً ويعرض نماذج منها في دعاء «الجوشن الكبير»، ثم يُتبيّن ما ورد في «المناجاة الشعبانية» و«مناجاة الذاكرين» و«دعاء كميل»، من طلب كيفية الذكر وكميته من الله سبحانه.

١. سورة الحشر، الآية ١٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢.



فقد ورد في دعاء الجوشن الكبير عن الإمام السجاد عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام عن النبي الأعظم ﷺ عن جبرائيل الأمين عليه السلام:

١- يا خير الذاكرين ٢- يا خير المذكورين ٣- يا من ذكره حلو ٤- يا من له ذكر لا يُنسى ٥- يا من ذكره شرف للذاكرين ٦- يا أعزّ مذكور ذُكر ٧- يا خير ذاكر و مذكور.

ويُستنبط من هذه التعابير أنّ أحد أسماء الله الحسنی هي «الذاكر» والأخرى هي «المذكور». وكون الله خير الذاكرين وخير المذكورين لا يتناقض مع التوحيد في الآثار والأفعال وكذا مع التوحيد في الصفات والذات؛ لأن ذكر غير الله إن كان ناجماً عن نسيان الله فهو ليس بذكر وإن كان مع ذكره فلا توجد غيرية في البين سوى آياته ومظاهره ومجاليه ومرائيه وأمثاله وذكر كلّ منها هو ذكر آية من آيات الله.

وقد مرّ في ثنايا الفصول السابقة السرّ في حلاوة ذكره وشرفه واستدامته، والذي يُبين هنا هو أنّ الذاكر لو كان الله سبحانه فلا سبيل للنسيان إلى ساحته: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^١، ولو كان الذاكر آياته التكوينية فإن نظام الكون بأسره في حال ذكر الله على الدوام ولا يفتر أي مخلوق عن الانقياد له وتسبيحه والسجود له والرجوع إليه لحظة واحدة ولذا صح أن يُقال: «يا من له ذكر لا يُنسى»^٢.

استدامة الذكر

والآن حيث ثبت بأن ذكر الحق كمال وجودي (لأن الذكر غير الدعاء والسؤال) والله واجد لذلك بآتم وجهه، فإنّ السالك المتعبّد أيضاً يسعى لأن يتخلّق بالأخلاق الإلهية وأن يتصف بصفاته وأن يكون ذاكرآله، ولذا فإن من أهم ما نطلبه من الله في

١. سورة مريم، الآية ٦٤.

٢. من فقرات دعاء الجوشن الكبير.



دعائنا هو نفس ما أمر الله المؤمنين به وهو أصل الذكر وتكثيره والتوسل به والتوكل فيه واستدامته وإن كان الذكر واحداً لأن الاستدامة غير الكثرة.

وقد ورد في المناجاة الشعبانية: ١- إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك ٢- وأن تجعلني ممن يديم ذكرك.

وفي دعاء كميل: ١- أتقرب إليك بذكرك ٢- تلهمني ذكرك ٣- لهج به لساني من ذكرك ٤- أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة ٥- وذكره شفاء.

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: ١- اللهم أشغلنا بذكرك ٢- اللهم خصني منك بخاصة ذكرك (أي أن أذكرك وتذكرني بصورة خاصة).

حيث شملت هذه الموارد طلبات كثيرة حول ذكر الله، وإن من أكمل مراتب ذكر العبد لمولاه مضافاً إلى الاستدامة هو التوكل والوجد والهيام والشغف باسم الله وذكره.

أكمل صفات الذكر

علماً بأن مثل هذا الذكر يكون سبباً لإعمار العمر وترميم زمن العيش وعمران فترة الحياة؛ لأن العمر الذي يقضى بالنسيان باثر والعيش الذي يمرّ بالسهو غامر، وأتم صفات الذكر مناجاة الذاكرين وهي من ضمن المناجيات الخمسة عشر المنسوبة إلى الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام حيث جاء فيها:

١. من أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا
٢. فألهمنا ذكرك في الخلأ والملا والليل والنهار والإعلان والإسرار وفي السرّاء والضراء وأنسنا بالذكر الخفي
٣. إلهي بك هامت القلوب الواهة وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة فلا

تطمئن القلوب إلا بذكراك ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك

٤. وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك

٥. إلهي أنت قلت و قولك حق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ و قلت و قولك الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فأمرتنا بذكرك و وعدتنا عليه أن تذكرنا تشريعاً لنا و تفخياً و إعظاماً و هانحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين.

ملاحظة، كيفية الذكر

تارة يكون ذكر الله على هيئة الدعاء فهو إنشاء، و أخرى يكون على نحو وصف الله أو إقامة البرهان على وجوده و على عينية صفات الذات متحدة مع بعضها مع ذات الله فهو خبر و ليس من سنخ الإنشاء. و من هنا تتضح سعة دائرة الذكر بالنسبة إلى الدعاء، إضافة إلى أن لكل واحد من الذكر و الدعاء ميزة يمتاز بها عن الآخر، و إن كانت الجملة الخبرية قد يراد بها الإنشاء و تصطبغ بصبغة الدعاء، علماً بأن الدعاء هو نداء الله في قبال السؤال الذي هو طلب.

تنبيه، سكينة السالك الذاكر في نهاية الأمر

إن السالك الذاكر الذي يبدأ بذكر الله بلسانه و يحيه من بعد ذلك في قلبه، يتأهبه ضرب من التشويش و الاضطراب لهيمنة المذكور على الذاكر و سلطنة حضوره، و هذا التذبذب و الوجع الممدوح يهيء الأرضية للوصول إلى السكينة و الاطمئنان، و لذا فإن السالك الذاكر يستمد من المذكور نفسه و ينهض بعبء اسمه و ذكره تحت ظل عنايته، لأن عطايه لا يحملها سوى مطايه.

و القرآن الكريم أيضاً خلال مدحه للمؤمنين الذاكرين الذين تنبض قلوبهم بذكر الله يتحدث عما يصلون إليه في نهاية المطاف من سكينة و طمأنينة قائلاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ



يَتَوَكَّلُونَ^١، و قد نزل في شأن القرآن الكريم الذي هو ذكر الله كذلك كما سيُبين فيما بعد: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفْشِيرُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^٢﴾.

فالذي يُستنبط من هذه الآيات و نظائرها هو أن السالك في طليعة أمره بضيقه الوجع من ذكر الله و يستولي على قلبه خوف مقدس، ثم يزداد إيمانه شيئاً فشيئاً إثر أنسه بالمذكور و تلاوة كلامه و الاستماع إليه فيتسبب ذلك دخوله في الحصن الحصين و القلعة المأمونة و الحصار المنجي من الخوف و ما شابهه، و بالتالي يسكن ظاهره و باطنه و يطمئن قلبه و قالبه إلى ذكر الله. و لعل هذه الآية: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ^٣﴾ ناظرة إلى نهاية المآل، و إلا فإن السالك في بداية طريقه قد تصيبه الرعدة و القشعريرة، كما أن الغوص في المحيط قد يسبقه خوف بدوي، و إن كان بعض الغواصين الشجعان أيضاً قد يدخلون ضيوفاً على البحار في بداية اختبارهم و طليعة تمرينهم بقلب مطمئن، بيد أن هذه الشهامة لا تصيب إلا الأوحدي من الخائضين في غمرات البحار، و إن لذكر سيرة أولياء الله و سنتهم في وقائع التاريخ المرة و حلمهم و صمودهم أمام الأعداء دور مؤثر في إيجاد حالة الدعة و الاستقرار و يعود الذكر هذا إلى ذكر الله و هذا الصبر و الصمود و الاستقرار ناتج من ذكره عز اسمه.

ملاحظة، الخوف البدوي للقاسي و الساهي

إن الخوف الذي يستولي على قلب القاسي و الساهي إثر نسيان الله يختلف عن

١. سورة الأنفال، الآية ٢.

٢. سورة الزمر، الآية ٢٣.

٣. سورة الرعد، الآية ٢٨.



الوجل الذي يتتاب السالك الذكر في بداية طريقه، كما أنّ الراحة التي تصيب الناسي للغفلة عن الله تفترق عن الطمأنينة التي يحصل عليها السالك في نهاية طريقه؛ فإن أحدهما صادق والآخر كاذب وأحدهما أجر والآخر عقاب.

وقال الله سبحانه في كتابه المجيد حول الأمن الصادق والكاذب والطمأنينة الصحيحة والباطلة: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^١، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^٢، وعلى هذا الأساس فإن أمن غير المؤمن إحساس كاذب ناجم عن إدراك الواهمة وأمن المؤمن شعور صادق نابع عن إدراك الفاهمة.

ملاحظة: أثر ذكر الله في القلب

ما لم يصبح ذكر الله ملكة نفسانية لا تحصل السكينة الصادقة؛ لأنّ مثل الذكر اللساني كمثّل سقي غصن من أغصان الشجرة الذي لا أثر فيه سوى إزالة الغبار عن ذلك الغصن، بيد أن الذكر القلبي كمثّل سقي جذور الشجرة الذي يؤول إلى نموها وإثمارها لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^٣، فإن الذي يؤثر في إزالة الغفلة هو الذكر القلبي المقترن بالتضرّع والبكاء.

وإنّ الأثر الإيجابي لمثل هذا الذكر هو أولاً: يسوق السالك الذاكر إلى الإنتاج والعمل والاشتغال وتأمين متطلبات المجتمع الإسلامي وأمثالها لينجو من جميع أصناف الكسل وطلب الراحة بذريعة الزهد المذموم وثانياً: لا تلهيه أيّ تجارة مربحة

١. سورة الأعراف، الآية ٩٩.

٢. سورة الأنعام، الآية ٨٣.

٣. سورة الأعراف، الآية ٢٠٥.

عن ذكر الله لترك الكسب الحلال أو يلجأ إلى الحرام أو يخوض في فساد آخر فقد قال الله سبحانه: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^١.

فإن هؤلاء الأولياء ولسوخ ذكر الله في قلوبهم لا يعتبرهم ذهول في العبادات الجسدية كالصلاة بل ولا يغفلون عن العبادات المالية أيضاً ويؤدون زكاة أموالهم. إن أفضل مسجد على وجه الأرض بعد المسجد الحرام هو مسجد النبي الأكرم ﷺ في المدينة، وسيد الأيام وعيد المسلمين هو يوم الجمعة، وقد وردت الصلاة بعنوان الذكر وخصوصاً صلاة الجمعة فقد وردت في سورة الجمعة بعنوان ذكر الله (كما سيأتي إن شاء الله)، ورغم ذلك ترى الجماعة التي ليس لها إلا الذكر اللساني والمحرومة من الذكر القلبي، عند الاقتداء بإمام لا ولن يضاهيه أحد في جميع الأعصار وهو خاتم الأنبياء ﷺ، تجدهم مع كل هذه المزايا والجهات المشرفة وهي المعبد والعبادة واستماع الخطبة والخطيب يتركون كل ذلك ويفرون من الصلاة منفذين إلى التجارة ليشتروا الأمتعة بأسعار أخفض أو يزيّدوا من أمتعتهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^٢.

ذكر ما في الملتون الدينية

أمر الله سبحانه وتعالى لاقتران ذكره بالمعارف والأحكام والحكم، بذكر ما في النصوص الدينية من محتوي فيما مضى وفي الحال الحاضر قائلاً: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ

١. سورة النور، الآية ٣٧.

٢. سورة الجمعة، الآية ١١.



بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^١، ﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا^٢، ومن أجل ذلك تم اختيار الفرص والأوقات المناسبة لتأمين ذكر الله: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمُسْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ^٣﴾.

و السر في عدم أو قلة تأثير بعض الأسماء الإلهية هو أن الفراغ الناشئ من ضعف التوجه بذكر الله يملؤه الغفلة عن ذكره وتأثير هذه الغفلة هو ترجيح الدنيا على الآخرة وترك الرسول الأكرم ﷺ وأمثال ذلك، إذ أن للصفات النفسانية والأعمال الخارجية تأثير وتأثر متبادل، فكما أن الصلاة الحقيقية التي هي ذكر خالص لله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي^٤﴾، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن ارتكاب الفحشاء والمنكر ينهى عن الصلاة وذكر الله أيضاً.

التأثير المتبادل بين ذكر الحق ونسيان الباطل

إن عبارة تأثير التوجه إلى الدنيا والابتلاء بغرورها في ضعف أو انحسار ذكر الله يمكن مشاهدته في الجوامع الروائية ولا سيما في نهج البلاغة، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «واعلموا أن الأمل يُسهي العقل، ويُنسي الذكر، فاكذبوا الأمل فإنه غرور وصاحبه مغرور^٥»، وقال أيضاً: «... أما والله ليمنعني من اللعب ذكر الموت وإنه (عمرو بن العاص) ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة^٦»، والمراد من ذكر الموت

١. سورة البقرة، الآية ٦٣.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٣٤.

٣. سورة البقرة، الآية ١٩٨.

٤. سورة طه، الآية ١٤.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٨٤، الفقرة ٤.

هو مسألة الحياة بعد الموت والحساب والجزاء والعقاب وهي الرجوع إلى الله الحسيب وسيُبحث بحثاً قصيراً في هذه المسألة.

والمثال الآخر للتأثير والتأثر المتبادل بين ذكر الحق ونسيان الباطل وذكر الباطل ونسيان الحق يمكن استنباطه من الحديث المعروف لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان، اتِّباع الهوى وطول الأمل، فأما اتِّباع الهوى فيصدّ عن الحق وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة» فكما أن ذكر الحق مانع من حاكمية الهوى كذلك اتِّباع الهوى مانع من ذكر الحق وحكومته، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله إلى موسى: ... إنَّ كثرة المال تُنسي الذنوب وإنَّ ترك ذكرِي يُقتسي القلب»^٢.

الفصل السابع: مصاديق الذكر

١- الإنسان الكامل

يعتبر ذكر الحق من أسماء الله الحسنی وقد مرت طائفة من الأدلة الإثباتية على ذلك في الفصل السابق، وما يُطرح في هذا الفصل هو أنَّ الذاكر لله يكون مظهراً لاسم الذاكر، وبين مظاهر هذا الاسم، يكون الإنسان الكامل ولاسيما أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام وكذا الكتاب السماوي ولاسيما القرآن الكريم، المرآة الكاملة والآية التامة والجامعة لذكر الحق. ولذا فقد نعت الله سبحانه بعض الأشياء أو الأشخاص بالذكر قائلاً: ﴿... فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ

١. نهج البلاغة، الخطبة ٤٢، الفقرة ١.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٨٠، ح ١.



الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...»^١، حيث يحتمل فيها انطباق عنوان الذكر على الرسول الأكرم ﷺ، أي أن كلمة الرسول بيان لعنوان «الذكر» لتدلّ على أن المراد بعنوان «الذكر» هو نفس النبي ﷺ، ولا يتنافى ذلك مع «الإنزال»؛ لأن الرسول الأكرم مقامه عند الله، وكما أن عنوان «الإرسال» ينطبق على رسالته، فإن عنوان «الإنزال» أيضاً ينطبق على نزوله وتجليه في عالم الطبيعة.

وقد استعمل عنوان الإنزال بنفس هذا المعنى في بعض الآيات الأخرى كما في الآية: ﴿... وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢، حيث بيّن الله فيها بأن القرآن (نور) نزل مع رسول الله ﷺ، وكلاهما قد نزلّا من عند الله سبحانه، فالقرآن والإنسان الكامل معاً كان لديهما مقام عند الله وتنزلاً من تلك المرتبة. والحاصل أن عنوان «الإنزال» في سورة الطلاق لا ينافي إطلاق الذكر على شخص النبي الأعظم ﷺ.

والشاهد الآخر على مظهرية الإنسان الكامل لاسم الله الذاكر هو حديث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله عزّ وجلّ ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة، ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان»^٣.

والسرّ في شهادة هذا الحديث على المدعى هو أن الإنسان الكامل لو لم يكن كأهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام مظهراً لاسم الله وذكره، فإنّ ذكره لا يكون ذكراً لله على الإطلاق؛ لأن «الحق» هو الله وحده ولا يتحقق ذكر «الحق» إلا في اسمه وذكره. والإنسان الكامل بما أنه مظهر ذكر الحق يكون اسمه وذكره ذكر لله. ولعله هذا من

١. سورة الطلاق، الآية ١٠ - ١١.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

٣. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٥٣، ح ٣.

باب المظهرية التامة وكذا من باب فناء الإنسان الكامل في جمال الله وجلاله ومن هنا يُعلم نقل المرحوم الشيخ الصدوق على نحو الإرسال المسلّم: قال: «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير»^١.

وسند هذا التحليل وشاهد هذا البيان هو أن الله سبحانه كما أنه لا عدل له فإن التهليل أيضاً لا مثيل له كما ورد في بعض النصوص الإسلامية^٢، ولو أن شيئاً كالصلاة على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام صار عديلاً للتهليل، فإن مآل ذلك يعود إلى أن الإنسان الكامل لا يملك لنفسه شيئاً بل لا يرى غير الله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولذا فإنه لا يكون إلا اسم الحق وذكره، ومن هنا أصبحت الصلوات عدلاً لشيء لا عدل له، ومعنى ذلك أن الإنسان الكامل ليس غريباً و خارجاً عن أسماء الله فتأمل.

٢- ذكر الله التدويني

مما مضى عُلّمت مسألة إطلاق الذكر على الإنسان الكامل وهو كتاب التكوين لله الذكر وباستمرارية البحث يمكن العثور على شواهد أخرى على هذا الإطلاق. والأنموذج الثاني لمصاديق الذكر هو كتاب الله التدويني بما فيه القرآن وغيره. فإن الصحيفة الإلهية فضلاً عن تكوينيتها التي تعد ذكراً عينياً لله، تعتبر من حيث المحتوى والدعوة والادعاء ذكر لفظي وكتبي وذهنى لخير الذاكرين.

وقد عبر الله عن الكتاب الذي نزل على الأنبياء السالفين كنوح وهود وغيرهما بهذا التعبير: ﴿أَوْ عَجِزْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^٣، وعبر عن خصوص القرآن تارة بالذكر المطلق وأخرى بالذكر

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٩٤، ح ٨.

٢. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٠٨، ح ١ و ٥.

٣. سورة الأعراف، الآية ٦٣.



الحكيم وثالثة بأنه ذكر للعالمين ورابعة بذى الذكر و....

فعبّر عنه بالذكر في الآية ٦ و ٩ من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، والآية ٤٤ من سورة النحل: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وعبر عن القرآن بالذكر الحكيم في الآية ٥٨ من سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ نَقُوءُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، وعبر عنه بأنه ذكر للعالمين في الآية ١٠٤ من سورة يوسف: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، وعبر عنه بذى الذكر في الآية ١ من سورة ص: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى غير ذلك من الأمثلة المشهودة، وبما أن نداء القرآن ينسجم مع فطرة الإنسان والنظام العيني للعالم، فإن الله أعد هذا الكتاب لتذكر المجتمعات البشرية لما يجدونه في باطنهم وما يفهمونه في خارجهم وقال في هذا الشأن: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^١.

ملاحظة: الذكر بمعنى المشهور والمعروف الذي يُطلق على الإنسان الكامل (الكتاب التكويني) وعلى الكتاب السماوي ولا سيما القرآن (الكتاب التدويني) له بحث خاص يُشار إليه عند الحاجة.

٢- الصلاة

الأنموذج الثالث لمصاديق الذكر البارزة، هي الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة، وإن لها من الأهمية بمكان حتى نُعتت بأنها عمود الدين حيث سبب ذلك أن يكون لها موقع ممتاز ومكانة رفيعة في جميع المذاهب ومدارس أنبياء الله.

فقد أمر الله سبحانه أتباع موسى الكليم وعيسى المسيح ﷺ والنبي الأعظم ﷺ بالتمسك بالتوراة والإنجيل والقرآن والتزام الصلاة وجعلها مداراً

١. سورة القمر، الآية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠.

للنجاة وميزاناً للخلاص ومياراً للتحرر من كل خطر. ويظهر من هذا التعميم بأن رسالة الله العالمية لجميع الأمم هي أن معيار النجاة هو الاعتصام بكتاب الله وبالصلاة. وهذا وإن كان الكتاب الإلهي بما فيه التوراة والإنجيل والقرآن يشمل الصلاة أيضاً بيد أنها ذكرت بصورة مستقلة إلى جانب كتاب الله من باب ذكر الخاص بعد العام أو الجزء بعد الكل، وهذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^١ ناظرة إلى جميع الأمم في كل الأعصار والأمصار، أي أن المتمسكين بالكتاب الإلهي والمقيمين الصلاة هم الصالحون والمصلون. وبما أن هذه الآية قد وردت خلال الحديث عن بني إسرائيل وناظرة إلى المسلمين أيضاً فهي جامعة بين جميع الصحف السماوية.

ملاحظة، الفرق بين الإمساك والتمسك

الفرق بين الإمساك والتمسك (الاستمسك) هو أن بالإمساك يَصَانُ الشيء الممسك به من السقوط وبالتمسك يَنْجُو الشخص المتمسك من الهبوط، فإن الله تَمَسَّكَ السماوات لكيلا تسقط: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا...﴾^٢، والإنسان المتَنَسِّك والمتعبّد بالقرآن والعِترَة وكلاهما ذكر الله، يتمسك ويتمسك بهما لينجو من السقوط. فإن الله حق مطلق وذكر الحق يسبب سهو الباطل ونسيان الكذب والزور وكل أمر قبيح آخر والصلاة هي العروة التي لا انفصام لها بين العبد ومولاه ولذا شُرعت لإيجاد هذه الآصرة.

ومن هذه الآية: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^٣،

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٠.

٢. سورة فاطر، الآية ٤١.

٣. سورة طه، الآية ١٤.



يظهر جلياً أن الهدف الرئيس من إحياء الصلاة هو إحياء ذكر الله الذي يقذف كل أمر باطل في بقعة النسيان، وبها أن لصلاة الجمعة خصيصة لا توجد في الصلوات الأخرى ويستحب في الركعة الأولى وبعد فاتحة الكتاب قراءة سورة الجمعة فيها وفي الركعة الثانية وبعد سورة الحمد قراءة سورة المنافقون، فقد تم التعبير عن صلاة الجمعة في سورة الجمعة بذكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^١، وفي سورة المنافقون أيضاً يُحتمل قوياً أنه تم التعبير عنها بذكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^٢.

ملاحظة، كثير الذكر كثير الصلاة

مرّ في الفصل السابق بأن الصلاة و لاسيما صلاة الجمعة ذكر الله و لازم هذه القضية على نحو الموجبة الجزئية هو أن بعض ذكر الله صلاة و الدائمون على ذكر الحق في بعض حالاتهم في الصلاة، وليس على نحو الموجبة الكلية كل من كان في حال الذكر فهو في حال الصلاة، أو أن جميع حالات الذكر صلاة؛ لأن نقيض الموجبة الكلية موجبة جزئية، إلا إذا أقيم دليل معتبر على النقيض الكلي، فيكون نقيض الموجبة الكلية موجبة كلية كذلك؛ و هناك دليل مستقل يدل على أن جميع حالات الذكر هو حالة الصلاة و الحديث الذي ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام بهذا المضمون: «لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله عز و جل قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله عز و جل يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾»^٣ الآية.

١ . سورة الجمعة، الآية ٩.

٢ . سورة المنافقون، الآية ٩.

٣ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٥٠، ح ٥.

إذن فكثير الذكر كثير الصلاة و دائم الذكر دائم الصلاة، و كل أثر يترتب على دوام الصلاة يترتب على دوام ذكر الله أيضاً.

و أبرز أثر إيجابي لدوام الصلاة هو ما ورد في سورة المعارج الآية ١٩ - ٢٣: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُسْلِمِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، و إن كلمة المصلين في هذه الآية صفة مشبهة و ليست باسم فاعل و ذلك لوصفهم بالدوام على الصلاة. و على أي حال فإن دوام الذكر يستبطن دوام الصلاة أيضاً، علماً بأن ذلك يختص بالموارد التي يسوغ فيها التنزيل العام و عموم التنزيل هذا و إلا فبمجرد الذكر لا تُترك الصلاة، لأن لحكم الصلاة الفقهي محله و موضعه الخاص.

تنبيه، صعوبة الذكر الكثير

إن كثرة الذكر أو دوامه يستلزم المراقبة و الحضور و المحاسبة المستمرة و هو أمر عسير، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثلاث لا تطيقهن الناس: ١- الصفح عن الناس ٢- و مواساة الأخ أخاه ٣- و ذكر الله كثيراً»^١.

و المراد بصعوبة الذكر الكثير هو حضور القلب و ذكر الله في الفؤاد و إلا فالذكر العلني لجلب أنظار الناس سهل و قليل و إن كان كثيراً، و لو كان دائماً فهو مؤقت؛ لأن متاع الدنيا قليل و ما كان للدنيا فهو قليل كذلك، و هذا ما يمكن استظهاره من حديث أمير المؤمنين عليه السلام المنقول سابقاً: «من ذكر الله عزّ وجل في السرّ فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و لا يذكرونه في السرّ، فقال الله عزّ وجل: ﴿يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾»^٢.

١ . وسائل الشريعة، ج ٧، ص ١٥٧، ح ١٢.

٢ . وسائل الشريعة، ج ٧، ص ١٦٤، ح ٣.



الفصل الثامن: طريق الوصول إلى علو الذكر

لا يمكن التحلي بالذكر بمعنى الشهرة وبعد الصيت من دون ذكر الحق؛ لأن الشيء العاري من الحق لا حصة له من البقاء والدوام: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^١، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٢، فمن لا تربطه صلة بالله وذكره يقع في بقعة النسيان ويتبدل إلى حديث في التاريخ فيقال فيه: كان فيما مضى السلطان الفلاني والأمير الفلاني والحاكم الفلاني... ولا يوجد له أثر في الحال الحاضر، وإنما هو مدفون في ذهن التاريخ وبين طيات الأوراق، وقد عبر الله عن مثل هذه الطائفة بالأحاديث: ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾^٣، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾^٤.

ومن الواضح بأن الشيء الذي يقطعه الله ويمزقه لا يعود إلى حالته الأولى بتاتاً؛ فلا يعلو ذكر شيء أو شخص إلا إذا كانت تربطه بالله وذكره صلة وثيقة، ومن هنا جاء حول رسالة الرسول الأكرم الذي له صلة بالله لا تنقطع أبداً بل هو مظهر اسم الحق وآية ذكر الله الكبرى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^٥.

ولربيب الله لنبية ﷺ الشهرة وبعد الصيت فحسب، بل رفع ذكره كذلك، فكما أن للمؤمن درجة رفيعة وللمؤمن العالم درجة تفوق ذلك فقد رُفع ذكر الرسول الأكرم ﷺ الذي طبقت شهرته الآفاق، وبما أن القرآن قد علا ذكره لاشتماله على ذكر الله فهو يُسبب علو ذكر أتباعه الصادقين أيضاً فقد قال الله سبحانه في هذا الشأن:

١. سورة النحل، الآية ٩٦.

٢. سورة القصص، الآية ٨٨.

٣. سورة المؤمنون، الآية ٤٤.

٤. سورة سبأ، الآية ١٩.

٥. سورة الانشراح، الآية ٤.



﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^١، فهذه الآية في الوقت الذي تدعو الناس إلى ذكر الحق، تبشّرهم بفيض علو الذكر ونعمة بعد الصيت أيضاً، كما ويمكن استنباط هذا المعنى من بعض الآيات الأخرى كذلك، لأن علو الذكر الصادق علامة على الارتباط بالله و الارتباط بالحق.

ولذا فقد ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي مسألة شرعية ناهضة من الوعي والبصيرة: «وَأَعْلِ ذِكْرِي»، كما رفعت ذكر النبي ﷺ، ومنشأ هذا السؤال هو أن أمة النبي ﷺ تتأسى به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٢، فتنمّ بالسعادة الدينية والفيض الإلهي، وإن كانت الفاصلة محفوظة بين الأصل والفرع و امتياز القائد عن التابع و تمايز المعصوم عن غير المعصوم و الفرق بين الكامل والناقص و أمثالها.

الفصل التاسع: ذكر الله شفاء

إن اسم الله دواء و ذكره شفاء: «يا من اسمه دواء و ذكره شفاء»^٣. و لا بد للتداوي من الأمر تناول دواء معلوم و بمقدار معين و كيفية خاصة، كما أن للشفاء من المرض حدود معينة يؤول اجتيازها إلى الوقوع في الخطر؛ و من هنا فلا بد للسالك الذكر لأجل الشفاء من أمراضه من الاقتصار على ذكر ماثور و بكمية و كيفية محدودة و إلا فلا ينتفع من الذكر العاري من النظم، إلا إذا كان من باب الذكر المطلق و رجاء الثواب فإن له بحث آخر و قد وردت نصوص في لزوم التجنب عن الزيادة أو النقيصة فيه نشير إلى طائفة منها.

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠.

٢. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

٣. دعاء كميل.



دليل توقيفية الذكر

١ - عن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، فقال: «فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»، قال: فقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي، فقال: «يا هذا لا شك في أن الله يحيي ويميت ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول»^١.

يظهر من هذا الحديث أنه لا ينبغي أن يدخل في دائرة الأذكار المأثورة كل ما عند الله و يتصف وينعت به سبحانه إلا ما ورد في القرآن الكريم الذي هو كلام خير الذاكرين أو في كلمات مظاهر أسماء الله الحسنى وهم الكُمَّل من الناس كالأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين لا يصدر منهم من تعاليم إسلامية إلا بإرشاد غيبي من الله سبحانه لا من أنفسهم، ولذا جاء في الحديث المذكور: «لا شك في أن الله يحيي ويميت ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول»، وهو أن الله يحيي ويميت.

٢ - عن العلاء بن كامل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عند المساء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير»، قال: قلت: بيده الخير؟ قال عليه السلام: «إنَّ بيده الخير، ولكن قل كما أقول لسك عشر مرات: أعوذ بالله السميع العليم حين تطلع الشمس وحين تغرب عشر مرات»^٢.

١ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٢٧، ح ٤.

٢ . وسائل الشيعة، ج ٧، ح ٦.

فإن تمام الخير وإن كان بيد الله ولا يصل لغيره شيء إلا عبر قدرته، ولكن لا يلزم أو لا ينفع إضافة ذلك إلى هذا الذكر ومن أجل الوصول إلى هدف الذكر الخاص لا ينبغي إضافة شيء عليه.

٣- عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في وظيفة عصر غيبة بقية الله عليه السلام بعد نقله للدعاء المعروف «اللهم عرفني نفسك...» الذي يُعدّ بمثابة البرهان الإلهي على النبوة والرسالة وحجة الزمان: «ستصيبيكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق»، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: «تقول يا الله يا رحمان يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، فقال: «إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^١.

ملاحظة: يتناول هذا البحث مسألة الذكر لا الدعاء، وإن كان الدعاء يستبطن ذكر الله أيضاً، ولذا فإن ما ذكر في المثال الثالث يرتبط بمسألة الدعاء وخارج عن هذا البحث ونقله في مسألة توقيفية الذكر ليس إلا من باب التأييد.

الفصل العاشر: شمولية الذكر

سبق وأن ذكر في بداية بحث الذكر بأن كل ما يُحيي اسم الله وذكره فهو ذكر سواء كان على نحو الأذكار المتعارفة بين الذاكرين أو على هيئة الأفكار المتداولة بين العلماء؛ فإن حلقة الدرس مجلس الذكر، والمعلم والمتعلم كلاهما مشغولان بذكر الله، ويمكن استظهار هذه المسألة إضافة إلى تحليل معنى الذكر والاستنباطات العامة من بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب أيضاً.



فقد ورد في الخبر: قال لقمان لابنه: «يا بني اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً علموك، ولعل الله أن يظلمهم برحمة فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعل الله أن يظلمهم بعقوبة فيعمك معهم»^١.

و الظاهر أن المراد بذكر الله هو تذاكر العلوم الإلهية وذلك لقوله: فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً علموك، وغيره من القرائن الواردة في الحديث. ولذا يقول صاحب وسائل الشيعة: قد فهم منه الكليني رحمته وغيره إرادة تذاكر العلم فأوردوه في هذا الباب (باب استحباب الجلوس مع الذين يذكرون الله ومع الذين يتذاكرون العلم)، ويقول أيضاً: كثيراً ما يُستعمل الذكر بمعنى العلم في الأحاديث^٢.

تنبيهه، دائرة ذكر الله

بما إن الذكر بمعنى التذكر لا يختص باسم معين، ويعدّ التذاكر العلمي في المعارف والأحكام من المصاديق البارزة لذكر الله، ولذا فإن حوزة التعليم والتعلم تدخل في دائرة ذكر الله وكل ما يترتب على مطلق الذكر (لا الذكر الخاص) من أثر يترتب على التذاكر العلمي كذلك، فما ورد على سبيل المثال من مجالسة الله مع الذاكرين يشمل حوزة التعليم والتعلم أيضاً.

فقد روي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أ قريب أنت مني فأناجيئك أم بعيد

١. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٣١، ح ٢.

٢. وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٣١ و ٢٣٢.



فأناديك؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني^١. وإطلاق الحديث يشمل كل ضروب الذكر سواء الذكر المناجاتي أو المناداتي أو الذكر العلمي و الحوار الفكري و الديني.

ملاحظة، الانسجام بين ذكر الله و التفكير العلمي

إن بين ذكر الله و التفكير العلمي العميق انسجام كامل و كل يؤيد الآخر و يستمد من الآخر، فإن ذكر الله يُسبب تعزيز البنية العلمية و ازدهار الفطنة و التذاكر العلمي يسوق الروح إلى الترتب بذكر الله، و كلما أصاب أحدهما الخمول و الأفول ساقه الآخر إلى الحيوية و النشاط، و إن كان المولى الرومي يعتبر الذكر بمثابة الشمس التي تسوق الفكر الخامل الأقل إلى النشاط و الحركة:

يكفي القول و عليك بالفكر، فإن كان جامداً فالتزم الذكر

فإنه كالشمس ينشط الفكر و يُزيل عنه خموله^٢

و في الختام جدير أن يُقال: سبحانه من جعل الاعتراف بالعجز عن الذكر ذكراً^٣.

اللهم أذك الشائقين التائقين حلاوة ذكرك.



١ . وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٤٩، ح ٢.

٢ . بيتان بالفارسية في مثنوي معنوي، الكتاب السادس، و هذا نصها:

اين قدر گفتيم باقي فکر کن فکر اگر جامد بود رو ذکر کن

ذكر أرد فکر را در اهتزاز ذكر را خورشيد اين افسرده ساز

٣ . هذا اقتباس مما ورد في الشكر (الصحيفة السجادية الجامعة، الدعاء ٦).

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الروايات

فهرس الأشعار

فهرس المصادر

فهرس الموضوعات



فهرس الآيات

الآية	الصفحة
● سورة الحمد (١)	
﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥
● سورة البقرة (٢)	
﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ...﴾	٢٨٤
﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	٢٥
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا ...﴾	٢١٤
﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾	٦٣
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ ...﴾	٢٣٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾	١٧٩
﴿وَالْحُرْمَاتِ قِصَاصٌ﴾	١٩٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٨٣
﴿فَإِنَّمَا تُؤَلُّوا فَنَّمِ وَجْهَ اللَّهِ﴾	١١٥
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	٤٥
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٥
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ...﴾	٢٠١

الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾	١٢٥
﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ...﴾	١٨٧
﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٧٤
﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾	١٨٥
﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾	١٨٦
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾	٢٥٥
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	٢٠٠
﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا...﴾	٢٠٠
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	١٥٢
﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ...﴾	١٩٨

● سورة آل عمران (٣)

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ...﴾	٦٨
﴿وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾	١٧٠
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾	٣١
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾	١٩٢
﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا بِمَا نُحِبُّونَ﴾	٩٢
﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٥
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾	١٨
﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ...﴾	٣٧
﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ...﴾	٧٧
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾	١٠٣
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَ...﴾	١٩١
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا...﴾	١٣٥
﴿وَإِذْ ذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾	٤١
﴿ذَلِكَ نَقُوءُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ...﴾	٥٨



الآية	الصفحة
● سورة النساء (٤)	
﴿إِذْ يَبِيتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ...﴾	١٠٨
﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾	٤٢
﴿وَلَيْخَشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً...﴾	٩
﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٣٢
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ وِيَامًا...﴾	١٠٣
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾	١٤٢
● سورة المائدة (٥)	
﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ...﴾	١١٨
﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧
﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾	٦
﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾	٦
﴿تَكُلُوا يَمًّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا...﴾	٤
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ﴾	٩١
● سورة الأنعام (٦)	
﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	١٢٢
﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ...﴾	٧٥
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ...﴾	١٥١
﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	١٢٢
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾	٥٩
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾	٥٤
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثًا لِرُبِّدِكْرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ...﴾	١٢١
﴿وَإِنَّمَا يُنِيسَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعَدَ بَعْدَ...﴾	٦٨
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَرَلَّيْسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾	٨٣

الآية	الصفحة
● سورة الأعراف (٧)	
﴿أَوْ لَْيَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ...﴾	١٨٥
﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً...﴾	٢٠٥
﴿وَإِنَّمَا يَبْرِئُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ...﴾	٢٠٠
﴿لَا فَعْدَنَّهُ هُمْ حِصْرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٣١
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦
﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا...﴾	٢٧
﴿فَأَتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ هُمْ...﴾	١٣٨
﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا...﴾	١٤٣
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾	٥٥
﴿لَا تَفْتَحْ هُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾	٤٠
﴿وَالْوَزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾	٨
﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾	٦٩
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا...﴾	٢٠٤
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ...﴾	٩٩
﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ...﴾	١٥٧
﴿أَوْ عَجِيتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾	٦٣
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا...﴾	١٧٠

● سورة الأنفال (٨)	
﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ﴾	٥٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ...﴾	٢٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا...﴾	٤٥
﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	٦٠
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ...﴾	٢



الآية	الصفحة
● سورة التوبة (٩)	
﴿فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَرُدُّونَ﴾	٤٥
﴿إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ﴾	٤٤، ٤٢
﴿لَمْ سَجِدْ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ...﴾	١١٠
﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	١٠٨
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ...﴾	٢٨
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ...﴾	٩٨
﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ...﴾	٦
	١٠٤
	١٨٩
● سورة يونس (١٠)	
﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾	٣١
﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ...﴾	٦١
	١١٧
	٢٣٥
● سورة هود (١١)	
﴿عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾	١٧
	٥٢
● سورة يوسف (١٢)	
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ...﴾	١٠٦
﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾	١٠٤
	٢٠٤، ٨٢
	٢٦٧
● سورة الرعد (١٣)	
﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	٨
﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾	٢٩
	٢٦٠، ٨٥
	١٩٢
	٢٤٩

الآية	الصفحة
● سورة إبراهيم (١٤)	
﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدَتُكُمْ...﴾	٢٢
﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾	٣٧
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...﴾	٥
● سورة الحجر (١٥)	
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	٩٩
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ...﴾	٢١
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾	٢٩
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩
● سورة النحل (١٦)	
﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣
﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٢٢
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ...﴾	٤٤
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾	٩٦
● سورة الإسراء (١٧)	
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ...﴾	١٠٢
● سورة الكهف (١٨)	
﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾	٢٧
﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾	٥٠
﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾	١٠١
﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾	٦٣
﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾	٢٤



الآية	الصفحة
● سورة مريم (١٩)	
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا...﴾	٩٣
﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾	١٢
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٨٣
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٩٦
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾	٦٤
﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٢
﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ...﴾	٤١
﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٥١
﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٥٤
﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	٥٦
● سورة طه (٢٠)	
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ...﴾	١٠٥-١٠٧
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	١٤
﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾	٢٦
﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	٣٦
﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمْتُكُمْ﴾	٥٤
﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ...﴾	٩٧
﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾	٣٢
﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَ...﴾	٤٢
﴿كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا * وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾	٣٣-٣٤
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ...﴾	١٢٤
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي...﴾	١٤

الآية	الصفحة
● سورة الأنبياء (٢١)	
﴿حَرِّفُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾	٦٨
﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٦٧
﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾	١٠٢
﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾	٢٦
﴿لَا يَسْغِيهِ فُتُورُ الْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾	٢٧
﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾	٥٢
﴿وَذَا النُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ...﴾	٨٧
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ...﴾	١٠
● سورة الحج (٢٢)	
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا...﴾	٣٧
﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾	٣٦
● سورة المؤمنون (٢٣)	
﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ...﴾	٤٤
● سورة النور (٢٤)	
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ...﴾	٣٧
● سورة الفرقان (٢٥)	
﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	٧٤
﴿قُلْ مَا يَغْبُرُ إِلَيْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾	٧٧
● سورة الشعراء (٢٦)	
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٢٢٧



الآية	الصفحة
● سورة النمل (٢٧)	
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ...﴾	٤٩
﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ...﴾	٦٢
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَضَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾	١٤
● سورة القصص (٢٨)	
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	٨٨
● سورة العنكبوت (٢٩)	
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾	٤٥
﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا...﴾	٦٠
● سورة لقمان (٣١)	
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣
● سورة الأحزاب (٣٣)	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ...﴾	٤١
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...﴾	٣٣
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	٤
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾	٥٦
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾	٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٩
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾	٢١
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ...﴾	٣٥
﴿وَ اذْكُرْ مَا بَيَّنَّا فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتٍ...﴾	٣٤



الآية	الصفحة
● سورة سبأ (٣٤)	
﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَما يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَما يُعِيدُ﴾	٤٩
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَزَفَّناهُمْ كُلَّ مُمَزِّقٍ﴾	١٩
● سورة فاطر (٣٥)	
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	١
﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	٤١
● سورة يس (٣٦)	
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ...﴾	٨٢
﴿وَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّها الْمُجْرِمُونَ﴾	٥٩
﴿فَسَبِّحْنا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٣
﴿لِيُنذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ...﴾	٧٠
● سورة الصافات (٣٧)	
﴿وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾	١٦٤
● سورة ص (٣٨)	
﴿هَلْهُمْ عذابٌ شَدِيدٌ بما نَسُوا يَوْمَ...﴾	٢٦
﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ هَلْهُمْ الْأَبْوابُ﴾	٥٠
﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾	١
● سورة الزمر (٣٩)	
﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ﴾	٧٣
﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٦٣
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشابهاً...﴾	٢٣



الآية	الصفحة
● سورة المؤمن (غافر) (٤٠)	
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾	١٩
﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ...﴾	٧٦
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ...﴾	٧
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي...﴾	٦٠
﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	١٤
● سورة فصلت (٤١)	
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ...﴾	٤٢
﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ صَبَاءٍ أَمْرَهَا﴾	١٢
● سورة الشورى (٤٢)	
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ...﴾	٥
﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾	٢٦
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا...﴾	٢٣
● سورة الزخرف (٤٣)	
﴿وَمَنْ يَغْنُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾	٣٦
● سورة محمد ﷺ (٤٧)	
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾	٢٩
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَاهُمْ...﴾	٣٠
﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ...﴾	٣٨



الآية	الصفحة
● سورة الفتح (٤٨)	
﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا بِهِمْ...﴾	١٨
﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٣
﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾	٢٩
﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤
● سورة الحجرات (٤٩)	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا...﴾	١
● سورة ق (٥٠)	
﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾	٢٢
﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾	٣٠
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ...﴾	١٦
● سورة الطور (٥٢)	
﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾	٢١
● سورة النجم (٥٣)	
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ...﴾	٢-١
﴿ثُمَّ دَنَا فَتَنَلَّ * فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ...﴾	٩-٨
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾	٤٢
﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا...﴾	٢٩
● سورة القمر (٥٤)	
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَهْرَ﴾	٥٤
١٢٠	



الآية	الصفحة
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	١٢٠
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	١٩٢
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ...﴾	٢٦٧

● سورة الرحمن (٥٥)

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٢٩	١٧
﴿مُنْكِيْنَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾	٥٤	١٢٥

● سورة الواقعة (٥٦)

﴿فَأَنشَأَ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ...﴾	٨٩-٨٨	٧٢
﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ...﴾	٧٩-٧٧	٧٨
﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩	٨١، ٧٨
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا...﴾	٨٥	١٨٦

● سورة الحديد (٥٧)

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	٣	٢٠٤
--	---	-----

● سورة المجادلة (٥٨)

﴿اسْتَخَوَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾	١٩	٢٥١
---	----	-----

● سورة الحشر (٥٩)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ...﴾	١٩	٢٥٦
--	----	-----

● سورة الجمعة (٦٢)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُعْمِلُوهَا...﴾	٥	١٧٦
--	---	-----

الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا...﴾	١١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُرِيدَ لِلصَّلَاةِ...﴾	٩
● سورة المنافقون (٦٣)	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ...﴾	٩
● سورة الطلاق (٦٥)	
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ...﴾	١٢
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	١٠
● سورة التحريم (٦٦)	
﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...﴾	٨
● سورة الملك (٦٧)	
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾	١
﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ...﴾	٢
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا...﴾	٣٠
● سورة الحاقة (٦٩)	
﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنَّ غَسْلِينَ * لَا...﴾	٣٧-٣٦
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾	١٨
● سورة المعارج (٧٠)	
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ...﴾	٢٢-١٩
﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾	٢٣



الآية	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ يُضَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾	٢٦
﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾	٢٧
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	٣٢
﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ﴾	٣٥

● سورة الجن (٧٢)

﴿وَأَمَّا الْفَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	١٥
--	----

● سورة المزمل (٧٣)

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ...﴾	٦
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	٨

● سورة المدثر (٧٤)

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨
---	----

● سورة الدهر (الإنسان) (٧٦)

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ ...﴾	٩
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ...﴾	٨
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢٥

● سورة النبا (٧٨)

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾	١٩
--	----

● سورة النازعات (٧٩)

﴿أَمْ السَّمَاءُ بُنَاهَا ۖ وَرَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا...﴾	٣٣-٢٧
--	-------

الآية	الصفحة
● سورة عبس (٨٠)	
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	١٧٧
● سورة التكويد (٨١)	
﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾	٤٢
● سورة المطففين (٨٣)	
﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَلْمِزْنَ أَسْوَءَ الْمَخَلُوقِ الَّتِي خَلَقُوا﴾	١٥٥
● سورة الأعلى (٨٧)	
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ...﴾	٢٥٠، ٢٤٤
● سورة الفجر (٨٩)	
﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾	١١٨
﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى...﴾	٢٤٥
● سورة البلد (٩٠)	
﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ...﴾	٨٦
● سورة الليل (٩٢)	
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ...﴾	١٢٣
● سورة الانشراح (٩٤)	
﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	٢٧١، ٨٨
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا...﴾	١٢٤



الآية	الصفحة
● سورة العلق (٩٦)	
﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾	٢٥٠
● سورة القدر (٩٧)	
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١٧٥
● سورة العاديات (١٠٠)	
﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾	٧٦
● سورة التكاثر (١٠٢)	
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ...	١١٠، ٦٢، ٢٤
● سورة الهمزة (١٠٤)	
﴿وَيُنْزِلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمْرَةً﴾	٥٣
﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي...	١٤٢
● سورة الماعون (١٠٧)	
﴿قَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ...	٦٨
● سورة الإخلاص (١١٢)	
﴿لَا يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	١٦٣

فهرس الروايات

الصفحة	الحديث
	● الرسول الأكرم ﷺ
١٨	«اعبد الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه ...»
١٦١، ٢٧	«لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»
٢٧	«لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»
٣١	«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»
٣٥	«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس
٣٧	«أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَ...»
٤٧	«يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني و...
٥٧	«يا علي إذا أنا مت فغسلني وكفّني ثم...
٥٧	«أنتم المقهورون والمستضعفون من بعدي»
٥٨	«أنا والساعة كهاتين»
٥٩	«يا معشر الناس! إن أفضل الهدى هدى محمد»
٦١	«من مات قامت قيامته»
٦١	«صَبَّحْتَكُمْ السَّاعَةَ، مَسَّنَكُمْ السَّاعَةَ»
٦١	«من ترك مالا فإلهه ومن ترك ديناً...
٦٤	«يا علي نجا المخفون وهلك المثقلون»
٦٦	«أفضل الأعمال أحمرها»
٦٩	«الإخلاص سر من سرّي أودعه في قلب من أحببته»



الصفحة	الحديث
٨١	«يحشر الله عز وجل أمتي يوم القيامة بين الأمم
٨٣	«أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»
٨٩	«واعلموا أن الله تعالى أقسم بعزته...»
٩٤	«أعني بكثرة السجود»
٩٥	«ظهوركم ثقيلة من أوزاركم فحفقوا عنها...»
٩٦	«المُصَلِّي يُناجي ربه»
٩٧	«من اتقى على ثوبه في صلاته فليس لله اكتسب»
٩٨	«زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»
٩٩	«ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك...»
١٠٤	«إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء و...»
١٠٨	«إن الله عز وجل يحب معالي الأمور و...»
١١٣	«ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن»
١١٤	«هل من مبشرات؟»
١١٤	«أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً...»
١١٤	«يا أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم...»
١١٥	«إني لأستغفر الله في اليوم واللييلة سبعين مرة»
١٢١	«لكل كبد حرأ أجر»
١٢٤	«إن الله تبارك وتعالى وكل ملائكة بالدعاء...»
١٢٩-١٣٠	«اليد العليا خير من اليد السفلى»
١٣٧	«من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام و...»
١٣٨	«إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، و...»
١٣٩	«استعن بيمينك»
١٤٦	«يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن...»
١٤٦	«دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»
١٤٩	«قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة»

الصفحة	الحديث
١٦١	«جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَ طَهُورًا»
١٧١	«فَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا كَثُرَ فِيهِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ كَثُرَ...»
١٧٢	«تُورُوا بِيَوْمَكُمْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَلَا...»
١٧٣	«شُدَّ مِنْ مَنْزِلِكَ إِلَى الْمَسْجِدِ حَبْلًا وَ احْضُرِ الْجَمَاعَةَ»
١٧٧	«حَمَلَةُ الْقُرْآنِ عِرْفَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»
١٧٨	«لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ...»
١٨٠	«مَنْ قَرَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ...»
١٨٢	«طَيَّبُوا أَفْوَاهَكُمْ فَإِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طَرِيقُ الْقُرْآنِ»
١٨٣	«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا...»
١٨٨	«وَ ارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالْدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَوَاتِكُمْ...»
٢٠٠	«إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِمْ فَإِنَّهُ أَوْجِبَ لِلدُّعَاءِ»
٢٠٢	«إِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ»
٢٠٢	«فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بَنِيَاتٍ صَادِقَةٍ وَ قُلُوبٍ طَاهِرَةٍ»
٢٠٣	«يَا أَبَا ذَرٍّ مَا زَهَّدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَثْبَتَ اللَّهُ»
٢١١	«وَ مِنْ أَكْثَرِ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى ثَقُلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ...»
٢١٦	«مَنْ صَلَّى عَلَىَّ وَ لَمْ يَصَلِّ عَلَىَّ إِلَيَّ، لَمْ يَجِدْ...»
٢١٦	«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»
٢١٨	«إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ لَعْنَةَ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ»
٢١٨	«أَيُّهَا النَّاسُ مَا كُنَّا لِنَجِثَكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَ عِنْدُنَا تَأْوِيلُهُ...»
٢١٨	«أَلَا وَ إِنِّي أَنَا أَبُوكُمْ»
٢١٨	«أَلَا وَ إِنِّي أَنَا مَوْلَاكُمْ»
٢١٨	«أَنَا وَ عَلِيٌّ أَبَوَاهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ»
٢٢٠	«عَلِيٌّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ»
٢٢٠	«يَا عَلِيُّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي وَ مَنْ...»
٢٢١	«حَرْبُكَ حَرْبِي»



الصفحة	الحديث
٢٢١	«إنَّ حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء...
٢٢٢	«أنا مدينة الحكمة و هي الجنة و أنت يا علي بابها»
٢٢٣	«علي مني و أنا من علي»
٢٢٣	«لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك»
٢٢٣	«حسين مني و أنا من حسين»
٢٢٤	«لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله و رسوله...
٢٢٤	«... كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح...
٢٢٦	«أيها الناس أفيكم أحد إلا وله من أهله خاصة؟
٢٢٦	«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...
٢٢٧	«من كنت مولاه فهذا علي مولاه...
٢٣٩	«ارتعوا في رياض الجنة...
٢٥٦	«من عرف نفسه فقد عرف ربه»

● الإمام علي عليه السلام

١٧	«الحمد لله الذي لبس العزَّ والكبرياء...
١٨	«كيف يجد لذة العبادة من لا يصوم عن الهوى»
٢٦	«هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ...
٢٨	«الظفر بالحرم و الحزم بإجالة الرأي و الرأي...
٢٩	«المؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله نور...
٤٨	«... هيهات غرِّي غيري، لا حاجة لي فيك...
٤٩	«يا صفراء يا بيضاء غري غيري»
٤٩	«كلاهما عندي حجران فأعط الأعرابي...
٥٢	«ما شككت في الحق منذ أُرثته»
٥٥	«وصيتي لكم أن لا تشرکوا بالله شيئاً»
٥٦	«... فلا تضیعوا سنته»



الصفحة	الحديث
٥٦	«أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين»
٥٦	«أنا بالأمس صاحبكم و اليوم عبرة لكم و...»
٥٦	«تالله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل...»
٢٢٧، ٥٨	«لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»
٦٣	«تحققوا تلحقوا»
٦٤	«بين نثيله ومعتقه»
٧٣	«وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم...»
٨٧	«استعملتموه حتى إذا كبر و عجز منعموه!...»
٩٢	«يطير بهما في الجنة»
٩٤	«إنما يجمع الناس الرضا و السخط فمن رضي...»
٩٥	«و لا تباعضوا فإنها الحالقة»
٩٨	«زكاة الجبال العفاف»
٩٨	«زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»
١٠٢	«تعاهدوا أمر الصلاة و حافظوا عليها و استكثروا...»
١٠٣	«نعوذ بالله من سبات العقل»
١٠٥	«لا يمنع الضيم الدليل»
١٠٥	«ردّوا الحجر من حيث جاء، فإنّ...»
١٠٦	«فاعل الخير خير منه و فاعل الشرّ شرّ منه»
١٠٨	«و أقربهم منزلة منك و أخصّهم زلفة لديك»
١١١	«لا يُقاس بأل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد»
١١٥	«من ترك الشهوات كان حرّاً»
١١٦-١١٥	«إنّ هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار...»
١١٦	«ألا حرّ يدع هذه اللّماظة لأهلها»
١١٧	«... أعضاءكم شهوده و جوارحكم جنوده و...»
١٣١	«من وجد ماءً و تراباً ثم افتقر...»



الصفحة	الحديث
١٣٣	«هذه صدقة»
١٣٥	«وأحسن منه تبه الفقراء على الأغنياء...»
١٣٧	«إنَّ الفقر والغنى بعد العرض على الله»
١٣٩	«وضعتني في حجره وأنا ولد...»
١٤٦	«ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟»
١٤٧	«و قلبي بحبك متيماً»
١٦٥	«الصلاة قربان كل تقى»
١٧٣	«الشاذ من الناس للشيطان كما أن...»
١٧٤	«الزهد كله بين كلمتين من القرآن...»
١٧٤	«فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن...»
١٨٣	«صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة»
١٩٠	«إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً و...»
١٩٠	«أنت كما أحب فاجعلني كما تحب»
١٩٥	«لا حجاب بينه وبين خلقه»
١٩٦	«اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها...»
١٩٦	«اللهم صن وجهي باليسار، و...»
١٩٨	«واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك و...»
٢٠١	«بين السماء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم»
٢٠٥	«كم من عثار وقته»
٢٠٦	«وأقبل عليّ إذا ناجيتك»
٢٢٧، ٢٠٧	«ما كنت أعبد رباً لمرأه»
٢١١	«زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا»
٢١٤	«ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة»
٢١٧	«... أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت»
٢١٨-٢١٧	«لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة»

الحدث	الصفحة
«ألا إني عبد الله وأخو رسوله...»	٢٢٠
«لا أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج إلى الموت»	٢٢٤
«من استأسر من غير جراحة مُشخنة فلا يُفدى»	٢٢٤
«ما قلعت باب خيبر... بقوة جسدية...»	٢٢٥
«رضيت عن الله ورسوله»	٢٢٦
«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق...»	٢٢٧
«ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر...»	٢٣٠
«يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»	٢٣٠
«وذلك مبيت الأحياء»	٢٤٣
«من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً...»	٢٧٠، ٢٥٢
«إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك»	٢٥٨
«وأن تجعلني ممن يديم ذكرك»	٢٥٨
«أتقرب إليك بذكرك»	٢٥٨
«تلهمني ذكرك»	٢٥٨
«لهج به لساني من ذكرك»	٢٥٨
«أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة»	٢٥٨
«وذكره شفاء»	٢٥٨
«واعلموا أن الأمل يُسهي العقل، و...»	٢٦٣
«... أما والله ليمتني من اللعب ذكر الموت و...»	٢٦٣
«إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان...»	٢٦٤
«يا من اسمه دواء وذكره شفاء»	٢٧٢

❁ الإمام الحسن عليه السلام

«من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله...»	١٦٤
«وأنا الضامن لمن لم يهجم في قلبه...»	٢٠٢



الصفحة	الحديث
	● الإمام الحسين عليه السلام
٥٧	«ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»
١٩٩، ١٠٩	«لو لي يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت...
١٠٩	«... أني أحب الصلاة له»
١٧٣	«ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد...
٢٢٥	«صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة...
	● الإمام السجاد عليه السلام
٢٩	«ما كان أطولك على المجرمين»
٣٥	«أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن...
٥٥	«من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس...
٩٤	«و أذقني حلاوة ذكرك»
٩٨	«ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج!
١٠٩	«ألهتني عنها النار الكبرى»
١٣٠	«و هو يُطعم ولا يُطعم ويُجير ولا يُجار عليه»
١٤٨، ١٤٧	«اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف...
١٦٩	«لومات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت...
١٧٦	«و تحلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب و...
١٨١	«آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة...
١٩٥	«الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي و...
١٩٧	«ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله...
٢٠١	«إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله»
٢٤١	«الداني في علوه والعالي في دنوه»
٢٥٧	«يا خير ذاكر ومذكور»
٢٥٧	«يا خير الذاكرين يا خير المذكورين»

الصفحة	الحديث
٢٥٧	«يا من له ذكر لا يُنسى»
٢٥٨	«اللهم أشغلنا بذكرك»
٢٥٨	«اللهم خصني منك بخاصة ذكرك»
٢٥٨	«من أعظم النعم علينا جريان ذكرك...»
٢٥٨	«فألهما ذكرك في الخلاء والملاء»
٢٥٨	«إلهي بك هامت القلوب الواهة وعلی معرفتك»
٢٥٩	«و أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك»
٢٥٩	«إلهي أنت قلت و قولك حق»
٢٧٢	«و أعلِ ذكري»
٢٧٦	سبحان من جعل الاعتراف بالعجز...

● الإمام الباقر عليه السلام

٤٤	«اقرأ و ارقه»
٦٣	«يقول لك ربك يا محمد؛ ما أبغضت وعاء...»
٦٦	«نية المؤمن خير من عمله»
٨٠	«صلى يوماً بأصحابه الفجر ثم جلس معهم...»
٨٢	«المؤمن لا يُنجسه شيء»
٩٢	«ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة إلا...»
٩٣	«للمصلي ثلاث خصال: إذا هو قام...»
٩٧	«إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور...»
١٢٠	«اللهم إني أسألك من جمالك بأجله و...»
١٢١	«اللهم إني أسألك من نورك بأنوره و...»
١٢١	«اللهم إني أسألك من جلالك بأجله و...»
١٦١	«بني الإسلام على خمس: على الصلاة و...»
١٨١	«يجري مجرى الشمس و القمر»



الصفحة	الحديث
١٨٧	«إن الله عزّ وجل خلق ابن آدم أجوف»
١٨٩	«الجنة يُشَمّ ريحها من مسيرة ألف عام»
٢١٥	«أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»
٢٦٩	«لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في...»
٢٧٦	«أنا جليس من ذكرني»

● الإمام الصادق عليه السلام

٣٧	«هل الدين إلا الحب؟»
٣٨	«لا يجمع الله لمؤمن الورع والزهد في الدنيا...»
٤١	«ما من شيء أعزّ من اليقين»
٥٢	«ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف و...»
٦٥	«ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً...»
٦٧	«ما ضعف بدن عما قويت عليه النية»
٦٨	«ليس بين الإيوان والكفر إلا قلة العقل»
٦٨	«ما عبد به الرحمن و اكتسبت به الجنان»
٦٩	«و إنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه...»
٨٣	«الكذبة تنقض الوضوء»
٩٠	«إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّها لوقتها صلاة...»
٩١	«إنّ العبد إذا صلى الصلاة في وقتها وحافظ...»
٩٥	«عليك بطول السجود فإنّ ذلك من سنن الأوّابين»
٩٥	«إنّ أقرب ما يكون العبد من الربّ عزّ وجلّ و...»
٩٩	«يُحشّر الناس على نياتهم»
١٠٠	«إن طاعة الله عزّ وجلّ خدمته في الأرض...»
١٠١	«قوة الأبدان والقلوب...»
١٠١	«أول ما يُحاسب به العبد عن الصلاة، فإذا...»



الصفحة	الحديث
١٠٣	«نبّه بالتفكر قلبك، و جاف عن النوم...»
١٠٤	«ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه...»
١١٤	«لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء»
١٢٥، ١١٧	«الصوم لي وأنا أجزي به»
١٢٠	«للمصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره و...»
١٢٠	«للمصائم فرحتان، حين يفطر و حين يلقي...»
١٢٣	«إذا نزلت بالرجل النازلة و الشديدة فليصم»
١٢٦	«أوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه السلام: ما يمنعك...»
١٢٦	«ما أطيب ريحك و روحك، يا ملائكتي...»
١٢٩	«... الذي يُطعم و لا يُطعم»
١٣٠	«و اجعلني ممن تنصير به لدينك و...»
١٤٠	«النظرة سهم من سهام إبليس»
١٤٤	«صانع المناق بلسانك و اخلص وذك للمؤمن و...»
١٥٤	«و رفض الشهوات فصار حرّاً»
١٦١	«لا اعتكاف إلا بصوم»
١٧١	«لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها...»
١٧٢	«إننا يتصفّحهم في مواقيت الصلاة...»
١٧٤	«... قال: لبيك...»
١٧٧	«الحافظ للقرآن العامل به مع السَّفرة...»
١٧٨	«إن الذي يُعالج القرآن و يحفظه بمشقة منه...»
١٧٨	«ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلّم القرآن...»
١٧٩	«القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء...»
١٧٩	«النظر في المصحف عبادة»
١٩٣	«أن لا تكون بها في يدك أوثق منك...»
١٩٥	«ليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا...»



الصفحة	الحديث
١٩٧	فقال: «ربي وربك... من ينجيك...»
٢٠٠	«تبحروا قلوبكم فإن أنقاها الله من حركة الواجس...»
٢٠٢	«القلب السليم الذي يلقي ربه و...»
٢٠٤	«إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه...»
٢١٠	«لا تجتمع الرهبة والرغبة في قلب إلا وجبت له...»
٢٢٣	«إنه من نفسي وأنت ابني»
٢٢٣	«وسد الأبواب إلا باب»
٢٢٩	«إن من عبادي من يتصدق بشق تمر...»
٢٢٩	«نعم الشفيع أنا وأبي لحرمان بن أعين...»
٢٤١	«كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبت»
٢٤٧	«الله أكبر من أن يوصف»
٢٦٥	«ما اجتمع قوم في مجلس ليرذكروا الله عز وجل و...»
٢٧٠	«ثلاث لا تطيقهن الناس:....»
٢٧٣	«فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع...»
٢٧٤	«ستصيبكم شبهة فتبكون بلا علم يرى و...»

❖ الإمام الكاظم عليه السلام

٢٦	«لا يشغله شأن عن شأن»
٧١	«إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه...»
١٢٢	«إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا...»
١٩٥	«احتجب بغير حجاب محبوب واستتر بغير ستر مستور»

❖ الإمام الرضا عليه السلام

٤١	«لربط بنو آدم أفضل من اليقين»
١٠٤، ٥٥	«لك الحمد إن أطعتك، ولا حجة لي»



الصفحة	الحديث
٨١	«إنَّ علة الرضوء التي من أجلها صار على العبد...
١٨٢	«أفواهمكم طرق من طرق ربكم فنظفوها»
٢٠٠	«واغفر لمن في مشارق الأرض ومغاربها...
٢٢٨	«وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين و...
٢٣١	«لا أراك تقدر على الرجوع إلى المدينة...
٢٦٦	«الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله...
	● الإمام الحسن العسكري عليه السلام
١٠٣	«إنَّ الوصول إلى الله سفر لا يُدرك إلا...
٢١٤	«بل قلوبنا أوعية لمشية الله»
	● المنسوب إلى الإمام المهدي عليه السلام
١٣١	«يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين»
٢٤١	«الحمد لله... الذي بعد فلا يرى و...
٢٤٩	«ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً»
	● المعصومون عليه السلام
٣٧	«بمحبتك يا أمل المشتاقين»
١٣٥	«ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء...
١٤٢	«دائم الفضل على البرية»
١٦٦	«قلب المؤمن عرش الرحمن»
١٩٢	«حسبي من سؤالي علمه بحالي»
٢٧٥	«يا بني اختر المجالس على عينيك...

فهرس المصادر

- الأربعون حديثاً: أبو الفضائل محمد بن الشيخ حسين العاملي، المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- إرشاد القلوب: محمد الديلمي، من أعلام القرن السابع، تحقيق السيد هاشم الميلاني، منشورات الأسوة، ١٤١٧ هـ.
- الاختصاص: الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العربية، بيروت.
- الإشارات و التنبيهات: أبو علي سينا (٣٧٣- ٤٢٧ هـ)، مع شرح الخواجه نصير الدين الطوسي و شرح الشرح لقطب الدين الرازي، طبعة الحيدري، ١٣٧٧ هـ.
- الأمالي و المجالس: ابن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٠ هـ.
- إقبال الأعمال: السيد بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، دار الحجة، قم، ١٤١٨ هـ.
- الأمالي: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، ترجمة حسين أستاذولي، مؤسسة الدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- تفسير البرهان: السيد هاشم البحراني (ت ١١٧٠ هـ) مؤسسة دار التفسير إسماعيليان، قم، ١٤١٧ هـ.

- تفسير البيضاوي: أسرار التنزيل و أسرار التأويل، القاضي ناصر الدين البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- تفسير صدر المتألهين: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، (ت ١٠٥٠ هـ)، منشورات بيدار، قم، ١٤٠٨ هـ.
- تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي، من أعلام القرن الثالث، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٣٨٠ هـ.
- تفسير مجمع البيان: أبو علي أسير الإسلام الطبرسي (٤٦٨ - ٥٤٨ هـ)، عشرة أجزاء في خمسة مجلدات، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- تفسير محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ): وهو نفس كتاب التأويلات للمول عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت.
- تفسير نور الثقلين: ابن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ)، تصحيح رسولي محلاتي، إسماعيليان، الطبعة الثانية، قم.
- تهذيب الأحكام: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- التوحيد: الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري و السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: شيخ الفقهاء محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ)، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة السابعة، بيروت.
- الخصال: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، قم.
- روضة المتقين: شرح من لا يحضره الفقيه، المولى محمد تقي المجلسي (١٠٠٣ - ١٠٧٠ هـ)، تحقيق السيد حسين الموسوي الكرمانی، مؤسسة كوشانپور للثقافة الإسلامية.
- سر الصلاة: الإمام الخميني رحمته الله، مؤسسة نشر و تنظيم تراث الإمام، الطبعة الثانية.
- سفينة البحار و مدينة الحكيم و الآثار: المحدث الخبير، الشيخ عباس القمي، منشورات الأسوة، ١٤١٦ هـ.
- سيرة ابن هشام: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- شرح غرر الحكم و درر الكلم: عبد الواحد الأمدي (ت ٥١٠ هـ)، الشارح جمال الدين محمد الخوانساري، منشورات جامعة طهران، ١٤١٥ هـ.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- شذرات المعارف: آية الله محمد علي الشاه آبادي، حركة النساء المسلمات، رجب ١٤٠٢ هـ.
- صباح اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٠ هـ.
- علم اليقين: الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق محسن بيدارفر، منشورات بيدار، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- الغارات: ابن هلال الثقفي، من أعلام القرن الثالث، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، ١٤١٠ هـ.
- فلاح السائل: العلامة السيد علي بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم.
- الكافي: الأصول و الفروع و الروضة، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٢٣٨ هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال: العلامة علاء الدين علي المتقي (ت ٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ هـ.
- مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
- المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، المركز العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.
- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم.
- مستدرك الوسائل: الحاج الميرزا حسين النوري (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ.
- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي.



- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، دار التعارف، بيروت.
- النهاية: ابن الأثير الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- نهج البلاغة: السيد الرضي، محمد بن حسين بن موسى (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)، تحقيق صبحي الصالح.
- وسائل الشيعة: الشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت ع، قم، ١٤١٤ هـ.

فهرس الموضوعات

١٥	مقدمة الناشر
٢١	المقدمة
٢١	حكمة العبادة و ثمرتها
٢١	١- كلّ معلول في نظام التكوين عبد لعلته
٢٢	٢- الموجود المفكر في نظام التشريع مختار في اختيار طريقه
٢٢	نطاق نظام التشريع أضيق من دائرة التكوين
٢٣	٣- لكل اسم من أسماء الله الحسنى اقتضاء
	بارئ عالم الإمكان منزّه عن الهدف غير أنّ للعالم هدف يتوخاه
	هدف الإنس و الجنّ تكاملهم في العبادة
٢٤	٤- بعض درجات العبادة هدف أوسط و بعضها الآخر هدف أخير
	العلم الحسولي كمال علمي لكنه وسيلة بالنسبة للعلم الحضورى
	يمكن اعتبار اليقين الشهودى الهدف النهائى من الحلقة
	العلم الشهودى يجعل العارف الواصل مظهرًا لـ «العليم» و «القدير»
	ثمرّة ظهور الذات معرفة الإنسان السالك بالغيب المطلق بمقدار وسعه
٢٥	٥- الذى يظهر عبر شهود عقل النظر و انبعاث عقل العمل قد يدخل في عداد حكمة العبادة ...
	دور الفقه الأصغر و الأوسط و الأكبر في وصول السالك إلى حكمة العبادة
	سبب تقدّم السرّ على الجهر و الليل على النهار
	إذا أصبح السالك الواصل مظهرًا للحق، يكون ليله و نهاره و سرّه و جهره متحدة
٢٧	٦- الشروط الطولية للعبادة من أسرارها لا الشروط العرضية



- الشرط الطولي لقبول الطهارة والصلاة هو التقوى والتقوى رهن ولاية الإنسان الكامل
حقيقة الإنسان الكامل هي الحكمة لكل عبادة
- ٧- للوصول إلى السرّ الغائي للعبادة لابد من التعقل واليقظة في الحفاظ على حرم القلب الآمن ٢٨
- ٨- تاريخ الكتاب الحاضر والجوّ الحاكم في زمن صدره ٢٨
- السرّ في سرعة انقضاء شهر رمضان على المؤمنين وطوله على المجرمين
- شكر وتقدير ٣١
- لا يمكن تصوّر أيّ إحسان ولطف من قبل غير الله
شكر مظاهر فضل الله حمد لوليّ النعمة
- القسم الأول: العبادات وحكمتها ٣٣
- الإنسان وحكمة العبادات ٣٣
- للعبادات أسرار باطنية يُحشر الإنسان معها
حكّم الصلاة وأسرارها غير آدابها
- حكمة ألقاب المعصومين (عليه السلام) وأوصافهم ٣٤
- لماذا كُنّي رسول الله بأبي القاسم؟
المعصومون (عليه السلام) يكلّموننا على قدر عقولنا
- الإمام السجاد وحكمة العبادة ٣٥
- معنى قول الإمام (عليه السلام): أنا ابن مكة ومعنى
من هو ابن منى؟
- حكمة التضحية هي التقوى الذي يصل إلى الله
التضحية في عصر الجاهلية
- عنصر العشق والمحبة في حكمة العبادات ٣٦
- سبيل الوصول إلى حكمة العبادات هو أن لا يرى العابد إلا المعبود
العارف بشأن يسّام ناجٍ من الماضي والمستقبل
- العشق والشوق ٣٧
- هدف الأئمة من عبادة الله



- معنى الشوق والأمل
 الفرق بين الشوق والعشق
 أفضل الناس من عشق العبادة
 المعنى اللغوي للعشق
 حكمة أفول ذكر بعض الوقائع وخلود بعضها الآخر
 ثمرة اجتناع الزهد والورع في المؤمن
 أولياء الله ودار العبدة ٣٩
 بعض صفات أولياء الله
 أولياء الله أهل الذكر وعجرائ الفيض وسبب نزول البركة
 زكريا بن آدم وكتاب الإمام الرضا عليه السلام إليه
 عنصر اليقين في حكمة العبادات ٤٠
 معنى أن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف
 صعوبة الوصول إلى حكمة العبادات
 ما من شيء أعز من اليقين
 الوصول إلى اليقين هو السر لكل العبادات ونيل الكمال
 حيرة الكافر والمنافق ٤٢
 معنى الشك والتردد
 العابد عارف بالطريق والمقصد
 الإنسان كالمسافر الذي طوى بعض العوالم وأمامه عوالم أخرى
 المؤمن في قرار والكافر في تردد ولا يصل إلى المقصد
 العبادة سلم الترقى ٤٣
 يتكو العارف للوصول إلى اليقين على العبادة
 ترك العبادة يؤدي إلى السقوط
 كيفية ظهور العبودية في يوم القيامة
 درجات الآخرة وليدة الأعمال في الدنيا
 إذا شعرنا بالطمأنينة فقد وصلنا إلى حكمة العبادة



- اعبد الله لأنك تُحِبُّه
- ٤٥ نعمة المعرفة والشهود
- مثال أهل اليقين في القرآن، إبراهيم الخليل
- إبراهيم الخليل و رؤية ملكوت العالم
- حثّ القرآن على الوقوف على أسرار العالم و رؤية الملكوت
- ٤٧ الأنبياء و باطن العالم
- عدم تطميع أيّ واحد من الأنبياء
- تهديد الإمام الخميني و عدم تطميعة
- تهديد النبي صالح
- من شهد باطن العالم لمرتعلق بالدنيا
- الدنيا هي كلّ ما يحجب الإنسان عن الله
- ٤٨ أولياء الله و باطن الدنيا
- الدنيا جيفة و طلابها كلاب
- إعراض علي عليه السلام عن الذهب و الفضة
- الحكومة و إجراء الحق و العدالة ليست بدنيا
- جانب من باطن الدنيا في كلام علي عليه السلام
- التهذيب طريق الوصول إلى الأسرار
- ٥٠ الفرق بين المدرستين
- الفرق بين الإسلام و الشيوعية
- يقول أهل المعنى: أطبق عينيك لترى
- طريق الاستماع إلى صوت الملكوت سدّ الأذن عن الكلام المحرّم
- ٥١ عالم الملك و الملكوت
- الفرق بين الملك و الملكوت كالفرق بين الظاهر و الباطن
- أداء الدين لله سبحانه يتيسر عبر الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر
- القول من دون عمل ناقص و العمل متمم للقول
- ٥٢ الحرمان من رؤية الملكوت

- الواصل إلى الملكوت لا يصاب بالشك
كيف هي عبادتنا؟
الأتباع الصادقون لإبراهيم الخليل
- ٥٣ محاسبة النفس
عناية القرآن بحركة الشفاء أيضاً
إذا قام الإنسان بما يعين الباطل فهو في تلك اللحظة غافل عن دين الله
الشيطان يخادع الإنسان عبر حباله الخاصة بالكائثر
الإنسان طيلة حياته إما أن يكون مشغولاً بتربية الأشواك أو غزل الحرير
دعاء الإمام الرضا عليه السلام و الدروس التي يحملها لنا
اقرار الذنب قيام على المحبوب و باطن الذنب ليس إلا النار و الدنس
- ٥٥ الوصية بالتوحيد
وصية أمير المؤمنين بحفظ الرسالة
لا توجد نعمة أعلى من نعمة التوحيد و لا ذنب أسوء من الشرك
الوصية بإقامة عمودي التوحيد و النبوة
- ٥٧ الدار الباقية و اشتياق اللقاء
اشتياق أمير المؤمنين و الحسين بن علي عليه السلام إلى لقاء الله
جانب من حكم حالة الاحتضار للنبي الأكرم ﷺ
علوم المعصومين عليه السلام ليست من العلوم المتواجدة في المدرسة البشرية
- ٥٨ النبي و أسرار القيامة
كان النبي إذا ذكر الساعة تغير وجهه
معنى قول النبي: «أنا و الساعة كهاتين»
من اعتادت عينا على رؤية ما لا يوجد في يوم القيامة يُحشر أعمى
طعام من يأكل الحرام في الدنيا «غسلين»
باطن الذنب نار
- ٥٩ ضغطة الموت و عارضة النسيان
يتم السؤال في يوم القيامة عن أبسط المسائل الدينية و لكن الكثير يصابون بالنسيان

- ذكر الله لا يتحدّد بزمن و عدد
بعض الناس لا يتذكر اسم النبي حتى بعد أحقاب من العذاب
تعامل النبي عند الإخبار عن القيامة
يدخل الإنسان عبر الموت فجأة في عالم لا يوجد له ارتباط بعالم الدنيا
في ليلة بدر حيث كان الجميع في قلق واضطراب كان النبي مشتغلاً بالدعاء حتى الصباح
يرى النبي نار جهنم لوصوله إلى مقام علم اليقين
طريق الوصول إلى حكمة العبادات و أسرار العالم ٦٢
الشعور بالعظمة في شهر رمضان يحول دون التلوّث بالذنب
لا شيء أبغض عند الله من البطن المלאئي
لا سبيل للوصول إلى حكمة العالم إلا إذا كان الإنسان مُحفّفاً في سريره
تخفيف الحمل عامل على الوصول و الإيصال
تلخيص حياة البعض بين المطبخ و بيت الخلاء
القسم الثاني: النية و حكمتها ٦٥
أفضلية النية على العمل ٦٥
كيفية العمل هي المطلوبة لا كميته
العمل الخالص هو الذي لا يُطلب الحمد عليه
النية الصالحة خير من عملها
إخلاص العمل لله و تطويع النفس و شيطان الباطن أمر عسير
حقيقة النية ٦٦
النية هي انبعاث الروح و طيرانها لا تجرّد الإخطار الحسولي و المفهوم الذهني
صحة العمل مشروطة بالنية و للصحة تبعاً للنية مراتب
العباد ثلاثة طوائف
تأثر الإنسان بالنية ٦٧
العمل الظاهري الصوري تابع للقصد القلبي وجوداً و عدماً
قوة النية تقوّي البدن الضعيف و ضعف النية يسبب ضعف البدن القوي



- ٦٨ الإخلاص و الرياء
 العقل نور يُعرف و يُعبد به الله و قد يؤول إلى الكسوف
 المخلص عاقل و المرائي غير عاقل
 اتّباع النبي ﷺ يسبب محبوبة الله
 لا يصل إلى الحكمة الملكوتية للإخلاص الذي هو أساس النية إلا من كان محبوباً لله
 دخول الرياء و السمعة في متن العمل العبادي يُبطل العمل
 ذكر عمل الخير يحذّ من طراوته
 من اتّخذ في المسائل التوصلية طابعاً عبادياً و راءئ فيها فقد أوقع نفسه في الهاوية
 الإنسان معرّض دوماً لهجوم وساوس الشيطان
 لا تكفي الاستعاذة اللفظية حين هجوم الرساوس
- ٧١ الملائكة و استشمام النية
 علم الملائكة بالنيات من خلال الرائحة الطيبة و المنتنة
 علم الإمام علي عليه السلام بالأسرار الباطنية لدى الأشخاص
 أهل النار يتأذون من ريح العالم التارك لعلمه
- ٧٣ يوم تبلى السرائر
 لا يوجد في يوم القيامة موضع يختبئ فيه الإنسان الخجّل
 كرامة النبي و المؤمنين محفوظة في يوم القيامة
 هل أن ظاهرنّا و باطننا متحدان؟
 أهل النار في الرؤية القرآنية هم أهل الخزّي و العار
- ٧٤ المنافق و سوء النية
 النفاق مرض قلبي كامن في النفس و قد يُخرجه الله
 مجرّد الاقتداء بالنبي من دون المشاركة في جهاد لا يكفي لدخول الجنة
 إذا نزلت سورة أو آية في القتال و الجهاد اتأقل البعض و أظهروا ضعفهم
 يقول الله سبحانه: قد نسدّ على المنافق طريق الفرار و الهزيمة من الطرفين ثم نخزيه
 معيار المنافق و ملاكه هو الناس
 لا يخفى على الله شيء

يتضح في يوم القيامة أن الله كان خبيراً ومطلعاً على الدوام

القسم الثالث: الطهارة و حكمتها ٧٧

الله يحب الطهارة ٧٧

المتعلق بالدنيا لا يصل إلى الله

السر من العبادة هو طهارة الروح الإنسانية

الطهارة توجب محبة الله و عالم الخلق يطيع من كان محبوباً لله

عالم الوجود بأسره جند لله و الله يحفظ حبيبه

الله يحب الطاهرين ٧٨

لا يكون له نصيب من فيض القرآن العظيم إلا من كان طاهراً

المطهرون الحقيقيون هم أهل بيت العصمة و الطهارة

حكمة الطهارة في الرؤية القرآنية ٧٩

المراد بالطهارة التي تمثل حكمة العبادة هو الطهارة المعنوية

شرح الآية المتعلقة بالوضوء و الغسل و التيمم

التيمم نعمة لا بد من شكرها

حكّم الوضوء في كلام النبي ﷺ ٨٠

أدب مراعاة النوبة في كلام النبي ﷺ

حكمة غسل الوجه و اليدين في الوضوء

حكمة مسح الرأس التطهر من الخواطر الباطلة و من المشي إلى الذنوب

حكمة المضمضة، طهارة الفم لذكر الله

أثر الوضوء في يوم القيامة

حكّم الوضوء في بيان الإمام الثامن عليه السلام ٨١

حكمة العبد هي قيام العبد بين يدي الله بجوارح طاهرة

لا يمكن الوقوف على حقيقة العبادات كحقيقة القرآن إلا للمطهرين

لا بد أن يكون العبد طاهراً من الرأس إلى القدم ليلتذ بالعبادة و يصل إلى حكمتها

الطهارة من الرجاسة و النجاسة ٨٢



- حكمة الوضوء هي من الرجس المعنوي و الشرك الباطني
معنى أن الكذبة تنقض الوضوء
للجهاد كسائر العبادات روح و جسم
إن الله سنّ كلّ عبادة على هذا الأساس و هو أن يكون الإنسان عبداً
لا عدوّ الدّ من عدوّ الباطن و لا نجس أشدّ من رجس النفس
- القسم الرابع: الصلاة و حكمتها ٨٥
اطمئنان القلب ٨٥
- ذكر الله يظهر عبر الصلاة و يؤدي بالقلب إلى الاطمئنان
حكمة الصلاة في سورة المعارج
المصلّي يقوم بإحياء الفطرة و قمع الطبيعة
المواظبة على الصلاة و الإنفاق ٨٦
- كان الإمام الرضا عليه السلام عند الطعام يبعث بحصة منه إلى المساكين
لا بد أن يكون الإنفاق من الأفضل
من مهام الحكومة الإسلامية الاهتمام بجميع الفقراء حتى ولو لم يكن مسلماً
لا يتقبل الله إنفاق المنافقين لأنهم اتّخذوه مغرماً
يربي الله إنفاق من يتخذه مغنماً
- زهد النبي ﷺ ٨٨
السبيل إلى معرفة قيمة الدنيا
- الصلاة و الإيمان بيوم القيامة ٨٩
ذكر المعاد يطهّر الإنسان
إن الله تعالى أقسم أن لا يعدّب المصلّين و الساجدين
إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّها صلاة مودّع
المصلّي و العهد و الشهادة ٩٠
- المصلّي يتمسك بعهوده و يشبث على ما يشهد به من وحدانية الله و الرسالة
المحافظة على أوقات الصلاة ٩١

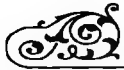
- الصلاة في أول وقتها ترتفع بضاء نقيّة
- للصلاة حقيقة حية و روح خالدة تدعو للمصلي و عليه
- إكرام الله المصلّين ٩١
- «الكرامة» تعبير لطيف
- الكرامة صفة الملائكة
- المصلّون في الجنة مكرّمون
- الحشر مع الملائكة ٩٢
- ظهور أسرار العبادة و الإطاعة قد يكون هو الطيران مع الملائكة
- اقتداء الملائكة بالمصلي من الشيعة
- ثلاث خصال للمصلي في كلام الإمام الباقر عليه السلام
- الشیطان بالمرصاد للأعمال الصالحة
- ما هو البر؟
- لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل عن الصلاة
- تواضع الإنسان في السجود ٩٤
- النبي: أعني لاستجابة الدعاء بكثرة السجود
- قد يصدر العمل الصالح من الآخرين و الإنسان يُشرك في عملهم
- الضعينة و المباغضة تحلّق الدين و تقلعه من الأساس
- إن أقرب ما يكون العبد من الربّ و هو ساجد بأك
- علاقة طول السجود بتخفيف الأوزار
- حكمة سلام المصلي ٩٦
- المصلي يناجي ربّه فإن عاد من الحضرة الإلهية و دخل في جمع الناس سلّم عليهم
- من لم يرجع أثناء الصلاة كيف يسمح لنفسه أن يسلم في آخر الصلاة
- أدب الصلاة ٩٧
- القيام للصلاة بثياب نقيّة طاهرة
- الباطن المثالي للصلاة ٩٧
- تظهر الصلاة على هيئة صورة بهية تحفظ المصلي من يمينه في القبر



- زكاة العلم والجمال والشجاعة
باطن الإنسان متحد مع باطن أعماله
كلُّ يُحشر على نيته
الباطن المثالي لبرّ الإخوان و ولاية أهل البيت عليه السلام
النيران المتقددة و كثر الصلاة ٩٩
الذنوب و الكلام السيء و الانحراف عن الصواب كلها نيران متقددة في يوم القيامة
البعض يكون بنفسه خطباً لجهنم و الصلاة كثر يطفئ نيران جهنم
خاصية الصلاة المذكورة في القرآن
بركات صلاة النبي زكريا ١٠٠
تنزل الرحمة الإلهية في أحسن حال و هو الصلاة
بُشر زكريا ببيحيى و هو في حال الصلاة
أخذ يحمي الشهيد الكتاب السماوي بقوة العقل و البدن
الصلاة و طهارة الروح ١٠١
الصلاة ميزان قبول الأعمال و ردها
الصلاة تستجلب للإنسان الكثير من الفضائل و تردع عنه الكثير من الرذائل
الصلاة توجه قلوب المؤمنين إلى المصلي
لا يأخذ الإنسان بزمام قلبه في الصلاة إلا إذا سيطر على جوارحه خارج الصلاة
حكمة صلاة الليل ١٠٣
عُقد اليوم تحلّ بصلاة الليل
الوصول إلى الله سفر لا يُدرك إلا بامتطاء الليل
وصية الأنبياء بالصلاة ١٠٣
أفضل شيء يُقرّب العبد إلى الله بعد المعرفة، الصلاة
صلاة الظهر و رحمة الله الواسعة ١٠٤
الميزة الخاصة لصلاة الظهر
أول صلاة أداها رسول الله هي صلاة الظهر
كان الإمام الرضا عليه السلام يدعو للجميع



- عند الزوال تفتّح أبواب الرحمة ويُستجاب الدعاء
استحباب البدء بالحرب بعد الزوال
الرضوخ للظلم ذلّ ولا يمنع الظلم الذليل
سبب كراهة البدء بالحرب قبل الزوال
الإنسان السماوي ١٠٦
- إذا ارتفع العمل ارتفع العامل لأنّها لا يتفصلان
فاعل الخير خير منه
فاعل الشرّ شرّ منه
لطيفة في تفسير البيضاوي حول لغة «تعالوا»
الميل إلى الطبيعة ١٠٧
- تشبيه صدر التألهين الإنسان المنغمس في الطبيعة بالشجرة المدسوسة في التراب
لا يعلو إلا من جعل عقله وسيلة لعقال شهوته وغضبه
لا تقارن نفسك بالفاسقين بل قارنها بالشهداء والصالحين
لا بد من علوّ الهمة
إنّ الله يُحبّ معالي الأمور ويكره سفاسفها
غُلب الخوف في مدرسة الإمامة
حبّ باطن الصلاة ١٠٩
- قال الإمام الحسين عليه السلام: إني أحب الصلاة
الإمام السجاد عليه السلام والصلاة
ألهتني عنها النار الكبرى
باطن الذنب، النار وباطن الثواب، الجنة
الفضل لمن يرى نار جهنم لا لمن يستدلّ عليها
وقوف بعض تلامذة المعصومين عليه السلام على أسرار العبادة
لا يُقاس بآل بيت النبي أحد
القسم الخامس: الصوم وحكمته ١١٣



- ١١٣..... ذم البطنة.....
 ما من أحد يصل عبر كثرة الأكل إلى المقصد
 البطن الملائى تغلق طريق الفهم
 الإكثار من الأكل يزيد في الكسل والنوم
 ذم التجشؤ
 طعام أمير المؤمنين عليه السلام البسيط
- ١١٤..... قيمة الحرية في الإسلام.....
 لذة ما في النداء يزيل تعب العبادة والعناء
 الاستغفار يحرر الإنسان من السجن
 لا شيء في الإسلام يضاهي قيمة الحرية
 الطريق لمعرفة الرقية والحرية
 الطريق للحرية هو الاستغفار
 الهدف من الثورة الإسلامية هي أن نكون عباداً لله
 اندلعت الثورة الإسلامية لتحرير الدين من الأسر
 تم التعبير عن الدنيا في الروايات باللمظة
 شهر رمضان هو شهر التحرر
- ١١٧..... الصوم وجزاء الصائم.....
 الله هو الذي يجزي بالصوم
 جميع الأشياء والموجودات في عالم الإمكان لله
 كل ما في العالم يذكر الله
 مراتب الصوم
 كلام المجلسي عليه السلام حول حديث «الصوم لي و...»
- ١١٨..... كيفية الجزاء.....
 جزاء البعض جنة اللقاء وجزاء البعض الآخر جنات
 الفرق بين جزاء الصوم وجزاء سائر العبادات
 كلام ابن الأثر حول حديث «الصوم لي و...»



- درجات التقوى ولقاء الله ١١٩
- الصوم للوصول إلى التقوى وللمتقي درجتان: نعيم الجنة والمقام عند الله
للصائم فرحتان
لا تتعلق بما هو معرض للزوال
الصائم يطلب من الله الجمال المطلق
إفطار غير المسلم والوقف للكافر
- قيمة الإنسان ١٢٢
- أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها
أفضل طريق للوصول إلى الله هو الصوم
باطن الصوم يظهر بصورة لقاء الله
- دور الصوم في حل الصعاب ١٢٣
- إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم
إن الله يُيسر الأعمال لمن يسير في الصراط المستقيم
الصوم قوي بدرجة يجعل الإنسان مهيمناً على عالم الطبيعة
- الملائكة والدعاء للصائم ١٢٤
- الملائكة موكلون بالدعاء للصائم ودعاؤهم مستجاب
بطائن فرش الجنة من حرير وإستبرق
لرئيس حرير فرش الجنة بواسطة دودة القز بل نسجه الصوم والصلاة
الفرق بين صوم العوام والخواص والأخص
- طيب فم الصائم ١٢٦
- الصوم يُعطر الإنسان في يوم القيامة
باطن الصوم يجعل الإنسان غاطباً لله
الملائكة يضربون البعض عند الموت
لماذا يضرب الملائكة البعض على وجوههم وأديبارهم؟
- رمضان شهر الله ١٢٧
- شهر رمضان شهر الله، ورجب شهر الولاية، وشعبان شهر الرسالة



- وجه تسمية شهر رمضان
البركة هي الخير الدائم
شهر رمضان أفضل الشهور
الأمر العام والخاص في شهر رمضان
شهر رمضان والتخلّق بأخلاق الله ١٢٩
- الصائم ضيف ربّ يُطعم ولا يُطعم
من غرر كلمات رسول الله أن «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»
طلب التوفيق من الله لنصرة الدين وحفظه
شهر رمضان وطلب كرامة ١٣١
- الكرامة هي النزاهة عن الدناءة والحقارة
الدعوة إلى الإنتاج والابتعاد عن البطالة
استدلال أمير المؤمنين في تحقير الثروة وتكريم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الكرامة لا تُحدّ بحدود الاعتبارات الدنيوية
يقرن القرآن أصحاب العلم والمعرفة والتوحيد بالملائكة وأصحاب الأكل و... بالأنعام
قبول العمل وتقبّل الصالح ١٣٣
- التنفس في هذا الشهر بمثابة قول «سُبْحَ قَدُوس»
قبول العمل مقدمة لأن يتقبّل الله الإنسان نفسه
الصالح هو الصالح في جوهر ذاته
تقبّل الله الكريم مريم
الصوم والإيمان بيوم القيامة ١٣٤
- اذكروا بجوعكم وعطشكم في شهر رمضان جوع يوم القيامة وعطشه
التصدّق والإطعام ١٣٥
- الفقر ليس بذلّ والحزني والضعة أمر مشين
عدم اعتناء الفقراء بالأغنياء اتكالا على الله
اقتران التصدّق بالاحترام وقصد القرية لا بالتحقير والترحم
إفطار الصائمين



- تدليس معاوية و ترويح مذهب الجبر
جواب الأحنف بن قيس لمعاوية وأنه خلط بين المفاهيم
توقير الكبار و العطف على الصغار ١٣٦
توقير من هو أعظم منزلة
حفظ اللسان ١٣٧
لا بد من حفظ اللسان طوال شهر رمضان لا خصوص النهار
من عرف الله حفظ لسانه من كل كلام باطل
لا تسبيء إلى من تحبه
نفس الإنسان أحبّ الأنفس إليه
أولياء الله أهل التأمل و التفكر
قيمة اكتساب العلم ١٣٨
لرستفد أحد من النبي يمثل علي
كان علي ملازماً للنبي في كل مكان
البعض نورانيون، كلامهم و عملهم و سلوكهم نور
لا يوجد شيء في ليالي القدر يضاهي اكتساب العلم
العلم هو الذي يهيء الأرضية لوصول الإنسان إلى العقل
الابتعاد عن النظر المحرّم و التوجّه إلى الدعاء ١٤٠
النظرة إلى غير المحارم سهم من سهام إبليس
أفضل حالة للدعاء هي حالة الصلاة و التعقيبات التي تليها
المفاسح و المغلاق ١٤١
مفاتيح السماوات و الأرض بيد الله
تم التعبير عن تدبير الله و ربوبيته بالمفتاح
أبواب الجنة مفتوحة على الدوام و أبواب جهنم تغلق بعد دخول أهل النار فيها
إغلاق أبواب جهنم بذاته ضرب من العذاب
المراد بإغلاق أبواب النيران في شهر رمضان هو قلة غضب الله و سخطه في هذا الشهر
أسباب تعزيز أسس الدين ١٤٣



- الحنان بمثابة الملاط الذي يستند إليه بناء الإسلام و الإيمان
لا تظلموا أيتام الناس حتى لا تُظلم أيتامكم
الأموات يزورون أهاليهم بما تقتضيه حالاتهم
لا بد أن تكون الروح الحاكمة على المجتمع الإسلامي روح الأخوة والمحبة مع جميع طبقات المجتمع
موقع الشيطان في شهر رمضان ١٤٤
- الشياطين مكبلون بالأغلال في هذا الشهر
الشيطان مأمور بالنباح على حدّ الوسوسة
الشيطان لا يقوم بفعل إلا بإذن الله
يتسلط الشيطان على الكفار كالكلب المعلم
الشيطان من الجنّ وكان يعيش مع الملائكة
قوانا النفسانية آلة بيد الشيطان
- الورع ١٤٦
- أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن معاصم الله
للورع درجات: ورع أهل التوبة و ورع أهل الصلاح و ورع أهل التقوى
أعلى درجات الورع ورع الصديقين
- وداع شهر الله ١٤٧
- شهر رمضان من أفضل النعم الإلهية
للعارف في كلّ نفس عيدين
ضيافة الله يتبعها لقاء الله
شهر رمضان من نعم الله الخاصة على المسلمين
لا يتحقق الوداع إلا لمن كان مأنوساً بشهر رمضان
- أفضل ما يُتفّع من شهر الله ١٤٩
- لم يربح أيّ تاجر بمثل ما ربحه المؤمن في هذا الشهر
أولّ السنة لأرباب السير والسلوك هو شهر رمضان
- أنين الفراق ١٥٠
- وداع مع عزيز عزّ فراقه



- كفى بالصوم فضلاً أن يرتقي الإنسان إلى ذروة الشبه بالملائكة
توديع هذا الصديق العزيز ومشايسته
السلام عليك يا عيد أولياء الله
- ١٥١..... رمضان وتعليم الدعاء
السلام عليك من شهر عرفنا فيه ما نريد
المهاجرون المسلمون وطلب الرزق من الله
- ١٥٢..... الوداع من صفاء الباطن والنشاط
قرين أفجع فقده وأكر فراقه
نشاط هذا الشهر مفقود في سائر الشهور
- ١٥٢..... القلوب الرقيقة والأفكار الصافية
مجاورة هذا الشهر يؤدي إلى رقة القلوب وقلة الذنوب
الأفكار الصافية تنبع من القلب وتتشرب عبر البيان والبيان
لقب الإمام المهدي عليه السلام والعالم بالماء المعين لأنه ينبع كالعين الصافية
- ١٥٣..... شهر السيطرة على الشيطان
الغلبة على الشيطان في البعد السلبي والإيجابي
- ١٥٤..... التحرر من قيد الشهور ونيل السعادة
لا نعمة أفضل من الحرية والتحرر
ستارية الستار تهيء المجال لمغفرة الغفار
شهر رمضان ما أطوله على المجرمين
- ١٥٥..... المنافسة مع سائر الشهور
شهر رمضان لا تنافسه الشهور
- ١٥٥..... التطهير والتغسيل لا التعب والنصب
في الفترة التي كنت بضيا فتألمت شعراً بعذاب ومشقة
وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطيئات
- ١٥٦..... الوداعات الأخيرة
كم من سوء صرف بك عنا



السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر
أنت ولي ما آثرتنا به من معرفته و هديتنا له من سنته و قد تولينا بتوفيقك صيامه و قيامه على تقصير
اللهم فلك الحمد إقراراً بالإساءة و اعترافاً بالإضاعة
أجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك

- القسم السادس: الاعتكاف و حكمته ١٥٩
- من شؤون العبادة ١٥٩
- للعبادة شؤون مختلفة و قد لا يشترط فيها الحركة
الاعتكاف هو الإقبال على الشيء مع تعظيم
أبرز مصداق للعبادة ١٦٠
- الاعتكاف عدل للطواف و مثيل للركوع و السجود
مسألان مهمتان في الاعتكاف ١٦٠
- ١ - الاعتكاف ليس كالصلاة حتى يمكن الإتيان به في أي مكان
٢ - الصوم الذي هو من أركان الدين المهمة يعتبر من شرائط الاعتكاف
الاعتكاف الباطل ١٦٢
- يقوم البعض بالعكوف و التعظيم أمام الصنم و العجل
نهى أنبياء الله و منهم إبراهيم الخليل عليه السلام الناس عن الخضوع للأصنام
الاعتكاف عبادة مستقلة ١٦٣
- الاعتكاف عبادة مستقلة كالصوم و الحج و الصلاة
اعتكاف الصالحين ١٦٣
- أي اعتكاف لا يضاهي اعتكاف عباد الله الصالحين
أقل مدة للاعتكاف ثلاثة أيام
الاعتكاف و قضاء حاجة المؤمن ١٦٤
- للمتعتكف أن يخرج من المسجد للمشاركة في صلاة الجمعة و قضاء حاجة المؤمن
من سعى في حاجة أخيه المسلم فكانها عبد الله تسعة آلاف سنة
الدعاء و المناجاة في حال الاعتكاف ١٦٥

الاعتكاف في أيام البيض من شهر رجب
 الإنسان المعتكف قريب من الله من جهات عدة
 لا يردّ الله سبحانه المعتكف خائباً
 ما هي الأدعية التي ينبغي للمعتكف الدعاء بها؟
 مشاركة النساء في الاعتكاف
 المساندون للاعتكاف

- القسم السابع: تلاوة القرآن وحكمتها ١٦٩
 مع القرآن ١٦٩
 لو أصبح العالم بأسره كافراً و كان القرآن معي لما استوحشت
 علينا أن لا نلوث محيط عملنا و بيتنا بالغفلة عن الله
 ضياء البيت ١٧٠
 البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء
 سميت فاطمة بالزهراء لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء
 ظلمة غير المؤمن ١٧١
 الملائكة وحمة العرش يستغفرون للمؤمنين
 لا يرى الملائكة غير المؤمنين
 يستطيع الإنسان أن يربّي نفسه حيث أراد
 إن عررائيل عليه السلام يتصفّح البيوت في كلّ يوم خمس مرات
 نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن
 أهمية الحضور في الاجتماعات والمساجد
 تجلي الله سبحانه ١٧٣
 لا نصل إلى حكمة التلاوة إلا إذا شاهدنا المتكلّم في كلامه
 الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن
 قول لبيك عند تلاوة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
 كما أنّ يد المؤمن يد الله فإنّ كلام المؤمن كلام الله أيضاً



- تجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه
 ١٧٥ معنى تجلى القرآن
 التجلي غير التجافي
 معنى تنزل القرآن و نزوله
 ١٧٦ تجلي ملك الموت
 يتجلى ملك الموت للمحتضر
 تجلى الله لموسى الكليم عليه السلام
 ١٧٦ فضل حكمة القرآن
 حامل القرآن يُحشر مع الملائكة
 خطر اليهودية في عدم العمل بالقرآن و التأذّب بأدابه
 يمرّ القرآن في يوم القيامة على صفوف مختلفة حتى ينتهي بالله
 ١٧٧ تعليم القرآن و تعلّمه
 من سهل عليه حفظ القرآن و تعلّمه فله أجر واحد و من شقّ عليه ذلك فله أجران
 للإنسان في الجهاد مع الجهل و العدو الباطني ثلاث حالات
 لكل أحد شيطان يصحبه
 من مات على فراش المرض مؤمناً بأحكام الله فقد مات شهيداً
 ١٧٩ الاعتصام بالعهد الإلهي
 النظر في المصحف عبادة
 أهمية تلاوة القرآن في شهر رمضان
 القرآن جبل الله
 القرآن سدّ منيع لا يأتيه الباطل من بين يديه و من خلفه
 لا يصل الإنسان إلى حكمة التلاوة إلا إذا رأى من الذي مسك بيده الطرف الآخر من الجبل
 آيات القرآن خزائن إلهية ليس لها انتهاء
 القرآني يجري مجرى الشمس و القمر
 ١٨١ فهم و شعور الكائنات
 اختلاف فهم المفسرين لبعض الآيات



- لجميع الأشياء فهم و شعور
الحجر الأسود يشهد في يوم القيامة
طَيَّبُوا أَفْوَاهَكُمْ فَإِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طَرِيقُ الْقُرْآنِ
القرآن مآذبة الله الحاضرة
- ١٨٣ لسان أهل الجنة
تأثير الباطن في الصورة واللفظ والكلمات في القرآن
النبي داود عليه السلام قارئ أهل الجنة
- ١٨٥ القسم الثامن: الدعاء وحكمته
١٨٥ آداب الدعاء
ما الذي نطلبه من الله؟
الدعاء بصوت هادئ
- ١٨٦ القرب الإلهي
الآيات الدالة على قرب الله
المراد من حيلولة الله بين المرء وقلبه
ابن آدم أجوف
- ١٨٨ النداء أم التجوئ؟
إذا قرب الإنسان من الله استبدل النداء بالتجوئ
ارفعوا أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم
استحباب مسح اليد على الرأس والوجه بعد الدعاء
الجنة يُشَمُّ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُحْرَمُ ذَلِكَ
- ١٨٩ هدية العجز والذل
إذا تشرف العبد بخدمة مولاه لا ينبغي له إلا تقديم الضعف والعجز والابتهاال
- ١٩٠ الدعاء والقضاء والقدر
إشكال مشترك بين الدعاء والصدقة وصلة الرحم
جميع الأمور منتظمة منذ الأزل ولكن تم تنظيم كل أمر بعلمه وأسبابه

- الدعاء في دائرة لوح المحو و الإثبات فما دون لا في عالم اللوح المحفوظ
- التسليم و الإخلاص في الدعاء ١٩٢
- أولياء الله لا يدعون إلا لكون الدعاء عبادة و هم تسليم محض
الحث على الدعاء و ذم المعرضين عنه
كل عبادة دعاء و كل دعاء عبادة لا بد أن تتم بإخلاص
علامة الزهد أن يثق الإنسان بما في يد الله أكثر مما في يده
إن الله يستجيب دعاء المؤمنين لأنه عن إخلاص
- الدعاء في أرض منى ١٩٣
- طلب حسنات الدنيا و الآخرة من الله
الطائفة التي لا تطلب إلا زخرف الدنيا و زبرجها تخلو صفقتها من المعنويات
نماذج من أدعية أولياء الله ١٩٤
- طلب النبي إبراهيم من الله أن يجعل أئمة من الناس تهوي إلى ذريته
طريق المحبوبة بين المؤمنين
ما هو الصراط المستقيم؟
لا حجاب بين الله و بين خلقه إلا حجاب النفس
- العلو و الرفعة في الدعاء ١٩٦
- اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي
اللهم صن وجهي باليسار و لا تبذل جاهي بالإقتار
اطلب من الله الكرامة فإن المال إن اجتاز عن حده صار وبالاً
عظمة النبي ﷺ ١٩٦
- الإنسان الكامل يتحلّى بروح الكرم
الإمام المسجد عليه السلام: أ في حرم الله أسأل غير الله
- علو الهمة في الدعاء ١٩٧
- اجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك و أقربهم منزلة منك
إن الله يحب معالي الأمور
و الله لو لم يكن في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية



- ١٩٩.....التوسّع في الدعاء
استوسع رحمة الله و ادع لجميع الناس
ادع لأربعين مؤمناً عند السحر يعني اقض في اليوم حاجة أربعين مؤمناً
إذا دعا أحدكم فليعمّ فإنه أوجب للدعاء
- ٢٠٠.....الدعاء المستجاب
تبحّروا في قلوبكم فلأن وجدتموها خالية مما سوى الله فادعوه
بين السماء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم
إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرأ إلا الله
لا يكون الإنسان موحداً في الدعاء إلا إذا رأى جميع الوسائل عديمة التأثير
مقام الملك و السلطنة هو الذي يُقرر في مسألة ظلم اليتيم
- ٢٠٢.....صفاء الباطن
القلب الذي لا يحمل في مكنونه سوى رضا الله وإحياء دينه فهو قلب طاهر
«الأنا» تحرم الإنسان من الفيض
أخبروني في عالم الرقيا بأن عدوك نفسك ليس إلا
يُبصر الله الزاهد بعيوب الدنيا ودائها ودوائها
- ٢٠٣.....فضيحة الشرك
كيف يجتمع الإيـمان مع الشرك؟
- ٢٠٤.....المضطر والمجيب
غير المضطر لا يفهم أن الأمور بيد من تكون
يقول الموحّد: أشكر الله على أن حلّ مشكلتي عبر هذا الطريق
- ٢٠٥.....حقيقة الدعاء
لا ينبغي أن نطلب من الله غير الله
حقيقة الدعاء هو أن يزور العبد ربه فيستضيفه الله و يُقبل عليه
- ٢٠٦.....الشاهد والمشهدود
لا يصل الإنسان إلن سرّ العبادة إلا إذا شاهد المعبود
الدرجات البدائية و النهائية لمشاهدة المعبود

وصل على ﷺ إلى المرحلة النهائية للعبادة

- القسم التاسع: التولي والتبري وحكمتها ٢٠٩
- الجازبة والدافعة في المخلوقات ٢٠٩
- الجذب والدفع مودعان في المؤمن برقة
- الجذب والدفع في النباتات
- يظهر الجذب والدفع في الحيوانات على هيئة شهوة وغضب وفي الإنسان بصورة محبة وعداء
- إن ازداد رقة ولطافة ظهر على صورة التولي والتبري
- حرم الله ٢١٠
- قد يجعل الإنسان الله وسيلة للوصول إلى الجنة وهذا ناجم من الهمم الدنية
- لا تجتمع الرهبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة
- تولي رسول الله ﷺ ٢١١
- كل ظاهرة تقاس بميزان خاص
- أعمال الإنسان وعقائدهم توزن في يوم القيامة بميزان «الحق»
- ثقلوا ميزان أعمالكم بالصلاة على النبي
- الصلاة باقة ورد تهديها إلى رسول الله من روضته
- معنى الصلاة على النبي ﷺ ٢١٢
- اجعل دعاءك وحاجاتك محفوفة بالصلاة
- الإمام السجاد عليه السلام وطريقة دعائه وطلب حاجته
- يصل المؤمن إلى مرتبة يحظى بصلاة الله سبحانه والملائكة عليه
- إن صلاة الله التي تعتبر من صفات فعله إنما هي الإدخال إلى النور
- البرق الخاطف لا ينفع المسافر الذي ظل طريقه في غسق الليل
- الإنسان الطالب للدنيا لا ينفعه النور الذي يبرق في قلبه ثم يطفأ
- قلوب الأولياء أوعية لمشية الله
- أهل البيت يمثلون مجرى الفيض والرحمة الإلهية للعباد
- الصورة البهية للولاية ٢١٤

- الصور الست التي تدخل مع المؤمن في قبره
بعد التعارف تقول الصورة التي هي أبهى هيئة: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين
حكمة محبة أهل بيت النبي تتجسم بصورة نورانية
أفضل ذخّر في الحياة ٢١٥
- قيمة كل امرئ بمقدار حبه و كلّ يُحشّر مع محبوه
الصلاة على آل محمد من واجبات التشهد و هي تقع في وسط العبادة
حكمة المحبة ٢١٦
- المرء مع من أحب و المحبة الخالية من الطاعة ليست بمحبة
الساعات الأخيرة من عمر النبي ﷺ و بكاء بعض الأصحاب لفقدان المحبوب
أنت مع من أحببت و لك ما اكتسبت
حديث بين الوالد و ولده ٢١٧
- الأصمغ بن نباتة و بكاؤه على شهادة مولى المتقين
قول أمير المؤمنين للأصمغ: لا تبك يا أصمغ فإنها و الله الجنة
آخر حديث لعلي عليه السلام للأصمغ بن نباتة بطلب منه
لعنة الله على من انتمى إلى غير أبيه
النبي أبوكم و من لم يرتبط بهذا الأب فقد شملته لعنة الله
أجرة النبي ليست إلا المودة لأهل بيته
المودة وليدة المعرفة و المعرفة وليدة الطاعة
تقبّل الولاية من أعماق القلب ٢١٩
- المحبة غير الطاعة القانونية
حب الحسين بن علي عليه السلام هو الذي يحفظ البلاد
سفر الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة و تورّم قدميه
طلب الرجل البدوي من الإمام عليه السلام: ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكهم أهل البيت
المظهر الأتم للولاية المطلقة ٢٢٠
- أصبح آدم مسجوداً للملائكة لتكريم الولاية المطلقة
علي بمثابة نفس النبي



- صاحب الجنة..... ٢٢١
- طنين حلقة باب الجنة «يا علي» .
- كلام العلامة الطباطبائي في شرح الحديث
- مدينة الحكمة..... ٢٢٢
- النبي مدينة الحكمة و علي بابها
- الدخول في مدينة الحكمة و هي الجنة لا يمكن إلا عبر الاستمداد بالولاية
- فضائل علي عليه السلام في كلام سعد بن أبي وقاص..... ٢٢٢
- لأن تكون لي واحدة منهم (من أربع خصال) أحب إلي من الدنيا وما فيها
- ١- علي من النبي و النبي من علي..... ٢٢٢
- نزول سورة براءة و القيام بالمهمة بواسطة علي عليه السلام
- كلام الإمام الصادق عليه السلام لولده عبد الله
- ٢- سدّ الأبواب إلى باب علي عليه السلام..... ٢٢٣
- ٣- حامل الراية في خير علي عليه السلام..... ٢٢٤
- علي عليه السلام لا يهاب الموت
- لا تخلطوا الأحاسيس و العواطف في المسائل العسكرية
- أي الأسراء يمكن أن يُخصص لهم مقدار من بيت المال لإطلاق سراحهم؟
- ما الموت إلا فتنة للعبور إلى عالم الآخرة
- قلعت باب خير بقوة ملكوتية و نفس بنور ربها مضيئة
- البدن تابع لقوة الإرادة
- ٤- حبيب قلب النبي ﷺ..... ٢٢٥
- علي خليفة النبي في المدينة في معركة تبوك
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى
- شريك القرآن..... ٢٢٦
- لغة «الشريك» و معنى أن المعصومين عليهم السلام شركاء القرآن
- علي عليه السلام ناطق بالقرآن
- ٥- خليفة النبي ﷺ..... ٢٢٧



- واقعة غدِير خم عن لسان سعد بن أبي وقاص
 بيان المقام الرفيع للإمام عليه السلام ٢٢٧
- مقام الإمامة موهبة لا وراثة
 كلام محمد بن الحنفية حول الإمامة والوراثة
 الحسين بن علي عليه السلام في كلام محمد بن الحنفية
 قرأ الحسين عليه السلام الوحي قبل أن ينطق
 الإمام بمثابة النجم لا تناله الأيدي ولا تدركه العقول
 وفاة الإمام الخامس وتعزية سائر بني أبي حفصة وأصحابه للإمام الصادق عليه السلام
 الإمام الصادق ينقل عن الله بلا واسطة
 الأئمة والمُخرجون من مدرستهم ٢٢٩
- الإمام الصادق عليه السلام والمقام الشامخ لحمران بن أعين
 لولا الأجل الذي كتب الله على أوليائه لم تستقر أرواحهم في أجسادهم
 شعور شهداء كربلاء أمام نبال الأعداء
 اشتياق المتقين للحلوق بذلك العالم
 تلامذة الأئمة لم يكونوا على درجة واحدة
 محمد بن أبي نصر البزنطي وضيافة الإمام الرضا عليه السلام له
 سورة هل أتى بيان لمقام الأبرار وأهل البيت قد نالوا مرتبة المقربين
 صوم أهل البيت وإطعامهم الطعام للمسكين واليتيم والأسير
- القسم العاشر: الذكر وحكمته ٢٣٣
- ذكر الله ٢٣٣
- تحلي عبادة الله بالذكر
 تقسيم الذكر إلى أنحاء متعددة
 تقسيم الذكر إلى القلب والقالب
 الذكر في قبال الغفلة والسهر والنسيان والذكر في قبال الخمول والحمود
 الذكر اللساني ٢٣٤

الذكر اللساني في قبال الذكر الفعلي و العملي	
الفعل الذي يُذكر بالله يُسمى ذكراً	
المواطن التي يكون السكوت فيها بحد ذاته ذكراً لله	
أقسام الذكر	٢٣٥
تارة يُقيّم الذكر بلحاظ المذكور و أخرى بلحاظ الذاكر و ثالثة بلحاظ الكمية و الكيفية	
بحث في العناوين الأربعة لمظاهر أسماء الله و صفاته	
العناصر المحورية للذكر	٢٣٦
تعود العناصر المحورية للذكر إلى تحليل حقيقة الذكر من حيث المبدأ الفاعلي و الغائي و القابلي	
لا ينبغي تبديل الأذكار الماثورة في الفرائض العبادية أو النوافل الخاصة	
أساس بعض النوافل و المستحبات يتتني على تعدد المطلوب لا كلها	
جوهر الذكر و الدعاء و السؤال	٢٣٧
قد يتحقق الذكر من دون اقترانه بالدعاء أو الطلب	
منزلة الذاكرين تختلف عن منازل سائر العابدين	
المراد بالذكر القلبي المؤثر هو الذكر التصديقي و الإيماني المستلزم لنسيان أو تناسي الباطل	
الذكر الخطوري و التصوري ينسجم مع الاشتغال بالباطل	
إن لم يصل العلم في العقل النظري إلى الإيمان في العقل العملي لا يكون منشأ للأثر	
قد لا يحول مانع أمام العقل النظري لمعرفة الحق، بيد أنّ العقل العملي يشكل عليه الإيمان	
الفصل الأول: الذكر و العقل النظري و العملي	٢٣٨
كل ما يؤدي إلى حضور الله و أسبائه و صفاته فهو ذكر لله	
يمكن امتثال الأمر بكثرة الذكر بدوام الاشتغال بالعلوم الإلهية	
الطوائف الداخلة في زمرة الذاكرين كثيراً	
المتعارف من خلق الذكر في حديث النبي هي خلق الدرس و التعليم	
إقبال المستمع و ظهور استعداد المتعشش بمثابة امتصاص اللبن الذي ينبع من قلب المعلم و الأستاذ	
على السالك الذاكر إخضاع كل قواه المدركة تحت قيادة العقل النظري	
السالك الذاكر خليفة لله و الخليفة مظهر و آية للمستخلف عنه	
الفصل الثاني: الذكر حياة	٢٤١

- الفكر الميت أو العمل الميت لا أثر له سوى الضرر
كل عمل لم يذكر اسم الله عليه كان ميتة متعفنة ويظهر الأثر السيء له في حياته
اسم الله وذكره بمثابة نفخة المسيح التي هي خليفة نفخة الله
العالم التارك للعمل والعامل المتهتك والتارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أموات متحركون
ملاحظة: الاختصار على الذكر المأثور ٢٤٣
- كل اسم من أسماء الله الحسنى سواء كان على وجه التسمية أو التهليل أو التكبير أو التسبيح أو
التحميد يؤثر في صيانة الجهد العلمي أو العملي من أن يكون ميتة
الفصل الثالث: مراتب الذكر ودرجات الذاكر ٢٤٣
- للذكر والذاكر درجات والمرتبة العالية لها هي هدف السالك
الذكر بالنظر إلى نعمة الله وإلى اسم الله وإلى الله نفسه
الجمع بين المواهب المادية والمعنوية كمال مطلوب وتحديد الاسم الأعظم هدف عال
بما أن مقام الهوية المطلقة أعلى من عنوان «الله» تكون الآيات الدالة على ذكر تلك الهوية أعلى
الهدف الأسمى لمراحل الذكر هو ذكر الهوية المطلقة
ملاحظة: اختلاف الخطاب في اختلاف المخاطب ٢٤٥
- قد تكون دَعَوَات القرآن المتنوعة ناظرة إلى مراتب الذكر
الكل مأمور بذكر الله ولكن لا يُخاطب الجميع بذكر الهوية المطلقة
تنبيه: مراتب المذكور الأربعة للذاكر ٢٤٦
- قد تكون رحمة الله الخاصة هي الذاكر والمذكور لها هو العبد الخاص
الله أكبر من حيث المذكور والذاكر في سورة العنكبوت
في جنب «بسيط الحقيقة كل الأشياء» لا يكون السالك الذاكر شيئاً فضلاً عن أن يكون ظلاً
ملاحظة: نصوص التكبير ٢٤٧
- بما أن معرفة الموحدين لله متفاوتة فإن النصوص الواردة في التكبير أيضاً مختلفة
الفصل الرابع: مراتب ذكر الله ٢٤٧
- ذكر الله تارة يكون خوفاً من النار وأخرى طمعاً في الجنة وثالثة شكراً للنعمة
الذكر الذي يكون لشهود الجمال المحض والجلال الصرف يفوق نطاق الخوف والطمع
ملاحظة: ذكر الذاكر محفوف بذكرين من الله ٢٤٨

- الذكر يكون محفوفاً بذكرين من قبل الله كما أن توبة العبد محفوفة بتوبتين من قبل المولى
السالك الذاكر سواء أكان ذاكر الله أو مذكوراً من قبل الله فهو في حال الذكر
قراءة الآيات الإلهية و تلقّيها بالإنصات والاستماع كلاهما ذكر
- ٢٤٩..... السكوت الإيجابي و السكوت السلبي
- السكوت المنصت و المستمع للكتاب التدويني و السكوت المخاطب و المنتظر للكتاب التكويني،
ذكر و فكر و شكر لله
- السكوت الساكن و الراكد لا يكون له أثر إيجابي سوى السهو و الذهول و النسيان
تنبيه: ذكر الله بمعناه الشامل يكون معقولاً و محسوساً
- ٢٥٠..... الفصل الخامس: آثار ذكر الله
- يجد الذاكر نفسه في مشهد الله فيحترز عن الأعمال السيئة
يسعى الذاكر تائباً لرفع الذنب المقترف
- الذكر يسدّ باب السهو و الغفلة و يستبدل النسيان بالتوجّه و الالتفات
لا يُتوقع من الشيطان سوى التعدي و التجاوز الدائم فلا بد من أن يستمر عامل دفعه أو رفعه
- ٢٥٢..... أثر الإخلاص الخالص
- أثر الإخلاص الخالص يفوق أثر كثرة الذكر
أهل النفاق يذكرون من أجل الدنيا لا للخلاص منها
عند هجوم العدو لا بد من الاستنصار بكثرة ذكر الله و الاستغاثة به
وصف الله سبحانه الناجين و المتقين بالذكر الكثير
- ٢٥٣..... ملاحظة: أثر ذكر مظاهر الله و آياته
- أمر الله نبيه الأكرم ﷺ بذكر الأنبياء السابقين
- ذكر الله و الإخلاص فيه و الاستمرار عليه له دور مؤثر في الغلبة على الطغاة
التأثير الهام لذكر الله أدّى إلى أن الله تارة يأمر بالتزام القوة و أخرى ينهى عن الرني و الضعف
أمر موسى الكليم ﷺ بأن يُذكر أمته بأيام تجلي قدرة الله
كل مرحلة يتجلى فيها فيض الله الغيبي فهي يوم من أيام الله الخاصة
- ٢٥٥..... خطر نسيان الله
- التحليل العقلي لآثار نسيان الله السلبية و الغفلة عن ذكره

- لا يمكن معرفة المعنى الربطي و الحرفي من دون معرفة معنى الذاتي
معرفة الله إن كانت ناشئة من معرفة النفس يكون نسيان الله أيضاً ناجم من نسيان النفس
- ٢٥٦..... الفصل السادس: أفضل ذاكِر ومذكور.....
- ورد في الأدعية المأثورة أن الله هو أفضل ذاكِر ومذكور
أحد أسماء الله الحسنى «الذاكر» و الأخرى «المذكور»
كون الله خير الذاكرين و خير المذكورين لا يتناقى مع التوحيد في الآثار والأفعال
- ٢٥٧..... استدامة الذكر.....
- السالك الذاكر يسعى لأن يتخلّق بالأخلاق الإلهية و أن يكون ذاكِرآله على الدوام
من أكمل مراتب ذكر العبد لمولاه في الأدعية مضافاً إلى الاستدامة هو الوجد و الهيام بذكر الله
- ٢٥٨..... أكمل صفات الذكر.....
- أتمّ صفات الذكر مناجاة الذاكرين
- ٢٥٩..... ملاحظة: كيفية الذكر.....
- تارة يكون ذكر الله على هيئة الدعاء و أخرى على نحو وصف الله أو إقامة البرهان على وجوده
تنبيه: سكينه السالك الذاكر في نهاية الأمر.....
- ٢٥٩..... السالك في طليعة أمره يصيبه الوجل من ذكر الله ثم يزداد إيمانه شيئاً فشيئاً إثر أنسه بالمذكور و
يطمئن قلبه و قاله إلى ذكر الله
- ٢٦٠..... ملاحظة: الخوف البدوي للقاسي و الساهي.....
- الخوف الذي يستولي على قلب القاسي يختلف عن الوجل الذي يتتاب السالك الذاكر في بداية طريقه
رأي القرآن حول الأمن الصادق و الكاذب
- ٢٦١..... ملاحظة: أثر ذكر الله في القلب.....
- ذكر الله يسوق السالك الذاكر إلى الإنتاج و العمل و تأمين متطلبات المجتمع الإسلامي
أولياء الله و لرسوخ ذكر الله في قلوبهم لا يغفلون عن العبادات المالية أيضاً
يتركون النبي قائماً
- ٢٦٢..... ذكر ما في المتون الدينية.....
- لاقتران ذكر الله بالمعارف و الأحكام
السّر في عدم أو قلة تأثير بعض الأسماء الإلهية



- ٢٦٣..... التأثير المتبادل بين ذكر الحق ونسيان الباطل
في الجوامع الدينية و لاسيما نهج البلاغة
كما أن ذكر الحق مانع من حاكمية الهوى كذلك اتباع الهوى مانع من ذكر الحق و حكمته
- ٢٦٤..... الفصل السابع: مصاديق الذكر
- ٢٦٤..... ١- الإنسان الكامل
الإنسان الكامل و لاسيما أهل البيت و كذا الكتاب السماوي و لاسيما القرآن الكريم، المرأة الكاملة و الآية التامة لذكر الحق
القرآن و الإنسان الكامل كان لديهما مقام عند الله
شاهد آخر على مظهرية الإنسان الكامل لاسم الله الذكر
لو لم يكن الإنسان الكامل مظهراً لاسم الله و ذكره فإن ذكره لا يكون ذكراً لله على الإطلاق
كما أن الله ليس له عديل فإن التهليل أيضاً ليس له مثيل
- ٢٦٦..... ٢- ذكر الله التدويني
إطلاق الذكر على الكتاب الذي نُزل على الأنبياء السالفين و على القرآن أيضاً
ملاحظة: الذكر بمعنى المشهور و المعروف يُطلق على الإنسان الكامل و على الكتب السماوية
- ٢٦٧..... ٣- الصلاة
رسالة الله العالمية لجميع الأمم هي أن معيار النجاة هو الاعتصام بكتاب الله و بالصلاة
ملاحظة: الفرق بين الإمساك و التمسك
تشريع الصلاة لإيجاد الآصرة بين العبد و مولاه
ملاحظة: كثير الذكر كثير الصلاة
٢٦٩..... جميع حالات الذكر هي حالة الصلاة
كل أثر يترتب على دوام الصلاة يترتب على دوام ذكر الله أيضاً
أبرز أثر إيجابي لدوام الصلاة
تنبه: صعوبة الذكر الكثير
٢٧٠..... المراد بصعوبة الذكر الكثير هو حضور القلب و ذكر الله في الفؤاد
- ٢٧١..... الفصل الثامن: طريق الوصول إلى علو الذكر
لا يمكن اكتساب الشهرة من دون ذكر الحق لأن الشيء العاري من الحق لا حصة له من البقاء و

الدوام

وهب الله لنبية الشهرة ورفع الذكر

القرآن الكريم يُسبب علو ذكر أتباعه الصادقين

٢٧٢..... الفصل التاسع: ذكر الله شفاء

على السالك الذّاكر للشفاء من أمراضه الاقتصار على ذكر مأثور

٢٧٣..... دليل توقيفية الذكر

٢٧٣..... ١- حديث إسماعيل بن فضيل عن الإمام الصادق عليه السلام

٢٧٣..... ٢- حديث العلاء بن كامل عنه عليه السلام

٢٧٤..... ٣- حديث زرارة عنه عليه السلام

ملاحظة: يتناول هذا البحث مسألة الذكر لا الدعاء وإن كان الدعاء يستبطن ذكر الله أيضاً

٢٧٤..... الفصل العاشر: شمولية الذكر

كل ما يُجيب اسم الله وذكره فهو ذكر سواء كان من حلقات الدرس أو جلسات الذكر

حديث لقمان في تأييد هذه المسألة

كثيراً ما يُستعمل الذكر بمعنى العلم في الأحاديث

٢٧٥..... تنبيه: دائرة ذكر الله

حوزة التعليم والتعلم تدخل في دائرة ذكر الله بدليل قول الإمام الباقر عليه السلام

٢٧٦..... ملاحظة: الانسجام بين ذكر الله والتفكير العلمي

بين ذكر الله والتفكير العلمي العميق انسجام كامل وكل يؤيد الآخر ويستمد من الآخر

يعتبر المولى الرومي الذكر بمثابة الشمس

٢٧٧..... الفهارس